الحـــوار

مجلة ثقافية فصلية حرة تهتم بالشؤون الكردية وتهدف إلى تنشيط الحوار الوطني.

تصدر في: سوريا ـ قامشلي

رئيس التحرير

د.آزاد أحمد علي

عنوان المراسلة:

hiwar95@hotmail.com

* الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها.

* ترحب "الحوار" بكل المساهمات الواردة إليها.

* أفضلية النشر للدراسات والمقالات الموثقة علمياً.

* ترجو المجلة من القراء الكرام عند إرسال المساهمات مراعاة ما يلي:

١-الكتابة بخط واضح وعلى وجه واحد للورقة.

٢ -الإشارات المرجعية الموثقة تثبت بالترتيب:

اسم المؤلف ـ عنوان الكتاب ـ مكان الطباعة وتاريخها.

٣ -الطباعة على الكومبيوتر مع إرسال/C.D/

حقوق الطبع والاقتباس محفوظة للمجلة

محور مجلة "الحوار" للعدد القادم

القراء والكتاب الأعزاء...

أسرة تحرير مجلة "الحوار" تقترح عليكم المساهمة في ملفها القادم

بعنوان: "الكرد في سوريا من الإسلام الاجتماعي إلى الإسلام السياسي"

إننا نرحب في الوقت نفسه بجميع الدراسات والمساهمات الواردة إلينا بخصوص هذا الموضوع، وتبقى الأفضلية للكتابات غير المنشورة سابقاً.

كما وترحب مجلة "الحوار" بأية ملاحظات أو نقد يرد إليها بخصوص مجمل تجربتها السابقة، أو أي مادة نشرت فيها، وذلك بهدف الارتقاء بالحالة الثقافية والفكرية الكردية نحو أفق أكثر ديمقراطية وتنويراً، ونتعهد بتأمين المناخ الديمقراطي الذي يوفر حرية عرض وجهات النظر كافة، والرأي المختلف، لجميع أصدقائنا وقرائنا، وذلك لنشر ثقافة عقلانية مستنيرة ووعي متقدم يحيط بحقيقة مشكلات واقعنا بكامل أبعاده.

ترسل المساهمات إلى العنوان الالكتروني التالي:

Hiwar95@hotmail.com

وبهذه المناسبة ننوه إلى أن مجلتنا متوفرة على شبكة الانترنيت عبر موقع نوروز www.yek-dem.com

الإفتتاحية:

رئيس التحرير

من أجل نظام إقليمي جديد وعادل

بعد أن اختل التوازن في النظام العالمي الذي ترسخ بعد الحرب العالمية الثانية، هذا النظام المستند أساسا على توازن الرعب النووي وتفهم لمصالح الدولتين العظميين (أمريكا، الإتحاد السوفيتي) فضلا عن ترتيب لدورهما على صعيد العالم، طوال النصف الثاني من القرن العشرين، هذا الاختلال الذي رافق تفكك الإتحاد السوفيتي أنتج نظام عالمي ذات قطب واحد، قادته أمريكا لعدة سنوات حتى مجيئ الديمقراطيين الراهن بقيادة أوباما، الذي دفع بمسار النظام العالمي ذات القطب الواحد غير المترسخ إلى نظام عالمي بلا قطب، وبلا سياسات واضحة، مما مهد لنظام مائع، ربما يمهد بدوره ليكون مدخلا لفوضى عالمية غير واضحة المعالم والآفاق...

أثر هذا الوضع المترافق مع انتفاضات الربيع العربي، وتفشي البطالة والفقر مع استمرار عدم حل المسألة الكوردستانية على صعيد الدول الأربعة المقتسمة لكردستان والوريثة للنظام ما تحت الكولونيالي لحقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى. نتيجة لذلك مع عوامل تشجيع العنف والتطرف الاسلامي تأثر النظام الإقليمي في الشرق الأوسط بشكل حاد وتفاعل مع الخلل الحاصل في النظام العالمي. يبدو أن الشرق الأوسط متجه نحو مزيد من الفوضى واللا انتظام، خاصة بعد مرور مائة عام على اتفاقية سايسكس – بيكو المفتاحية بصفتها التأسيسية الراديكالية للنظام الإقليمي الشرق أوسطي، حيث كانت أو محاولة لحكم منطقة خارج أوربا وتقسيمها بشكل جائر وجاهل لتفاصيل الواقع، ومن ثم راعت لاحقا نفوذ دولتي تركيا وايران بشكل رئيس ضمن الشرق

الأوسط، فالنظام الذي سطر خطوطه ووضع ملامحه الرئيسية كل من بريطانيا وفرنسا بات ينهار عمليا من الناحيتين السياسية والعسكرية – الأمنية، بل ان مبررات بعض الدول التي استحدثت باتت تتراجع، فعلى سبيل المثال اسست كل من العراق وسورية، وسلختا من الإمبراطوية العثمانية، لتحقيق عدة شروط والقيام بوظائف جوهرية تتمثل في أن تحمي حقوق الإنسان والأقليات وخاصة الكورد والمسيحيين، وأن تكونا دولتان علمانيتان، وهذ ما بات حلما في الأفق المنظور.

فالبقدر الذي يبدو النظام الذي تأسس بعد اتفاقيتي سايكس –بيكو وسان ريمو يتصدع يبدو أنه يمانع التغيير حيث شروط وعوامل انتاج نظام اقليمي جدي لم تتوافر بعد.

وهي باختصار الحفاظ على حقوق الإنسان في المنطقة، وعلى حقوق الشعوب المضطهدة التي حرمها النظام الاقليمي السابق من حقوقه الأساسية وخاصة في تقرير المصير السياسي، فالنظام الإقليمي لن يستقر ما دامت حقوق الانسان مهدورة وكذلك حقوق الشعوب والأقليات ما تحت القومية....

المظلومية التاريخية "السايكس - بيكوية" لنخب مشرقية

جورج كتن - نيسان ٢٠١٦

منذ قرن، في العام ١٩١٦، عقدت اتفاقية سرية بين فرنسا وبريطانيا لتقاسم تركة الدولة العثمانية المنهارة في الحرب العالمية الاولى. وقد ثارت ضجة واسعة حولها عندما تسربت تفاصيلها عقب وصول البلاشفة للسلطة في روسيا في اكتوبر ١٩١٧. لكن الاتفاقية لم تنفذ بل كانت أحد المسودات لاتفاقيات متتالية، واهمها معاهدة سيفر ١٩٢٠ التي اعادت رسم الخرائط من جديد بين الدولتين المنتصرتين في الحرب. كما أقر مجلس عصبة الأمم في العام ١٩٢٢ وثائق الانتداب على الدول المقامة. ثم جاءت اتفاقية لوزان عام ١٩٢٣ كنتيجة لانتصار اتاتورك في "حرب الاستقلال التركية" واسترداد العديد من المناطق، التي كانت الدولتان ستقيم فيهما دولاً متعددة لتفكيك الدولة العثمانية، لترسم الحدود النهائية للدولة التركية ودول الشرق الاوسط واليونان وبلغاريا.

لكن رغم قبر الاستعمار العالمي خلال خمسينيات وستينيات القرن الماضي، بعد ثورات الشعوب التي تكونت في حدود الدول التي انشأت، وتم الاعتراف باستقلالها في حدودها الراهنة من قبل الامم المتحدة التي

لعبت دوراً مهما في انهاء الاستعمار، رغم ذلك فإن نخب شرق أوسطية لا تزال ترى ان كل ما يحدث في البلدان المستقلة التي نشأت في المنطقة هو من تخطيط القوى الخارجية استكمالاً لاتفاقية سايكس بيكو، التي لم تنفذ أصلاً. فالدول العظمى "الشريرة" قوة كلية القدرة، تتآمر "علينا" بشكل دائم، وتخطط لمنع توحدنا وتقدمنا، وتفتيت دولنا ومجتمعاتنا أكثر مما هي مفتتة، ونهب ثرواتنا وتدمير ثقافتنا وعاداتنا القديمة وديننا! فلو تركنا وحدنا لتقدمنا وتوحدنا واعدنا ازدهارنا التاريخي يوم كان العرب والاسلام يصدرون الحضارة للعالم!

اتفاقية سايكس بيكو، ولدت لدى النخب القومية العربية "مظلومية" معروفة لدى اطباء النفس بـ «البارانويا» عقدة الشعور بالاضطهاد. اصبحت الاتفاقية اساس لـ"مظلومية عربية" تتباكى على تاريخ "عربي" كان فيه من يتكلمون العربية موحدون في دولة واحدة، رغم ان ذلك لم يحدث في التاريخ في أي وقت من الأوقات، فالإمبراطوريات التي قامت فيها كانت "إسلامية" تضم عشرات الشعوب من قوميات متعددة، كما قادها في عهود متتالية قادة من قوميات مختلفة. وحتى لو كان هناك في فترات محدودة غلبة للعنصر العربي فان ذلك لم يستمر طويلاً ولم يشمل كل ما يسمونه القوميون العرب "الوطن العربي" كما يرسمون له خريطة حالياً ليشمل الشرق الأوسط وشمال افريقيا. وهو ليس أساس كاف لمطالباتهم بتوحده من جديد.

وتفضل النخب الاسلامية عموماً ان توسع "المظلومية" لتتجاوز مؤامرة سايكس بيكو إلى اعتبار ان العالم يتآمر على المسلمين في كل دولهم، لتفسر الصراع العالمي بانه تكتل الغرب لمحاربة الإسلام كديانة وكأمة "متخيلة"، وقد يسمى البعض ذلك حرباً صليبية مستمرة، رغم الحريات الواسعة التي يتمتع بها المسلمون في الدول الغربية، التي يكاد لا يتوفر مثيل لها في بلدانهم. ولا ننسى الفرع الشيعي من المظلومية الاسلامية

المستمر في جلد الذات منذ مقتل الحسين من ١٤ قرناً مضت، والذي يسعى من خلال النظام الايراني وملحقاته، للثأر ممن يرى أنهم ورثة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان!

وفي الطرف المقابل نشأت نتيجة اتفاقية سايكس بيكو غير المنفذة، والمعاهدات التي تلتها ورسمت حدود المنطقة، "مظلومية" أخرى لنخب كردية، تتمسك بمعاهدة سيفر غير المنفذة وترفض معاهدة لوزان الأقرب للأوضاع التي آلت اليها حدود الدول القائمة حالياً، لتدعي ان الدول العظمى ظلمتها ولم تقم لها دولتها الخاصة التي سمتها "كردستان"، بالاعتماد على أحداث مجتزأة من تاريخ المنطقة القديم. علما بأن "الإعلان العالمي لحقوق الأفراد المنتمين لأقليات قومية أو ثقافية أو دينية" الصادر عام ١٩٩٢عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، أكد على حقوق الأقليات بحماية وتطوير هويتها ولغتها وثقافتها وحقها في المشاركة في إدارة مناطقها، ومسؤولية الدولة في رعاية وتطوير هذه الحقوق، ودور المجتمع الدولي في منع تعرضها لانتهاكات خطيرة تمس حقوقها ومصالحها الأساسية.

"المظلومية التاريخية" السائدة في برامج نخب شرق أوسطية ينتظم فيها قوميون وإسلاميون، مرض ابتليت به النخب منذ ما بعد الحرب العالمية الاولى واستعمار المنطقة من قبل بريطانيا وفرنسا، اللتين أدارتا دولها بين الحربين العالميتين، قبل أن تستقل وتحكمها نخب محلية ابتعدت عن التحليل الموضوعي للوقائع الراهنة ودوافعها الحقيقية والعوامل التي أدت إليها ونتائجها. وهربت من مواجهتها نحو نصوص تاريخية مجتزأة ومحدودة وبعضها متخيلة أو مضخمة ومغالى في أهميتها، للاسترشاد بها في القرن الـ ٢١ الذي تجاوز كل ما نعرفه من التاريخ عن الإنسان وحقوقه وطبيعة حياته وعلاقات أفراده ببعض.

الضرر الذي أحدثه تبني المظلوميات التاريخية ترك المواطنين حائرين، بين انتماء قومي أو ديني خيالي "لأمة واحدة"، وبين انتماء لدولة يحملون جنسيتها ولكنها مرفوضة من القوميين والاسلاميين بصفتها ثمرة تجزئة اصطناعية، علما بأن "الاصطناع" في إقامة الدول يشمل معظم دول العالم، وكل "اصطناعي" يصبح مع مضي الزمن طبيعياً، فلمفاعل الزمن تأثير كبير على واقع الدول.

يسعى القوميون والإسلاميون خلف أوهام أيديولوجية لتقويض "الدول" القائمة. وكنتيجة لضياع الانتماء فإن الدول القائمة حالياً مهزوزة، تبقى موحدة بـ"سلطة" الدولة الاستبدادية الأمنية التي تستمر بالقمع بدون توافق بين مواطنيها، وعند انهيارها تتحلل مكوناتها الغير مندمجة إلى العشائرية والطائفية والإثنية. فيما الأقدر على إبقائها موحدة الديمقراطية، وبناء توافقات دستورية للتعايش المشترك، والتركيز على الهوية الخاصة بالدولة ضمن حدودها الراهنة، حيث الانتماء والمواطنة يحددهما القانون والجنسية وليس اللغة أو الطائفة.

الدول المتخلفة اجمالاً شعوب ماضوية تنزلق نخبها لحوارات وصراعات عقيمة حول التاريخ الماضي منذ قرون على حساب الحاضر والمستقبل، وتغمض العين عن الوقائع العالمية الحداثية الراهنة التي لا يمكن معارضتها بمفاهيم وقيم تراثية أو ثقافية قديمة. العديد من النخب العربية والكردية والإسلامية عموماً، التي يقع عليها العبء الأكبر في وضع الحلول للمسائل الشائكة، ما زال تفكيرها وأهدافها وثقافتها ووسائلها وخياراتها وأولوياتها، متعلقة بتاريخ وشعارات وأهداف عفا عليها الزمن، مما جعل بلدانها في مؤخرة الركب العالمي.

الهوة الشاسعة بيننا وبين العالم إذا لم نضيقها، نخاطر بمصير شعوبنا وبالمزيد من المآسي والكوارث والهزائم، وهدر الوقت والطاقات وراء

أهداف تجاوزها الزمن، وخاصة وراء شعارات وصراعات الهوية والانتماء التاريخي القديم. فالأولوية لوضع شعوبنا على طريق نهضة حقيقية، تنهي الاستبداد وتؤمن الانتقال للديمقراطية التي تحشد جهود كافة المواطنين بصرف النظر عن دياناتهم وأصلهم القومي، لمواجهة التخلف واللحاق بالعصر. وهو الطريق الأهم لإعادة كافة المواطنين للمشاركة في القرار والفعل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وبالتالي المشاركة في البناء والتنمية.

المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات والتنمية المتوازنة والعادلة، هي الوصفة الناجعة للحاق بالمسيرة الإنسانية. الدول التي تجاوزت مخلفات التاريخ تقف حاليا على رأس الدول الناجحة والتي تتمتع شعوبها بالتقدم والرقي والحرية والحداثة. فيما التمسك بالتاريخ القديم وصفة ناجعة للتخلف والكوارث الناجمة عن صراعات وحروب ودمار وقتل لا نهاية له.

بناء الدول في حدودها الوطنية الحالية لا تمنع مستقبلاً من الانتقال إلى اتحادات أوسع. ليس المهم أن تتم عندها على أساس الهوية القومية، بل يمكن أن تضم قوميات متعددة ومتجاورة، والتجربة الأوروبية أكبر دليل، فبعد مجازر وحروب كان آخرها كارثة الحرب العالمية الثانية، تخطت الدول الاوروبية الحدود والهوية القومية والتاريخ القديم لتنشئ اتحادها الذي يقف في مقدمة الحضارة الانسانية. واميركا مثال آخر للدول المتعددة الاثنيات والقوميات والديانات التي توحدها المواطنة الاميركية، فيما تنوعها عاملاً اساسياً في جعلها على رأس الدول المتقدمة في العالم.

هل نتعظ؟ أم نستمر في صراعاتنا من أجل الهويات المتخيلة، واستعادة التاريخ القديم، وأوهام الدول القومية والدينية؟

بعد ١٠٠عام على "سايكس – بيكو"...مخاوف التكرار "كردياً"؟؟!!

نصرالدين إبراهيم*

مدخل تاريخي:

منذ مائة عامٍ خلت، وعقب صراعات عالمية دامية على المصالح والتوسع في دائرة نفوذها، شهدت المنطقة ولادة اتفاقية بين القوى العالمية، التي شارفت على الانتصار في الحرب العالمية الأولى، والقاضية في بنودها الخمسة عشر بتوزيع تركة الرجل العجوز "السلطنة العثمانية" فيما بينها، لتكون بالمحصلة تقسيم الهلال الخصيب بموجب الاتفاق، فحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي من الهلال (سوريا ولبنان) ومنطقة الموصل في العراق، أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعاً بالاتجاه شرقا لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية في سوريا. كما تقرر أن تقع فلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا مينائي حيفا وعكا على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل حق استخدام ميناء الإسكندرونة الذي كان سيقع في حوزتها.

روسيا الحالمة، إلى جانب مطامع الدولتين العظميين خططت للاتفاقية في القاهرة سراً لتقسيم المنطقة وتوزيع ثرواتها، إلا أن ظهور الشيوعية في روسيا، جعل من الاتفاقية ثنائية، واقتصرت على سايكس "الانكليزي" وبيكو"الفرنسي"، ليحذف نهائياً اسم الدبلوماسي والمندوب الروسي "سازانوف" من هذه الاتفاقية، لتنحصر المحاصصة بين فرنسا وبريطانيا فقط.

الكرد في حقبة "سايكس – بيكو":

الكرد كغيرهم من قوميات المنطقة "ومع بداية تبلور عصر القومية" حاولوا تثبيت حقوقهم القومية وانتهاز الفرصة التي أتيحت لهم في أعتاب الانهيار الوشيك للعثمانيين، فمع انقسام وتشتت الكرد ديمغرافياً وجغرافياً بين أربع دول "تركيا – إيران – العراق – سوريا" نتيجة لعدم مراعاة الموقعين على "سايكس – بيكو" للتوزع القومي في المنطقة "بقصدٍ أو دونما قصد" كان مؤتمر سيفر، والذي استطاع فيه الوفد الكردي المفاوض برئاسة الجنرال شريف باشا من إبرام اتفاقية "سيفر" عام ١٩٢٠م، والقاضية في قسمها الثالث من الباب الثالث من المعاهدة حل القضية الكردية، هذا القسم كان تحت مسمى (كردستان)، والتي هدفت بنودها الثلاثة (٦٢-٦٣-٦٤) لقيام كيان كردي مستقل في تركيا، كما ترك الباب مفتوحاً لانضمام كرد ولاية الموصل إلى هذا الكيان إذا ما رغبوا بذلك.

ولكن لعوامل ذاتية وأخرى موضوعية تمكن الأتراك من إجهاض هذه الاتفاقية، واستبدالها باتفاقية "لوزان" عام ١٩٢٣م، والتي تنازلت تركيا فيها عن امتيازاتها في ليبيا، وفي المقابل تم ضم معظم أراضي كردستان تركيا إلى الدولة التركية الفتية... وبقيام الدولة البريطانية

بضم الموصل إلى العراق باتت كردستان مقسمة بين أربع دول (تركيا- إيران – العراق – سوريا).

إذا تركيا كانت السبب المباشر في إجهاض الحلم الكردي، الذي شارف على التحقيق بفضل جهود شريف باشا، فتركيا بعد إدراكها أن الدولة الكردية قادمة، ما لم يتدارك الأمر فقام أتاتورك بتركيز كل جهده في سبيل استبدال الجنرال شريف باشا بحفنة من الموالين لتركيا، لإظهارهم كممثلين للكرد وأنهم حلفاء للأتراك، وأن القضية الكردية سيتم حلها فيما بعد بالتوافق بين الحكومة التركية والكرد...وفعلاً تم إلغاء سيفر، واستبدالها بلوزان، حيث ورد في لوزان ما يلي: تعهد أنقرة بمنح معظم سكان تركيا الحماية التامة والكاملة، ومنح الحريات دون تمييز، دون ورود أية مؤشرات أو دلالات حول مستقبل الكرد وقضيتهم.

بعدها بدأ الذئب التركي بإظهار أنيابه تجاه الكرد إلى أن حولهم وبشكل رسمي إلى أتراك الجبال، متنصلاً بذلك من كل الوعود المعسولة للكرد، وذلك من خلال بعض من مرتزقة الكرد، والذين اختارهم أتاتورك لتمثيل الكرد في لوزان، بهدف وحيد، ألا وهو تمرير مخططاته العنصرية تجاه الكرد، كما أسلفنا.

القضية الكردية... و... جنيف ١ – ٢ – ٣

كما بات واضحاً للعيان أن أعداء الكرد، ما كان بمقدورهم أن يجهضوا "سيفر"، ويبتهجوا بولادة قيصرية لـ "لوزان" لولا التشتت والشقاق الكردي حينها.

واليوم وبعد ما يزيد عن الخمس سنوات من عمر الثورة الشعبية السورية، والتي تحولت يوماً بعد يوم من عمرها إلى حرب أهلية، لا ترحم نيرانها أحد... إنها في توسع مستمر، مهددة بذلك كل المحيط ناهيكم عن الداخل السوري، بمن فيهم الكرد.

والحالة هذه كان حري بالكرد، مع توفر العامل الموضوعي الخارجي لتحقيق أهدافهم القومية المشروعة، بذل قصارى جهدهم في إعداد العامل الذاتي بالشكل المناسب، ليكون الكرد مستعدين لانتهاز أية فرصة تلوح هنا أو هناك...

لقد كانت هناك جهود حثيثة لتحقيق وحدة الصف الكردي من خلال إبرام عدة اتفاقيات "هولير١ – هولير٢ – دهوك..."، ولكن، وللأسف، وجود عوامل عدة "الأنا الشخصية والحزبية، والمحاور الكردستانية، والعلاقات الإقليمية والدولية لبعض القوى الكردية..." حال دون إتمامها...إلى أن وصلت الأزمة السورية إلى يومنا هذا، فالنظام السوري من جهة، وبعض القوى المعارضة التي انتقتها قوى إقليمية لفرض أجنداتها من جهة أخرى...يتفاوضون الآن في جنيف٣ عبر وساطة المبعوث الأممي "ديمستورا".

كردياً...إلى الآن كل المؤشرات تؤكد أن ما ارتكبه المفاوضون الكرد في "لوزان"، يمكن أن يتكرر اليوم في "جنيف٣"، وأيضاً بتخطيط تركي.

ولكن إلى الآن، لم تفتنا الفرصة بعد، فبمجرد نجاح جهود الشرفاء والخيرين في الحركة الوطنية الكردية في سوريا و سائر أبناء شعبنا في تحقيق التقارب الكردي و تشكيل وفد كردي موحد، وناطق باسم الكرد جميعاً، وفرض الذات الشخصية الكردية على أرض الواقع من خلال تعزيز وتطوير الاتفاقيات السابقة المبرمة بين الفرقاء الكرد، وخاصةً فيما يتعلق بإدارة المناطق الكردية، وتشكيل قوة عسكرية موحدة وبقيادة موحدة...حينها فقط بإمكاننا القول أنه لا حل للأزمة السورية بدون حل عادل للقضية الكردية في سوريا وفق العهود والمواثيق الدولية، وضمن إطار وحدة البلاد.

وهنا لا بد من القول إنه بمقدار ما نملك من عوامل القوة على الأرض والالتفاف الجماهيري نكون قادرين على فرض إرادتنا، ولن يكون بمقدور أحد إقصائنا وسلب حقوقنا.

ختاماً على معظم القوى الكردية وجماهير شعبنا أن تعمل يداً بيد من أجل انتهاز الفرصة التاريخية والذهبية لنيل شعبنا لحقوقه القومية، وذلك بعدم الثقة بأعداء القضية الكردية، والاعتماد على وحدة الصف الكردي كعامل حاسم في جذب القوى العالمية الفاعلة على الساحة السورية.

****

- سكرتير الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا (البارتي)

نهاية اتفاقية سايكس – بيكو

فارس عثمان

لعبت جغرافية الشرق الأدنى «ميزوبوتاميا» بموقعها الاستراتيجي وثرواتها دورا في «مصير» شعوب هذه المنطقة. ونتيجة هذا الموقع الاستراتيجي تحولت إلى ساحة صراع بين القوى الدولية والإقليمية.

وقد حكم العثمانيون هذه المنطقة زهاء أربعة قرون، من عام ١٤١٦ وحتى ١٩١٨، وأهملوا كل مناحي الحياة فيها، فتراجعت في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ونظراً لموقعها وغناها طمعت بها الدول الاستعمارية.

استغلت الدول الأوروبية ضعف الدولة العثمانية منذ بداية القرن الثامن عشر وتدخلت في شؤونها الداخلية تحت اسم الامتيازات الاجنبية:

"وهي التسهيلات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوروبية بهدف تشجيعهم على الاقامة فيها واستثمار اموالها وخبراتها من خلال معاهدات واتفاقيات تشملت بالإضافة إلى الاقتصاد جوانب دينية وقضائية ومواصلات" مما أعطى هذه الدول حق التدخل في شؤونها الداخلية. فحصلت فرنسا على حق حماية الكاثوليك. وحصلت روسيا

على حق حماية الارثوذكس. أما ألمانيا فقد حصلت على امتيازات مختلفة أهمها سكة حديد بغداد. واختلفت الدول الأوروبية فيما بينها حول الإبقاء على الدولة العثمانية «كما هي – أي الضعيفة» والتدخل في شؤونها لتحقيق أطماعها، أو تقسيمها. لذلك نظرت كل دولة من الدول الأوروبية إلى الدولة العثمانية من زاوية مصالحها واستخدمت الشعوب التي كانت تعاني من ظلم الدولة العثمانية كوقود لمصالحها.

بريطانيا:

كانت في البداية من أنصار الحفاظ على الدولة العثمانية الضعيفة «والتدخل في شؤونها بحجة حمايتها والحفاظ على ممتلكاتها» من الأطماع الروسية. وبعد ذلك وافقت على تقسيمها وتجزئة ممتلكاتها خاصة بعد مؤتمر برلين ١٨٧٨م.

فرنسا:

أول دولة حصلت على الامتيازات في الدولة العثمانية، وحق حماية الكاثوليك، إلا انها وبعد التقارب البريطاني العثماني رغبت في القضاء على الدولة العثمانية والسيطرة على ممتلكاتها «فأرسلت حملة نابليون على مصر وسوريا، وأيدت محمد علي باشا في حربه ضد الدولة العثمانية»

روسيا القيصرية:

من أشد أنصار القضاء على الدولة العثمانية، وإعادة تقسيم ممتلكاتها، أدعت أنها وريثة الإمبراطورية البيزنطية، وسعت للوصول إلى المياه الدافئة والسيطرة على المضائق، وخاضت أكثر من حرب مع الدولة العثمانية «حرب القرم ١٨٥٣- ١٨٥٦»

ألمانيا:

بعد أن استكملت وحدتها القومية ١٨٧٠ وأصبحت دولة أوروبية قوية، بحثت عن مستعمرات لها لتأمين المواد الأولية، والترويج لصناعتها «فحسنت علاقاتها مع السلطان العثماني» للتوسع سلمياً في الأناضول والعراق. لذلك كانت من اشد المدافعين عن بقاء الدولة العثمانية. واراد السلطان الاستفادة منها لمواجهة أطماع بقية الدول الأوروبية، خاصة الفرنسية والروسية.

وقد استغلت الدول الأوروبية ولاسيما إنكلترا وفرنسا وروسيا دخول الإمبراطورية العثمانية الحرب العالمية الأولى في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤، للإجهاز عليها واقتسام ممتلكاتها. وبدأت هذه الدول تخطط لكيفية تقسيم هذه الدولة المتفسخة والمترامية الأطراف. التي عجزت لأكثر من قرن من القيام بإصلاحات حقيقية تساعدها على بناء مؤسسات عصرية، وتحول دون انهيارها، وبعد أقل من عام على بدء الحرب توصلت إنكلترا وفرنسا وروسيا القيصرية ومن ثم إيطاليا إلى تفاهمات واتفاقيات مهدت لاتفاقية سايكس - بيكو.

وذلك بتقسيم تركيا الآسيوية بين، بريطانيا وفرنسا وروسيا، وقد وقفت روسيا القيصرية في البداية بقوة ضد التفاهم البريطاني – الفرنسي وإعطاء أي جزء من المناطق الكردية لفرنسا، فهي كانت ترغب بالسيطرة على أرمينيا وكردستان العثمانيتين لنفسها دون منازع. إلا أنها وبعد مساومات وافقت على صيغة الاتفاق الذي توصل إليه مندوبي الدول الثلاث في القاهرة، وسمي الاتفاق بـ «اتفاق القاهرة».

وفي ٨ آذار ١٩١٥ توصلت الدول الثلاث إلى اتفاقية سرية حول الخطوط العريضة لتقسيم الدولة العثمانية سميت باتفاقية القسطنطينية* «سميت بذلك لأنه تم الاتفاق على ضم "القسطنطينية" ومضيقي

"البوسفو" و "الدردنيل"، حتى خليج "أزمير" لروسيا، مقابل اعتراف روسيا القيصرية بالمطالب التي تقدمت بها بريطانيا وفرنسا».

ومن ثم أبرمت الدول الثلاث في ٢٦ نيسان ١٩١٦ مع إيطاليا اتفاقية جديدة عرفت بمعاهدة لندن، اعترفوا فيها بمصالح ايطاليا في أجزاء من ممتلكات الدولة العثمانية وفي البحر المتوسط.

أما أخطر الاتفاقيات تأثيراً على كردستان ومنطقة الشرق الأوسط فكانت اتفاقية سازونوف باليوج* في ٤ آذار ١٩١٦ والتي عرف القسم الخاص باقتسام الدول العربية فيها باتفاقية سايكس – بيكو، نسبةٍ إلى المندوب البريطاني مارك سايكس، والفرنسي جورج بيكو.

فروسيا القيصرية احتلت بعد الحرب مباشرة "القسم الأعظم من كردستان الشرقية – الفارسية"، وارادت الاحتفاظ بها. وبموجب اتفاقية سازانوف – باليوغ طالبت بـ: ((مناطق ارزروم وطرابزون ووان وبدليس، حتى غرب خط غربي طربزون على البحر الأسود. ومنطقة كردستان إلى الغرب من وان وبدليس حتى موش وجزيرة بوطان ومناطق آميدية ماركاوار، على حدود كردستان إيران، مقابل ضم مناطق الاداغ وقيصرية وخربوط إلى فرنسا)).

ولكن بعد انسحاب روسيا القيصرية من الحرب العالمية الأولى إثر قيام الثورة الاشتراكية فيها عام ١٩١٧، وصلح بريست ١٥ كانون ١ ١٩١٧م، والتخلي عن الالتزام بكل الاتفاقيات السابقة. أعادت بريطانيا ((التي كانت عمليا تقرر كل شيء على أرض الواقع)) توزيع حصة روسيا بضم جنوب وجنوب غربي كردستان إلى العراق وسوريا. ومنح المضائق لليونان.

تعتبر اتفاقية سايكس بيكو من أخطر الاتفاقيات السرية في العصر الحديث، تم من خلالها إنشاء دول جديدة ووضع حدود منطقة الشرق

الأوسط. هذه الحدود التي رسمت بشكل نهائي في مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠.

تتألف من ١٢ فقرة أو مادة، عرفت باسم شخصين محددين هما مارك سايكس وجورج بيكو، ولكنهما لم يقوما إلا بوضعها نيابة عن الحكومتين البريطانية والفرنسية. يقول ارنولد توينبي عام ١٩٢٢: ((الحقيقة أن ما قام به الرجلان هو أنهما اتفقا على اللغة التي صيغت بها عبارات الاتفاقية، فقد تم الاتفاق عليها أثناء سلسلة من الاجتماعات التي عقدها الزعماء السياسيون من الجانبين، قبل أن يدفعا بها إلى هذين الرجلين لوضع الصيغة النهائية لها)).

بعض مواد اتفاقية سايكس بيكو: بموجب الاتفاقية تم تقسيم الشرق الأدنى إلى ٥ مناطق نفوذ، مع تداخل وتبادل بعض المناطق.

المادة الأولى: ان فرنسا وبريطانيا مستعدتان أن تعترفا وتحميا أي دولة عربية مستقلة أو اتحاد دول عربية، تحت رئاسة رئيس عربي في المناطقتين «A»، سورية الداخلية، (B)، (شرقي نهر الاردن وقسم من العراق).

ويكون لفرنسا في المنطقة (A) ولإنجلترا في المنطقة (B) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية.

وتنفرد فرنسا في المنطقة (A) وانجلترا في المنطقة (B) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثانية: يسمح لفرنسا في المنطقة الزرقاء: الساحل الشمالي لسورية، وكيليكيا، وجنوب غرب كردستان "عنتاب، اورفا، ماردين، هكاري".

ولإنجلترا في المنطقة الحمراء: (من بغداد حتى خليج فارس). وانشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثالثة:

المنطقة السمراء وتشمل (فلسطين) تقام فيها إدارة دولية، يتفق على شكلها مع الحلفاء ومن بينهم روسيا وشريف مكة. على أن تحتفظ إنكلترا بميناء حيفا وبغداد.

المادة الثانية عشرة:

من المتفق عليه أن اتفاقية سايكس – بيكو هي الجزء الخاص التنفيذي لاتفاقية سازانوف - باليوغ « بطرسبرغ » ١٩١٦.

التوقيع مارك سايكس وجورج بيكو

وبعد تسريب نص الاتفاقية ونشرها في الصحف الروسية الألمانية، إلا أنها لم تجد معارضة شديدة أو ملفتة من الدولة التركية التي احتلت المناطق التي انسحبت منها روسيا القيصرية. ولا من إيران التي أحكمت قبضتها على كل أراضيها. ولا من العرب «الشريف حسين» الذي ضمن تشكيل أكثر من دولة أو إمارة عربية.

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى، باشرت كل من فرنسا وبريطانيا بتنفيذ بنود الاتفاقية، فاحتلت بريطانيا العراق بما فيها مدينة الموصل عام ١٩١٨، الواقعة ضمن النفوذ الفرنسي، وأنزلت فرنسا في نفس العام قواتها على ساحل سورية الشمالية.

خضعت الدول الجديد للانتداب: (الفرنسي على سورية ولبنان حتى عام ١٩٤٦)، والبريطاني على العراق حتى عام ١٩٣٢، وعلى الأردن

حتى عام ١٩٤٦، وعلى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ حيث تم تقسيمها بين العرب واليهود.

هكذا قامت مجموعة من الدول الجديدة في المنطقة هي تركيا «التي ورثت الامبراطورية» والعراق وسورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين. وتم حرمان الكرد من حقهم في تأسيس دولة خاصة بهم، وتحولوا إلى أقليات في أربع دول، وسعت الحكومات الأربعة التي تم تقسيم وطنهم بينها إلى طمس هويتهم ومصادرة حقوقهم وصهرهم بالقوة في مجتمعاتهم.

وإثر انتهاء الحرب العالمية الأولى ظهرت النوايا الحقيقة للدول الاستعمارية ((واشتد الصراع مجددا بين الدول المنتصرة نتيجة التوازنات الجديدة، لذلك اعتبر رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج أن اتفاقية سايكس بيكو مجرد وثيقة سخيفة)). وبعد سلسلة من المساومات توصلت بريطانيا مع فرنسا إلى صيغة تفاهم جديدة ١٩١٩ لتعديل اتفاقية سايكس - بيكو بتنازل فرنسا عن ولاية الموصل «كردستان العراق» لبريطانيا، مقابل انسحاب القوات البريطانية من سوريا لتحل مكانها جيوش فرنسية.

ونتيجة رفض مختلف شعوب المنطقة للاحتلال بكل أشكاله ومسمياته، وانسحاب الدول الاستعمارية من المنطقة بطرق مختلفة. وعدم تمكن الحكومات التي تسنمت الحكم في الدول التي ولدت من رحم اتفاقية سايكس – بيكو من بناء دول وطنية، وتأمين الاستقرار لمواطنيها، ولجوء الجيوش التي تشكلت في ظل الاحتلال إلى الانقلابات العسكرية التي حكمت البلاد بالحديد والنار باسم الثورات أحيانا. تشكلت أنظمة استبدادية لا مثيل لها في العالم.

لذلك ازدادت النقمة على هذه الأنظمة، وعندما وجدت الشعوب الفرصة المناسبة ثارت على هذه الأنظمة، التي انهارت الواحدة تلو الأخرى عسكريا وأخلاقيا حيث ظهر وجهها الحقيقي لشعوبها وللعالم. وارتفعت الأصوات التي تطالب بوضع حد للحدود التي رسمت بالمسطرة والقلم في اتفاقية سايكس بيكو والتفاهمات التي استندت عليها فيما بعد.

نهاية حدود اتفاقية سايكس – بيكو:

إن حدود اتفاقية سايكس - بيكو أصبحت هشة، وعُرضة للانهيار بأية لحظة. فاليوم هناك شرق أوسط جديد بصدد التشكل بناءً على معطيات جديدة بين عواصم القرار العالمي، تضمن إلى حد ما حقوق الشعوب والأقليات والمذاهب. كما تحمي آبار النفط في الجغرافيا الجديدة، أي طبقاً للحدود الديمغرافية للشعوب المتجانسة والخرائط النفطية.

أهم عوامل نهاية حدود سايكس – بيكو:

١ -إن هذه الاتفاقية لم تستفتي شعوب المنطقة، ولم تأخذ رأيهم في رسم هذه الحدود. وكان هدفها خلق أرضية «بذرة» لاستمرار التوتر والنزاعات في كل دولة.

العراق: النزاع بين الكرد والعرب والتركمان، والسنة والشيعة

سورية: النزاع بين الإثنيات، والطوائف والمذاهب. والكرد والعرب.

لبنان: النزاع بين المسلمين والمسيحيين، والطوائف والمذاهب.

الأردن: النزاع بين البدو والحضر، وبين الأردنيين والفلسطينيين.

فلسطين: النزاع بين العرب واليهود.

٢-إن الدول التي وقعت على هذه الاتفاقية وهي بريطانيا وفرنسا «لنهب ثروات المنطقة، وتحويلها إلى سوق لمنتجاتها»، كانت من

أقوى دول العالم قبل قرن. وقد تراجع دورها وحلت محلها دول أكثر قوة عسكرية واقتصادية «أمريكا – روسيا – الصين...» ولها مصالح في المنطقة. لذلك من مصلحتها تغيير حدود سايكس – بيكو وفق مصالحها...

٣-هذه الاتفاقية وضعت من أجل استمرار الصراعات والنزاعات في المنطقة. لذلك التخلص منها ومن نتائجها على الأرض هي في مصلحة هذه الشعوب التي عانت الحرمان من أبسط حقوقها الإنسانية والسياسية تحت شعارات ايديولوجية مقيتة كشعارات «القومين الاتراك» و «القوميين العرب – حزب البعث».

٤-حرمت هذه الاتفاقية الشعب الكردي من تأسيس دولة كردية، وقسمت كردستان بين تركيا وسوريا والعراق. حيث تم تطبيق هذه الاتفاقية في مرحلة لم يكن للكرد كيان أو دولة قومية تدافع عن الكرد. بعكس هذه الفترة، فرغم عدم وجود دولة كردية، إلا أن الكرد الآن يمتلكون قوة عسكرية ويحاربون على أكثر من جبهة مع القوى العظمى. لذلك من مصلحتهم تلاشي وزوال هذه الحدود.

٥-لم تتمكن الدول التي تأسست بموجب اتفاقية سايكس بيكو من بناء الدول الوطنية وتأمين العيش المشترك والاندماج بين مجتمعاتها. لذلك من الطبيعي أن تبحث شعوب هذه الدول التي تتكون من إثنيات ومذاهب وطوائف مختلفة عن الأمن والاستقرار في كيانات خاصة بها، بعد أن فشلت الدول القومية في تأمين ذلك لمدة قرن من الزمن.

هكذا باتت هذه الاتفاقية منتهية الصلاحية. لا بد من التخلص منها ومن نتائجها الكارثية.

لماذا سايكس - بيكو باقية وتترسخ؟!

د.آزاد أحمد علي

على الرغم من التفاؤل وزخم الفعاليات التي أدانت اتفاقية سايكس – بيكو، بمناسبة مرور مائة عام على توقيعها، وبصرف النظر عن كل الدراسات الاستشرافية والتوقعات التي رجحت على أن خارطة المنطقة مقبلة على التغيير الحتمي، فإن حقيقة ودرجة هذه المتغيرات مازالت موضوعا خلافيا قابلا للسجال وخاضعا للتقييم. فالطبيعة المفتاحية والرمزية لإتفاقية سايكس – بيكو تكمن في أنها أسست للنظام الكولونيالي في الشرق الأوسط، وبالتالي مهدت لتشكيل دول جديدة، وهيأت الأرضية لتثبيت نظام إقليمي، سياسي وإجتماعي مازال قائما. ليس من السهل تغيير هذا النظام الإقليمي القائم منذ حوالي قرن، لأنه مرتبط جدليا بالنظام العالمي، متأثرا برسوخه أو بمتطلبات تغييره. إن هذه الورقة تحاول إستعراض جملة من الأراء التي تستشرف مستقبل المنطقة، وتحدد أهم الحوافز التي تفضي إلى إحتمالات التغيير، وفي مقدمتها واقع العراق الذ يعد مفتاحا لتغيير المنطقة، فكلما إزداد درجة ضعف حكومتها المركزية زادت معها إحتمالات تفكك العراق وبالتالي إنتقال هذا التغيير إلى دول الجوار، وصولا إلى تصدع النظام الإقليمي.

مع ذلك ترجح هذه الورقة إستمرارية بقاء النظام الإقليمي على حاله في الأمد القريب، نظرا لعدم توافر شروط ومقدمات التغيير الجذري، والتي تتلخص: إضطراب شديد في النظام الإقليمي، رغبة وتوافق دولي على تغييره كمدخل لحل مجموعة من أزمات ومعضلات الشرق الأوسط السياسية والاقتصادية المتفاقمة، فضلا عن توافر محركات التغيير الداخلية المزعزعة لخارطة المنطقة القديمة، ومن أهمها، بروز قوة كوردستانية سياسية وعسكرية قادرة على تفعيل عملية التغيير وحمايته، وكذلك رغبة فعالة من العرب السنة في كل من العراق وسورية، للقبول والمساهمة في التغيير الجذري للخارطة السياسية، بدءا بنواة الشرق الأوسط التي يسكنونها ومازالت تحت سيطرة تنظيم الدولة الاسلامية (داعش). مقدمات التغيير الضرورية لم تتوافر بعد، كما أن أهم شروط الإستمرارية التي يستمد النظام الإقليمي منه عوامل البقاء والثبات مازالت قائمة. لكن من الصعوبة عودة الإقليم إلى ما كان عليه قبل إنتفاضات الربيع العربي، وأن الأفكار والحلول من نوع الفيدرالية والكونفدرالية، باتت مخرجاً من الأزمة ويتزايد درجة تفهمها وقبولها، فالسيناريو المتوقع أن السقف العالي للتغيير مازال ينحصر داخل الحدود القديمة لدول المنطقة. من المرجح أن يتركز التغيير السياسي القادم على طبيعة الأنظمة الحاكمة، ولا تهدف إلى تغيير بنية الدول القائمة أو إزالتها تماما.

***العراق: البداية والنهاية**

بمناسبة مرور قرن كامل على توقيع اتفاقية سايكس بيكو في ١٦ أيار م١٩١٦، شهدت مناطق عديدة من كوردستان والمهجر نشاطات مكثفة للتذكير بهذه الاتفاقية والتنديد بها، كانت أكثرها زخما ما جرى يوم السبت ٢٠١٦/٥/١٤ في مدينة كولن الألمانية ، أخذ التنديد بهذه الاتفاقية طابعا رمزيا، إذ ان الإتفاقية مهدت لتقسيم منطقة الشرق

الأوسط عموما وبلاد الكورد خصوصا بطريقة حادة، لم تأخذ بعين الإعتبار أي محددات وضوابط قومية أو إجتماعية، ولم تراعي التقسيمات الإدراية وعلاقات الجوار التي كانت تسود المنطقة منذ حقب طويلة، كما أسست للنظام الكولونيالي الذي ساد منطقة الشرق الأوسط ما بين الحربين العالميتين.

بالتوازي مع هذه النشاطات، تصاعدت درجات الحماس في رجم الإتفاقية وتحميلها أكثر مما تتحمل من مسؤلية، حتى باتت أوساط سياسية كوردية عديدة تعلن أن نهاية هذه الاتفاقية حتمية، قد إنتهى مفعولها وسقطت أخلاقيا على أرض الواقع، وبالتالي استبشروا خيرا بتغيير الخارطة الكولونيالية وما تحت الكولونيالية التي أسست الإتفاقية لها، في ربط ميكانيكي بين الخلاص والتحرر وذكرى مئوية الإتفاقية. في مقدمة من أشار إلى هذه النهاية المعنوية والسياسية للإتفاقية، ضرورة إعادة رسم حدود دول المنطقة بما يتطابق مع مصالح وتطلعات شعوبها والبدء بمرحلة سياسية جديدة، هو السيد رئيس إقليم كوردستان العراق مسعود البارزاني في اكثر من مناسبة وموقع . فلماذا هذا الإصرار من جهة؟ ومن أين تستمد هذه الفعاليات والجماهير المنتفضة قوتها وإيمانها بالتغيير الحتمي؟!

في الواقع أن الحديث عن التغيير المرتقب الذي كان من المتوقع له أن يطال البنية السياسية للشرق الأوسط ليس بجديد، ولا هو حلم رومانسي كوردي فحسب، فقد ظهر أول ما ظهر على شكل قراءات علمية نخبوية، خاصة في إطار الدراسات الاستشرافية لبعض مراكز الأبحاث والجامعات، إلا أنها تزايدت، تكررت وتعمقت مضامينها مع كل منعطف جيوسياسي وحدث كبير على الصعيدين الإقليمي والعالمي، خاصة منذ تفكك الإتحاد السوفيتي السابق، بعد تغيير خارطة وحدود الدول في أوربا الشرقية، آسيا الوسطى والقوقاز، فضلا عن فعالية وقوة

إعادة توحيد ألمانيا، وبالتالي تصدع النظام العالمي المنبثق من مؤتمر يالطا (١٩٤٥م)، بعد الحرب العالمية الثانية.

لا يمكن الفصل بين مسألتي التقسيم والتكوين الحالي للشرق الأوسط وبين ظاهرة تكون الدولة العراقية كمحور وأساس لها، كانت أرض العراق ومازالت رقعة جيوسياسية معقدة، فقد كانت منطقة صراع عثماني – صفوي طوال عدة قرون، لدرجة أن الحكم العثماني لم يستقر فيها إلا لسنوات قليلة.

إثر التراكم الرأسمالي في أوربا الوسطى ومع تنامي القدرات العسكرية الألمانية، تحالفت ألمانيا مع السلطنة العثمانية لمواجهة التوسع الكولونيالي البريطاني – الفرنسي، معها بدأت مشاريع الهيمنة العسكرية والاقتصادية وإنفتحت بوابات الصراع على الشرق الأوسط أمام الدول الأوربية الرئيسية. إلى أن شكل مد خط سكة الحديد لقطار الشرق السريع، الذي ربط برلين مع استانبول، وصولا إلى بغداد أحد أبرز النقاط الجيوإستراتيجية في السياسات الأوربية عهدئذ، حيث أفسح الخط المجال لوصول القوات الأمانية إلى تركيا فالعراق بسهولة، خط الحديد هذا شكل منعطفا خطيرا في موقع العراق ضمن السياسات الدولية وقلبت الموازين الجيواستراتيجية، بحيث أصبح النفوذ الألماني قابللا للوصول إلى كوردستان فإيران وحتى منطقة الخليج، وهذا ما عملت بريطانيا على مقاومته بقوة، وثمة من يفترض أن أحد أهم عوامل وأسباب إشتعال الحرب العالمية الأولى وتسريعها هو قطار الشرق السريع. وما ان إشتعلت الحرب العالمية حتى قررت بريطانيا إحتلال العراق والسيطرة على منطقة الخليج وعلى نفطها، ومنع وصول الألمان الى العراق بأي ثمن.

لذلك جاءت إتفاقية سايكس – بيكو في جوهرها لتبرر الهجوم البريطاني على العراق، ولتؤسس لبداية المرحلة الكولونيالية في الشرق الأوسط، حيث انبثقت من ذلك النظام الكولونيالي الدول القائمة حاليا، وبالتالي الخارطة السياسية لعموم منطقة الشرق الأوسط.

إن إتفاقية سايكس – بيكو وربما فكرة تقسيم منطقة الشرق الأوسط قد ولدت من صلب خطة التحكم بالعراق وإستثمار نفطه، لدرجة أن بعض الآراء تحيل رسم الخطوط المستقيمة في الاتفاقية المذكورة إلى مسارات نقل النفط فقط، إذ أن الخطوط لم تأخذ بعين الاعتبار أي تقسيمات إدارية أو تباينات ثقافية: "هو إتفاق بين الدبلوماسيين البريطاني والفرنسي بتقسيم المنطقة طبقاً لخطوط مستقيمة بالقلم، لا تمت للحقائق الاجتماعية بصلة. وما لا يعرفه الكثيرون هو أن تخطيط الحدود هذا كان قائماً على تقسيم الموارد البترولية في هذه المنطقة الغنية بالذهب الأسود، وبالتالي جاء التقسيم بناءً على رغبة كل من فرنسا وبريطانيا في تنظيم أنابيب البترول لكل منهما، حيث تبدأ إحدى هذه الأنابيب من كركوك وينتهي طرفها في حيفا (بالنسبة لبريطانيا)، وطرفها الثاني في طرابلس اللبنانية (بالنسبة لفرنسا)، أي ينتهي في منطقة نفوذ كل منهما" .

لقد بدأت الخطوات العملية لاحتلال وتقسيم المنطقة في خريف عام ١٩١٤ عندما هاجمت القوات البريطانية بقوامها البشري الهندي - الباكستاني والبلوشي بأعداد غفيرة البصرة، وجرت معارك طاحنة ذهب نتيجها عشرات الآلاف من القتلى، إلا أن استولت القوات البريطانية على بغداد: "دخلت القوات البريطانية بغداد في ١٩١٧/٣/١١ وهو حدث مهم بعد أربعة قرون من الحكم التركي، إنزعج بعض سكان بغداد وفرح بعضهم الآخر لقدومه. القائد البريطاني

ستانلي مود ألقى خطابا على أهالي بغداد قال فيه: إن البريطانيين جاؤوا محررين لا فاتحين."

لقد كانت العراق محورا للاهتمام الكولونيالي البريطاني – الفرنسي وهاجسا رئيسا لكي لاتصل إليها ألمانيا، خاصة بعد انجاز خط قطار الشرق السريع الذي يربط برلين باستانبول وصولا إلى بغداد! كما سبق ذكره ، وهذا يدل على أن الحرب والرغبة بتقسيم المنطقة جاءت قبل اتفاق سايكس بيكو بعدة سنوات. لكن حدود الدول في الشرق الأوسط لم تستقر إلا بعد سلسلة من الإتفاقيات، حيث "أن سايكس – بيكو لا يُقرأ منفصلاً عن جملة الاتفاقات والمعاهدات التي أعقبته، من وعد بلفور إلى لوزان مروراً بسيفر وسان ريمو، وأن جملة الاتفاقات تلك، هي من أعطى المشرق والإقليم شكله وخرائطه، أنشأ دولاً لشعوب غير قائمة، أو غير مكتملة التشكل، وحرم شعوباً متأسسة، من حقها في الدولة وتقرير المصير، مثل الفلسطينيين والأكراد." لذلك من المنطقي الحديث اليوم عن نهاية محتملة لسان ريمو في المقام الأول: "في مؤتمر سان ريمو في العام ١٩٢٠ أعطت اتفاقية سايكس – بيكو، على سبيل المثال، الأراضي التي تشكل اليوم شمال العراق لفرنسا، وتوقعت نظاماً دولياً للأراضي المقدسة. ومنح مؤتمر سان ريمو عصبة الأمم موافقته على الحدود التي رسمتها فرنسا وبريطانيا في وقتٍ لاحق– تمّ تأسيس لبنان خلال فترة الانتداب الفرنسي على سوريا، وتمّ فصل شرق الأردن خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، ونشأ الانتداب البريطاني على العراق من ثلاث محافظات عثمانية وهي الموصل وبغداد والبصرة. قد تكون الإشارة إلى الانهيار المحتمل للنظام الإقليمي في الهلال الخصيب باسم نهاية سان ريمو أكثر دقة، إلا أنه لا جدوى من الدخول في جدلٍ دلالي."

منذ الحرب العراقية – الايرانية واحتلال العراق للكويت وتداعيتها، باتت كل الدراسات والتوقعات تشير على أن النظام الذي تأسس إثر إحتلال بريطانيا لبغداد عام ١٩١٧م، وصولا إلى مؤتمر يالطا (١٩٤٥)، سيتغير بدءا من العراق وعبره، وهذه الفكرة ترسخت بعد سقوط بغداد المدوي بيد قوات التحالف الدولي بقيادة الولاياة المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٣، ومع هذا الحدث بات الاستقرار الجيوسياسي في الشرق الأوسط يشهد متغيرات عميقة ويواجه مصاعب حقيقية، لذلك ليس من باب التنظير أن يعد العراق مفتاحا لتغيير المنطقة، فكلما إزداد درجة ضعف حكومتها المركزية زادت معها إحتمالات تفكك العراق وبالتالي إنتقال هذا التغيير إلى دول الجوار، وصولا إلى تصدع النظام الإقليمي، إلى أن تنتهي المنظومة السياسية والحدود التي أسست لها اتفاقيتي سايكس – بيكو وسان وريمو وغيرهما. يبدو أن العراق بهذا المعنى بات أحد أهم مفاتيح إلغاء النظامين ما قبل الكولونيالي، أي النظام الوريث للإمبراطوريات، وكذلك النظام ما تحت الكولونيالي المرتسم والمطبق على الأرض حتى وقتنا الراهن. إضافة إلى ان الحرب الأهلية السورية تساهم في زيادة دور العراق المرجح لعملية التفكيك، ومع ذلك يبقى البحث عن محددات التغير في الشرق الأوسط، مسارها والتحديات التي تواجهها ليست سهلة، أو بسيطة.

***النظام الإقليمي على المحك**

النظام الإقليمي في الشرق الأوسط تعرض منذ أمد طويل للاهتزاز، وتشكلت مقدمات لزعزعة بنيتها الداخلية خلال عدة حروب، كما تم التنظير لإعادة تقسيمها على أسس سياسية وحسب تباينات محلية عديدة، فمنذ ثلاث عقود وحتى في ظل ثبات وجمود نظامي القطبين

العالميين، تم الترويج لأراء وقراءات حول احتمالات تغيير خارطة الشرق الأوسط، من مدخل تفتتها: "وبات عنوان إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط أحد العناوين الرئيسية في الكثير من التقارير والمقالات الصحفية، والأبحاث العلمية، التي تنشرها كبريات الدوريات، ومراكز الأبحاث المعنية بشئون العلاقات الدولية، ومستقبل السياسة العالمية."

من جانب آخر استخدمت مؤشرات التغيير وقابليتها لأغراض دعائية وسياسية، حيث كانت تربط غالبا بمفكرين وجهات بحثية إسرائيلية، ولم تكن تلك التهم متأتية من فراغ، فلقد نشرت في هذا السياق عدة أبحاث متضمنة سيناريوهات تقسيمية، تم التهويل لخطرها من جهة وأسطرتها من جهة أخرة، بدءا بخطة أودد ييينون – ١٩٨٢ أحد أبرز العاملين في القيادة الاسرائيلية. تلخصت خطة ييينون بلبننة العالم الإسلامي كله . لاحقا نشر برنار لويس خارطة وتصور لمنطقة الشرق الأوسط منبثقة سياسيا ومترجمة التنوع الطائفي والقومي في المنطقة. استمرت السيناريوهات والتصورات في نفس الإتجاه وصولا إلى رأي موشي يعلون، مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية وآخر وزير دفاع فيها، إذ أكد أن خطة بلقنة الشرق الأوسط ممنهجة وتسير عمليا نحو التطبيق . ما هو ملاحظ أن القراءات الاستشرافية والافتراضات قد تكررت حول إحتمالات التغيير المرتبطة ميكانيكيا مع آليات التقسيم للدول القائمة، لكنها في الغالب إستندت بمنطقها الداخلي على خطاب مختصره: أن التباين في ثقافات المنطقة وتركيبة شعوبها والتضاد في مصالحهم ستؤدي إلى حتمية تحولها إلى دويلات صغيرة، دون تقديم مبررات كما في حالة الدروز، والحكم مسبقا على أن التباينات ما تحت القومية والطائفية ستولد ما يوازيها من دول مستقلة.

أحداث ما بعد سبتمبر ٢٠٠١ وتراكم مجموع العوامل المحفزة للتغيير شجعت من جديد على ترجيح كفة إحتمالات تغيير خارطة

المنطقة واعادة تشكيل بعض دولها، وبات هذا الرأي يرد في سياق البديهيات بعد نمو وتمدد تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) وإحتلاله لأجزاء واسعة من سورية والعراق، وإعلانه بصورة دعائية ورمزية نهاية سايكس –بيكو عام ٢٠١٤.

بعد أن مرت ذكرى مئوية الاتفاقية وبعد أن باتت حركة داعش في إلغاء الحدود ضمن أرشيف فيديوهات الترويج الاعلامي، كما إقتربت قوات الدولتين المركزيتين في بغداد ودمشق من أطراف حصون داعش، مع جملة من المعطيات الأخرى، ترافقت مع عجز في تقديم مشاريع سياسية جديدة، وخطط عملية لحل معضلات الدول القائمة، جمود في المبادرات الدولية الفعالة، كل ذلك ساهم في إعادة صياغة وبلورة آراء مغايرة، لتعلن أن النظام الإقليمي ثقيل وراسخ، يحمي مصالح طبقات حاكمة متجذرة لدرجة أنه لن يتغير سريعا وأن المتغييرات كلها ستجري داخل الحدود القديمة، فضلا عن أن الدولتان اللتان تشكلان ركيزة النظام الإقليمي تعملان بروية للمحافظة على حدودهما الخارجي وكيانهما المركزي.

حتى تركيا المتضررة نظريا من اتفاقية سايكس – بيكو هي أول من تهدف وتؤكد المحافظة على الحدود الراهنة، وإن تعالت فيها آراء تريد أن تخفف من المعضلات التي انتجتها الحدود القديمة: "هذا النظام الذي نشهد اليوم انهياره، لكن كما أن هذه الحدود لم تكن وليدة لحظة واحدة وهذا النظام ليس حصيلة اتفاقية واحدة فان انهياره بكل تأكيد لن يكون كذلك وليد اللحظة ولن يكون دفعة واحدة... لهذا السبب لا بد من تخطي الحدود والتجاوز عن اصطلاحيتها وتجريدها من أي قيمة تحملها. بكلمات أخرى، بدلا من رسم حدود جديدة مكان تلك الحدود القديمة من الأولى أن نصب اهتمامنا على تطوير توجهات ورؤى جديدة تتجاوز الحدود واصطلاحيتها هذه التوجهات قد تكون حدود أكثر مرونة أو

مساعي نحو الاندماج والتكامل بين الدول أو تشجيع وتبني التعاون المشترك."

وعلى العكس من بعض الآراء السياسية التي تشير إلى أن إيران تسعى لتغيير خارطة المنطقة، عبر تعويم صيغة الفيدراليات الطائفية، فإن هدفها الحقيقي يكمن في المحافظة على الشكل الخارجي للدول الحالية وزيادة نفوذها داخل منظوماتها القديمة، سعيا للتحكم عن بعد بحكوماتها: "هوية النظام الإيراني الإيديولوجية تستقيم مع أية حالة تفتيتية... فالفيدرالية الطائفية السياسية، تحدد المسار الإيراني الفعلي في تقسيم المنطقة كلها، ومنها الأمة العربية انطلاقاً من العراق"

لاشك بلغ الدور الحاسم للقوى الدولية ذروته قبل مائة عام في مرحلة صعود الكولونيالية وضمور إمبراطوريات المنطقة، أما الآن فالمعادلة معكوسة، فعلى ما يبدو ثمة شبه إجماع على أن الدور الرئيس سيكون في صياغة سمات المنطقة للقوى الإقليمية الفاعلة وخاصة إيران وتركيا والسعودية."القوى الإقليمية تلعب دوراً متعاظماً في تقرير مستقبل المنطقة، وأن اللاعبين "اللادولتيين"، باتو اليوم، قوى يحسب حسابها ... ثم لا مستقبل لأي اتفاق للتقسيم من دون موافقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ناهيك عن تعاظم قدرات شعوب المنطقة ومجتمعاتها على المقاومة."

بإختصار ودون الاسهاب في عرض الآراء، لا يمكن أن نتصور تغييرا جذريا في خارطة المنطقة بدون أن تواجه مقاومة من قبل القوتين الرئيستين في الشرق الأوسط ودعامتي إستقرارها تركيا وإيران، حتى وإن إختلفت مصالحها وتناقضت رؤيتهما للمشهد السياسي، ستظل كل من تركيا وإيران معترضتان من حيث المبدأ على أي تغيير يلامس الحدود الخارجية لدول المنطقة، لأنهما متفقتان على

جزئية واحدة تكمن في التخوف من القوة الكوردستانية الصاعدة. وهما ليس في وارد القبول بنظام إقليمي جديد على حساب دورهما المركزيان، ونظرا لرغبتهما في تغيير بعض الأنظمة، كلا حسب مصالحه، فإنطلاقا من هذا الموقف المتناقض يتم إعادة إنتاج معضلات سياسية أكثر تعقيدا.

*** نظام دولي محافظ**

في علاقة جدلية ومركبة بين مستويات الوطني والاقليمي فالدولي، يبدو أن كل من العراق وسوريا كانا وسيظلان مفتاحي التغيير للنظام الإقليمي والسياسي القائم في الشرق الأوسط، ومن هنا نجد أن التريث والترقب والتردد هو عنوان رئيس لهذه المرحلة، وخاصة في بند تغيير أنظمة الحكم، ودور القوى الدولية العظمى فيه، كمدخل للتأسيس للمرحلة الجديدة. إن تغيير النظام الإقليمي المترسخ بعد الحربين العالميتين ضمن المشهد الراهن، يتطلب تغيير نظامي الحكم في دمشق وبغداد، كخطوة تمهيدية، والتي تمهد بدورها لتغيير بنيتهما الداخلية، فتنتقل إلى الجوار.

لكن ما تأكد أن النظام الدولي غير قادر على البت في هكذا عمليات تغيير كبرى، بسبب إضطراب العلاقة بين أطرافه، فضلا عن أنهم غير متوافقون على فكرة التغيير نفسها. إذ يبدو أن النظام الاقليمي البديل لم يتبلور وهو مترابط مع النظام الدولي الذي لم يترسخ ولم تتضح معالمه الأخيرة بعد، وما التقارب الأمريكي – الروسي إلا أحد مقدمات التفاهم على الإطار العام للنظام الدولي، أو هو في الواقع مسعى خجول لبناء

ما يشبه نظام عالمي متعدد الأقطاب عبر التوافق الأولي على شكل ومستقبل الشرق الأوسط، وكذلك الحرب على الإرهاب.

هذا ويفترض أن يتم إعادة تشكيل النظام الاقليمي الجديد، عبر إحتمالين، الأول أن تبقى الحدود الخارجية للعراق ثابتة إنما يعاد رسم حدودها الداخلية سواء بصيغة كونفدرالية أم فدرالية، والاحتمال الآخر أن تنضم أجزاء من خارج العراق إلى دولها الثلاث المتشكلة (الكوردية، السنية، الشيعية) وهذا ما سينهي عمليا شكل الحدود الخارجية لدولتي العراق وسورية في الخطوة الأولى، بعد أكثر من ثمانين سنة على تثبيتها بالصيغة الحالية. هذا المدخل إن تحقق سيلامس إيران ويخصها قبل الولايات المتحدة الأمريكية، فإيران قد لا تكون تاريخيا معنية جوهريا بالنظام الذي أسس بعد الحرب العالمية الأولى، ولكنها تعترض على أن تبرز دولة كوردية على حدودها، وبدأت تعمل لوقف مسار تحررها وولادتها على أرض الواقع، لأن هذه الدولة ستؤثر على بنيتها الداخلية بالضرورة، على الرغم من أن الكثير من الآراء تتهمها بالتعاون مع القوى الدولية لإعادة رسم خارطة المنطقة لصالحها، خاصة من منظور قراءة المشهد السوري: "وكأن سيرغي لافروف ومحمد جواد ظريف مُنحا الدور الذي لعبه قبل مئة عام الفرنسي فرنسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس بين تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ وأيار (مايو) ١٩١٦ عندما تقاسم بلداهما إرث الدول العثمانية المتهاوية في المشرق العربي."

من جانب آخر تركيا منخرطة عمليا في وقف مسار أي تغيير تفسح المجال أمام أي مكاسب للكورد، خاصة على طول حدودها مع سورية، وما يزيد تعقيد المشهد الإقليمي أن كل من تركيا وإيران تسعيان وتلعبان أدوارا رئيسة لتغيير أنظمة المنطقة وإعادة ترتيب بيئتها السياسية لصالحهما، دون أن يصل هذا التغيير إلى كوردستان المقسمة بينهما،

ومن هذا التناقض تتوالد العديد من المشكلات الإضافية، وبصرف النظر عن هذه النظرة المتخوفة فلا يمكن الفصل بين مسألة التغيير في الشرق الأوسط والملف الكوردستاني بأي شكل من الأشكال. في حين يظل دور القوى الأقليمية الأخرى ذات تأثير أقل، ولكن لا يمكن إهمالها خاصة الدور السعودي والإسرائيلي بعد تراجع الدور المصري.

حسب قراءتنا الأولية الراهنة فإن مصير الشرق الأوسط أحيل مرة أخرى بقوة إلى النظام الدولي، الذي لم يبت بأمره ولم يفصح عن نفسه بصيغة أكثر وضوحا مما هو عليه من عجز وترهل، النظام الدولي القائم إفتراضا مازال جامدا ويفتقد إلى الروح والفكر، يعاني من الجمود والتلكؤ، لدرجة يمكن توصيفه بأنه بات نظاما محافظا سلبيا، آخر ما يطلبه، أو قادر على تحقيقه هو تغيير البنية السياسية والدولتيه للشرق الأوسط.

يمكن الاعتماد بهذا الخصوص على عشرات الآراء التي تؤكد سلبية النظام الإقليمي إزاء سيرورة التغيير الإقليمية:"هذا هو الخطأ التحليلي النهائي لحجة "نهاية سايكس – بيكو". الغرباء هم من قاموا برسم تلك الحدود. يبدو أن لا مصلحة لأي غريب بإعادة رسمها، أو بالاعتراف بإعادة رسمها، في الوقت الراهن. ولا شكّ أن الولايات المتحدة لا ترغب بذلك. قدمت الولايات المتحدة رعايتها لحكومة إقليم كردستان منذ نحو ٢٥ سنة، إلا أنها لم تشجع الأكراد يوماً على إعلان استقلالهم. ولم يقترح أي زعيم روسي أو صيني أو أوروبي عقد مؤتمر دولي لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط. قد تشهد الدول هذه تفككاً داخلياً. وقد تنشأ سلطات "أمر واقع" حاكمة. ولكن لا يبدو أن رياح التغيير ستطال الحدود الدولية بحدّ ذاتها. يشهد كل عمل في الشرق الأوسط تصاعداً هاماً، مع خوض مختلف الجماعات المحلية والإقليمية معارك من أجل السيطرة على هذه الدول ومع تقديم القوى الإقليمية المساعدة

لحلفائها في هذه المعارك. ولكن يبدو أن هذه المعارك ستستمر، على الأقل رسمياً ومن حيث القانون الدولي، ضمن الحدود التي رسمها الفرنسيون والبريطانيون منذ نحو مئة عام. في الواقع، تعيش اتفاقية "سايكس – بيكو" طالما أن السلطة ضمن حدودها تتسم بالضعف."

لا تتوقف الأراء عند هذا الحد، بل ثمة من يرى من أبناء الشرق الأوسط نفسها أن عملية التغيير ستهدد الأمن الشرق أوسطي والأوربي معا، والتغيير هو مصدر الإرهاب الرئيس: " لذا فقد برز مؤخراً تفاهم كيري – لافروف، لرسم وادارة الصراع وتحديد طبيعته ومستقبله في هذه المنطقة..لأن هذا المشهد الأمني والسياسي لم يكن، ولم يعد مقبولاً من قبل الدول الغربية وروسيا.. وبما ان اعادة صياغة المنطقة جغرافياً يرتب مسؤوليات بالغة الصعوبة والتعقيد.. كان لا بد من العمل على ضبط وتيرة الايقاع الأمني ولجم انتشار الصراع المسلح او على الاقل احتوائه والحد من تفاقمه"

بل أن بعض الأصوات باتت تنتقد أوربا لأنها تهمل وتستخف بالتفكك الحاصل في الشرق الأوسط، وتدعوها لممارسة المزيد من التحفظ إزاء المتغيرات، لأنها لا تنقذ تركتها ونظامها الذي خطته بدءا بسايكس – بيكو، هذا النظام الذي يحمي أوربا من مخاطر تفكك الشرق الأوسط

إن ما أكد ويؤكد الطابع المحافظ للنظام العالمي، يتضح من عدم رغبته الصريحة في تغيير خريطة المنطقة، كما برزت وتمظهرت في عدم استعجال القوى العظمى وقلة حماسها لتغيير الأنظمة السياسية إبان مد الربيع العربي، وقد تلخصت عملية التحفظ في الموقف من بقاء نظام الحكم في دمشق، حيث كان سيشكل تغييره أحد أهم مفاتيح رسم مستقبل الشرق الأوسط، فالإصرار على بقاء النظام وتوافق القوى العظمى من أمريكا وروسيا إلى دول الاتحاد الأوربي، فالصين على

ذلك، هو مؤشر على الرغبة في البقاء والمحافظة على مجمل النظام الاقليمي العجوز والمترهل، وعدم المساس بمرتكزات بقائها واستمراريتها.

***النتائج**

في ظل هذا المشهد الراهن وفي استشراف بسيط لمشهد السنوات القليلة القادمة فمن غير المتوقع أن يتم تغيير جذري على خارطة المنطقة، وبالتالي على النظام الاقليمي الشرق أوسطي، للإعتبارات الأساسية التالية:

١)النظام العالمي الجديد لم يتبلور ولم يترسخ بعد، وهو في حالة من الإضطراب بحيث يصعب عليه الإتفاق على تغيير خارطة الشرق الأوسط الأكثر حساسية في العالم، فضلا عن عدم وجود حماس ورغبة لإجراء تغييرات جذرية، بل أن النظام الدولي الراهن متحفظ حتى على تغيير الأنظمة الإستبدادية، وما التجربة السورية إلا تأكيد وتصديق لذلك.

٢)الدول العظمى: أمريكا، روسيا والاتحاد الأوربي، الصين غير متطلعة ولا مقتنعة بالتغيير، وإلا لحسمت أمر تغيير نظام الحكم في دمشق منذ عام ٢٠١٢، حيث كان يعد تغييره مفتاحا لمجمل المتغيرات وإعداد الخارطة الجديدة للمنطقة.

٣)إن أي تغيير جذري في الخارطة يقتضي بالضرورة التأسيس لنظام إقليمي جديد، مترافق على الأرجح مع ولادة دولة كوردستان، وستكون هذه الولادة على حساب كل من أنقرة، طهران، بغداد، ودمشق، وهذا ما

لم ترجحه، ولم تقرره القوى العظمى بعد. فمصلحة الدول الربعة مجتمعة أهم من التمسك بحق الكورد في الاستقلال.

٤)إن النظام الإقليمي الذي أسست له إتفاقية سايكس – بيكو، ضربت في حينها مصالح تركيا وألمانيا، ولكن تركيا الراهنة تدافع عن الاتفاقية بهدف الحفاظ على مصالحها المستجدة والمتمثلة بالحفاظ على آخر الأقاليم غير التركية وهي كوردستان، في الوقت نفسه مصلحة إيران تقتضي أن لا تتزعزع الحدود الحالية.

٥)ألمانيا، المتضررة من النظامين الإقليمي والدولي طوال القرن الماضي، لا تبدي طموحات سياسية واضحة في الشرق الأوسط، وهي ليست بصدد استرجاع نفوذها، ولا تفصح عن مستقبل علاقتها مع الإقليم عموما وكوردستان خصوصا. فبدون سياسة ألمانية جديدة وطموحة يصعب صياغة نظام دولي وإقليمي جديد.

٦)سيظل قرار التغيير الرئيسي بيد واشطن للفترة القادمة، لكنها لا تفصح عن جوهر سياساتها إتجاه المنطقة، أو لم تتبلور بعد أهدافها الاستراتيجية. ربما تعاني من خلافات داخل أطراف الإدارة المريكية. كما أن روسيا مازالت مترددة في مساندة الكورد، ولم تقرر تماما أنها سترسخ موقع قدمها في كوردستان.

في الجانب الآخر، ثمة عوامل مؤثرة يجب أن تتوافر لترجيح عملية التغيير في المنطقة، وبالتالي تنهي النظام الإقليمي الكولونيالي وما تحت الكولونيالي اللذان تشكل اتفاقية سايكس - بيكو مفصلا وعنوانا لهما وهي:

١)توافق دولي على تغيير النظام الإقليمي الحالي، وإقتراح الإطار العام البديل في إقليم الشرق الأوسط على أقل تقدير. لأن مشكلات الإقليم بما فيه الحرب على الإرهاب تتطلب ذلك.

٢)إنهاك قوة اللاعبين الرئيسين التقليدين الضابطين للنظام الإقليمي أي تركيا وإيران، وبلوغهما درجة من الضعف بحيث لن يتمكنا من مقاومة عملية التغيير على الأرض، ولن يخوضا حروبا من أجل وقف سيل التغيير. وبالتالي ينبغي التخلص من متراحجة التوازن الإقليمي المزمنة: إيران – تركيا.

٣)إن الشرط الرئيس الذي قد يهيأ تغيير الخارطة، ويشكل المسار الرئيس له يكمن في عملية إستقلال كوردستان العراق أولا، وهذا يتطلب ويستلزم موقفا سياسيا كوردستانيا موحدا ومتحمسا لهكذا مسيرة إستقلالية، فضلا عن صعود إستثنائي للقوة السياسية والعسكرية في عموم كوردستان. بمعنى ضرورة تحقق وحدة قومية شبه شاملة تحت قيادة موحدة، وتوحيد الجيوش الحالية وخاصة في إقليم كوردستان العراق ومناطق غرب كوردستان وسورية، وزيادة مطردة في عددها وأسلحتها بحيث تكون قادرة على المساهمة في تغيير الحدود الحالية والمحافظة على الحدود الجديدة. هذا ما لا نتوقعه في المنظور القريب بسبب الخلافات الجوهرية بين القوى السياسية الكوردستانية، ونتيجة تردد، بل عدم وجود هكذا هدف لدى عدد من القوى الكوردستانية الرئيسة.

٤)رغبة العرب السنة في تغيير النظام الإقليمي وأشكال الدول القائمة خاصة العراق وسورية، والتمهيد له بتشكيل أقليمن أو إقليم موحد في كل من سورية والعراق (فدرالي، كونفدرالي) على أنقاض (الدولة الاسلامية في العراق والشام)، ويكون محرك هذا المشروع البيئة

الاجتماعية لسكان محافظتي الأنبار ودير الزور، والتوافق بين نخبها السياسية والقبائلية، حتى تعلن رغبتها الصريحة في إنهاء أو تحديد علاقاتها مع مركزي الحكم في بغداد ودمشق، وذلك بمباركة خليجية – اردنية لأنهما المعنيان جيوسياسيا بذلك.

٥)توحد القيادة الفلسطينية وتنامي فعاليتها بحيث تدفع باتجاه حل الدولتين، أو الكونفدرالية مع الأردن.

٦)إتفاق بين القوى العظمى والشركات الكبرى المنتجة للنفط والغاز حول آليات إستثمار الطاقة وخاصة الغاز، والتوافق على طرائق نقلها، بحيث تؤمن الخارطة الجديدة حسن تسويق النفط والغاز وتلبية متطلبات إيصالها بسهولة إلى الاتحاد الأوربي بأرخص الأثمان، دون المساس بمصالح روسيا الإتحادية.

****

- بالتعاون مع مركز روداو للدراسات – أربيل، إقليم كوردستان العراق

اتفاقية سايكس - بيكو... وتقسيم المنطقة

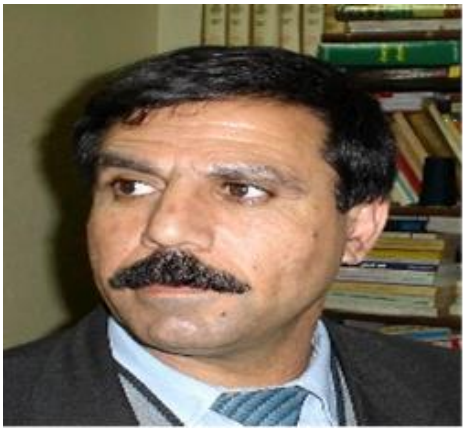

إعداد: سلمان بارودو

بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، ودخول الدولة العثمانية في تحالف إلى جانب ألمانيا ضد دول الحلفاء بزعامة بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية، أدى ذلك إلى قطع خطوط المواصلات الاستراتيجية لبريطانيا مع مستعمراتها مما أدى بالتالي إلى انقطاع شريان الإمدادات الحيوي للحرب والحياة العامة البريطانية بسبب اعتمادها الكلي في مواردها وموادها الأولية وتمويل قطعاتها علاوة على منافذ التجارة التي تعد عماد الاقتصاد البريطاني، الأمر الذي أدى ببريطانيا إلى اعتماد خطة سريعة الهدف منها احتلال العراق من بين عدد من الأهداف، في الوقت الذي كان الجهد العسكري في المواجهات مع ألمانيا وحلفائها منصباً على الجبهات الرئيسية في قلب أوروبا، واجهت بريطانيا موقفًا عصيبًا في المنطقة بعد أن فشلت حملتها العسكرية في العراق، وزاد ضغط القوات التركية على منطقة قناة السويس، وكذلك فشلت الحملة البريطانية ضد منطقة المضايق التركية؛ هذا الأمر جعل تعاون العرب مع القوات البريطانية أمراً حيوياً للغاية؛ لذا عملت بريطانيا على استمالة الشريف حسين، حاكم الحجاز، إليها، وبدأت بين الجانبين مكاتبات ومراسلات استمرت ١٨ شهراً، عُرفت باسم

مراسلات حسين مكماهون، كانت بريطانيا تهدف من ورائها إلى دفع العرب إلى الثورة على الأتراك، أما الحسين فكان يهدف إلى إقامة دولة عربية تشمل العراق والشام والحجاز يتولى هو حكمها.

وكان تضارب مصالح الدول الأوروبية الحليفة في المنطقة العربية سببا قوياً في إيجاد الشكوك وعدم الثقة بين هؤلاء الحلفاء، وهو ما يؤثر سلباً على موقفهم في الحرب، فروسيا تطمع في إدخال القدس وفلسطين ضمن نفوذها؛ نظراً لوجود رجال الدين والكنائس الأرثوذكسية بها، بينما فرنسا تسعى نحو تثبيت نفوذها في منطقة بلاد الشام خاصة سوريا، وكان ذلك باعثاً لتخوف الحكومة البريطانية؛ إذ إن الوجود الفرنسي والروسي على هذا النحو يحرمها من خليج (عكا-حيفا) المنفذ الرئيسي للعراق على البحر المتوسط، كما أن بريطانيا لن ترضى أن ترى فرنسا أو روسيا على مقربة من قناة السويس؛ لأن ذلك يهدد طرق مواصلاتها مع الهند.

أما فرنسا فقد جاءت ظروف الحرب العالمية الأولى لتزيد مخاوفها من السياسة البريطانية؛ ذلك أنه بعد فشل حملة "الدردنيل" رأى القائد الإنجليزي كتشنر أنه لكي يستطيع الحلفاء إرجاع جزيرة گاليپولي، فإنه لا بد من إنزال ١٠٠.٠٠٠ جندي في ميناء الإسكندرونة، ثم تبدأ قوات الحلفاء التغلغل من هناك نحو الأراضي التركية؛ لأن ذلك يضمن قطع طريق المواصلات التركية من وسطها، فيحدث ارتباك في عمليات الإمداد والتموين للجيش التركي الذي سيضطر للتسليم بعد محاصرته، إلا أن فرنسا نظراً لعجزها عن تنظيم مثل هذه الحملة الكبيرة رفضت الموافقة على هذه العملية التي سيكون عمادها الجيش والأسطول البريطانيَّين؛ لأن ذلك سيعرض المصالح الفرنسية في سوريا للخطر، إلا أن احتلال الجيش البريطاني لسوريا سيعمل على تقليل النفوذ بها،

ويدفع السوريين إلى التحالف مع الإنجليز ظناً منهم أن نجم فرنسا قد أفل.

والمعروف أن فرنسا لها أطماع قديمة في سوريا، منذ عام ١٨٦٠ حيث عملت على التغلغل المالي والثقافي في هذه المنطقة، وكانت مدارسها في لبنان وحده لا تقل عن ٣٠٠ مدرسة فلما جاءت الحرب العالمية الأولى، وجدت فرنسا فيها فرصة لإقامة إمبراطورية فرنسية في آسيا تكون قاعدتها بلاد الشام.

وأمام هذا التعارض في المصالح لم تجد هذه الدول الاستعمارية أمامها من سبيل إلا التباحث فيما بينها، وتحديد مناطق نفوذ كل دولة حتى تزول أسباب الشكوك والخلافات؛ لتسير المعارك الحربية على الوجه الذي ترغب فيه هذه الدول.

وبينما العرب يسعون بكل قوتهم للحصول على اعتراف بحقهم في تأسيس دولة عربية، كانت تُجرى – سراً- مفاوضات بين دول الوفاق (بريطانيا وفرنسا وروسيا) حول اقتسام الدولة العثمانية بما فيها البلاد العربية، ومما يلفت النظر أن هذه الدول كانت تنتقد ألمانيا صباح مساء لخرقها حرمة المعاهدات والعقود الدولية، وتعلن أنها لن تلقي السلاح حتى تعود ألمانيا إلى رشدها، وتحملها على احترام المواثيق الدولية.

وفي أبريل ١٩١٥ تم التوقيع على اتفاق سري بين بريطانيا وفرنسا وروسيا نصّ على حق روسيا في الاستيلاء على المضايق التركية والمناطق المجاورة لها، وهي بحرا مرمرة والدردنيل، وجزء من شاطئ آسيا الصغرى، مقابل أن تصبح القسطنطينية مدينة حرة، وضمان حرية الملاحة في منطقة المضايق، وأن تعترف روسيا بحقوق بريطانيا وفرنسا الخاصة في أقاليم تركيا الآسيوية، على أن تُحدّد هذه الحقوق فيما بينهما بمقتضى اتفاق خاص، كذلك أن تخضع الأماكن

المقدسة وشبه الجزيرة العربية لحكم إسلامي مستقل، وأن يُضمّ جزء من إيران إلى منطقة النفوذ البريطانية.

وبينما كانت المفاوضات تجرى على هذا المنوال بين العواصم الثلاث، تم توقيع اتفاق آخر سري ضم هذه الدول بالإضافة إلى إيطاليا، وكان الهدف منه إغراء إيطاليا على الدخول في الحرب إلى جانب دول الوفاق.

في نوفمبر ١٩١٥، عينت الحكومة الفرنسية المسيو فرانسوا جورج-بيكو، قنصلها العام السابق في بيروت، مندوباً ساميًا لمتابعة شؤون الشرق الأدنى، ومفاوضة الحكومة البريطانية في مستقبل البلاد العربية، ولم يلبث أن سافر إلى القاهرة، واجتمع بالسير مارك سايكس المندوب السامي البريطاني لشؤون الشرق الأدنى، بإشراف مندوب روسيا، أسفرت عن اتفاقية عُرفت باسم اتفاقية القاهرة السرية، ثم انتقلوا إلى مدينة سانت بطرسبورگ الروسية، وأسفرت هذه المفاوضات عن اتفاقية ثلاثية لتحديد مناطق نفوذ كل دولة على النحو التالي:

- استيلاء فرنسا على غرب سوريا ولبنان وولاية أضنة.

- استيلاء بريطانيا على منطقة جنوب وأواسط العراق بما فيها مدينة بغداد، وكذلك ميناء عكا وحيفا في فلسطين.

- استيلاء روسيا على الولايات الأرمنية في تركيا وشمال كردستان. واعترفت المعاهدة كذلك بحق روسيا في الدفاع عن مصالح الأرثوذكس في الأماكن المقدسة في فلسطين.

- المنطقة المحصورة بين الأقاليم التي تحصل عليها فرنسا، وتلك التي تحصل عليها بريطانيا تكون اتحاد دول عربية أو دول عربية موحدة، ومع ذلك فإن هذه الدولة تقسم إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، ويشمل النفوذ الفرنسي شرق سوريا وولاية الموصل، بينما النفوذ البريطاني يمتد إلى شرق الأردن والجزء الشمالي من ولاية بغداد وحتى الحدود الإيرانية.

- يخضع الجزء الباقي من فلسطين لإدارة دولية.

- يصبح ميناء الإسكندرونة حرًا.

هكذا جرت هذه المفاوضات بشكل سري بين السيد مارك سايكس الدبلوماسي البريطاني، والسيد فرانسوا جورج بيكو الدبلوماسي الفرنسي، من نوفمبر عام ١٩١٥ إلى مايو عام ١٩١٦ وكانت على شكل تبادل وثائق وتفاهم بين وزارات خارجية كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك، إلى أن تم التوصل في ١٦ أيار عام ١٩١٦إلى اتفاق رسمي، سمي باتفاقية سايكس بيكو وبمصادقة روسية، بينما كانت نيران الحرب العالمية الأولى مستعرة بين بريطانيا وفرنسا وحلفائها من جهة، والدولة العثمانية وألمانيا وحلفائهما من جهة ثانية، وعلى أساسها تم اقتسام منطقة الهلال الخصيب بينهما لتحديد مناطق النفوذ غرب آسيا بعد انهيار الامبراطورية العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى.

إن اتفاقية سايكس – بيكو تعتبر واحدة من أسوء الاتفاقات التي أبرمت حتى الآن بالنسبة لشعوب المنطقة بشكل عام، والكرد بشكل خاص، حيث جزأت بلاد الكرد بين أربع دول تتحكم بمصيرهم ومستقبلهم ولا تعترف بوجدهم كشعب يعيش على أرضه التاريخية، وله خصوصيته القومية المتمايزة، وبموجب هذه الاتفاقية، قسمت بريطانيا وفرنسا

المنطقة ـ باستثناء شبه الجزيرة العربية ـ إلى خمس مناطق، ثلاث مناطق ساحلية هي المنطقة الزرقاء (السواحل اللبنانية السورية وأعطيت لفرنسا)، الحمراء (السواحل العراقية من بغداد إلى البصرة وأعطيت لبريطانيا)، والسمراء (فلسطين)، ثم منطقتين داخليتين رمز لهما بحرفي (أ) للمنطقة الداخلية السورية، و(ب) للمنطقة الداخلية العراقية، حيث حصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي من الهلال (سوريا ولبنان) ومنطقة الموصل في العراق، أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعاً بالاتجاه شرقاً لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية في سوريا، كما تقرر أن تقع فلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا مينائي حيفا وعكا على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الاسكندرونة الذي كان سيقع في حوزتها.

وبعد وصول البلاشفة إلى سدة الحكم في روسيا عام ١٩١٧ تم الكشف عن هذه الاتفاقية مما أثار غضب الشعوب التي تمسها الاتفاقية، وعندها سارعت بريطانيا إلى طمأنة العرب إلى أن المعاهدة أصبحت ملغاة بعد انسحاب روسيا من الحرب وانضمام العرب إلى جانب الحلفاء. أما الزعماء اليهود فقد احتجوا عليها لدى الحكومة البريطانية، على أساس أن تدويل فلسطين يتنافى وفكرة الوطن القومي اليهودي، فأكدت لهم ان التدويل هو مجرد خطوة مرحلية تكتيكية أملاها موقف فرنسا وروسيا، اللتين كانت لهما مطامع عديدة أيضا في فلسطين، وأنها أي بريطانيا ستعمل لإلغائه، الأمر الذي أكده فعلا صدور تصريح بلفور حتى نهاية الحرب، وكانت ردة الفعل الشعبية – الرسمية المباشرة قد ظهرت في مراسلات حسين مكماهون. حيث أن مراسلات حسين مكماهون خلال

الحرب العالمية الأولى هي تبادل للرسائل بين عامي ١٩١٥ و١٩١٦ بين حسين بن علي (شريف مكة) وهنري مكماهون حامل لقب سير الممثل الأعلى لبريطانيا في مصر، وكان موضوع الرسائل يدور حول المستقبل السياسي للأراضي العربية في الشرق الأوسط، حيث كانت المملكة المتحدة تسعى لإستثارة ثورة مسلحة ضد الحكم العثماني. وعد مكماهون الحسين بن علي باعتراف بريطانيا بآسيا العربية كاملة دولة عربية مستقلة إذا شارك العرب في الحرب ضد الدولة العثمانية. وهذا ما تم خلال الثورة العربية الكبرى.

رأى القوميون العرب وعود مكماهون في رسائله على أنها عهد بالاستقلال الفوري للعرب.

لكن هذه الوعود تم خرقها بتقسيم فرنسا وبريطانيا للمنطقة باتفاقية سايكس-بيكو السرية

إلا أن محتوى اتفاقية سايكس-بيكو تم التأكيد عليه مجدداً في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠. بعدها، أقر مجلس عصبة الأمم وثائق الانتداب على المناطق المعنية في ٢٤ حزيران ١٩٢٢. لإرضاء أتاتورك واستكمالاً لمخطط تقسيم وإضعاف سوريا، وعقدت في ١٩٢٣ اتفاقية جديدة عرفت باسم معاهدة لوزان لتعديل الحدود التي أقرت في معاهدة سيفر. وتم بموجب معاهدة لوزان التنازل عن الأقاليم السورية الشمالية لتركيا الأتاتوركية.

مواد اتفاقية سايكس - بيكو"الجزء الخاص بانجلترا وفرنسا":

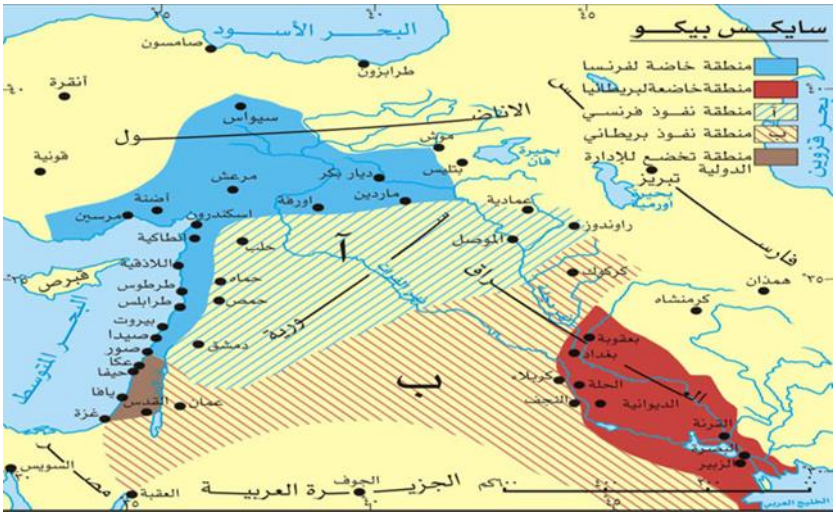

المادة الأولى: ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا أي دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) - (داخلية سوريا)، (ب) (داخلية العراق) المبينتين بالخريطة الملحقة. ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولإنجلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية، وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وانجلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثانية: يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سوريا الساحلية) ولإنجلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثالثة: تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا بالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

المادة الرابعة: تنال انجلترا ما يأتي:

١ - ميناء حيفا وعكا.

٢ - يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما.

المادة الخامسة: تكون اسكندرونة ميناء حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء، ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية وتباح حرية النقل للبضائع الانجليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء سواء كانت واردة الى المنطقة الحمراء أو المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منها. ولا تنشأ معاملات مختلفة - مباشرة أو غير مباشرة - على أي سكة من سكك الحديد أو في أي ميناء من موانئ المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية.

وتكون حيفا ميناء حرا لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض اعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسية ويكون نقل البضائع الفرنسية حرا بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الانجليزية في المنطقة السمراء، سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة (ب) أو واردة اليها ولا يجرى أدنى اختلاف في المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البواخر الفرنسية في أي سكة من السكك الحديد ولا في ميناء من الموانئ في المناطق المذكورة.

المادة السادسة: لا تمد سكة حديد بغداد في المنطقة (أ) إلى ما بعد الموصل جنوبا ولا في المنطقة (ب) إلى ما بعد سامرا شمالا إلي أن يتم

انشاء خط حديدي يصل بغداد بحلب مارا بوادي الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

المادة السابعة: يحق لبريطانيا العظمى أن تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب)، ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط. ويجب أن يكون معلوما لدى الحكومتين أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد وأنه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال في المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لإدارته تجعل انشاءه متعذرا فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة أن تسمح بمروره في طريق بربوره - أم قيس - ملقى - ايدار - غسطا - مغاير، قبل أن يصل إلى المنطقة (ب).

المادة الثامنة: تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ)، (ب) فلا تضاف أي علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين. الا أن يكون باتفاق بين الحكومتين ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه وما يفرض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة إلى الداخل يدفع في الميناء ويعطى لإدارة المنطقة المرسلة اليها البضائع.

المادة التاسعة: من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لا تجرى مفاوضة في أي وقت كان للتنازل عن حقوقها، ولا تعطى مالها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى الا للدولة أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء.

المادة العاشرة: تتفق الحكومتان الانجليزية والفرنسية بصفتهما حاميتين للدولة العربية على أن لا تمتلكان ولا تسمحان لدولة ثالثة أن

تمتلك أقطاراً في شبه جزيرة العرب، أو تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الابيض الشرقي على أن هذا لا يمنع تصحيحا في حدود عدن، قد يصبح ضروريا لسبب عداء الترك الأخير.

المادة الحادية عشرة: تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية.

المادة الثانية عشرة: من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية.

الموقعين: انجلترا وفرنسا وروسيا.

والآن نعيش أحداث مشابهة لاتفاقية سايكس - بيكو قبل مئة عام، خاصة بعد إعلان التحالف الدولي الحرب على الإرهاب، وتدخل روسيا في سوريا، ليتشكل فيها معادلات وتوازنات جديدة تؤشر إلى رسم خارطة جديدة، وتقسيم المنطقة وفق ما تقتضيه مصالح القوى الكبرى، بمعنى تأسيس نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط من قِبَل القوى العظمى، يبدو أن رياح التغيير ستطال الحدود الدولية بحدّ ذاتها، ًفعلى الدول التي قسمت كردستان وفق مصالحهم الذاتية آن الأوان لتصحيح ما اقترفوه بحق الشعب الكردي طيلة تلك الفترة والسعي إلى إلغاء تلك الاتفاقية وإعادة الحقوق إلى أصحابها وفق العهود والمواثيق الدولية التي نصت عليها قرارات الأمم المتحدة بخصوص قضايا الشعوب في تقرير مصيرها، كما يبدو أن جميع المؤشرات والمعطيات تؤكد انتهاء صلاحية سايكس – بيكو، وذلك من خلال تصريحات كبار المسؤولين وقادة الدول وفي هذا السياق قال رئيس وزراء بريطانيا الأسبق طوني بلير: "إن اتفاقية سايكس بيكو انتهت صلاحيتها والمنطقة تشهد تغيرات تشكل شرقاً أوسط جديداً.. . فالظروف الحالية تختلف اختلافاً كلياً عن الظروف التي عقدت بموجبها اتفاقية سايكس بيكو".

كما ناشد رئيس اقليم كردستان العراق مسعود البرزاني زعماء دول العالم إلى الاعتراف بفشل اتفاقية سايكس بيكو التي رسمت الحدود في منطقة الشرق الأوسط، مطالباً بعقد اتفاق جديد يضمن قيام دولة كردية. الرئيس بارزاني في لقاء له مع موقع (فيلاديلفيا أنكوايرر)، وتابعته (باسنيوز) قال فيما يعتبر رسالة منه لزعماء العالم : "أن الحدود القديمة في الشرق الأوسط لم تعد لها وجود سوى على الورق، بل ان هناك حقيقة أخرى على أرض الواقع يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار" مضيفاً: "بالتزامن مع حالة الفوضى واللاستقرار في الشرق الأوسط، فأن تنظيم داعش سيطر على مساحات واسعة من سوريا والعراق" مستدركاً بالقول: "الوقت مناسب الآن لإعادة النظر في الحدود القائمة في المنطقة، لكن ليس على غرار ما حصل قبل مئة عام عندما قسمت بريطانيا وفرنسا المنطقة، دون استشارة أحد. هذه المرة يجب ان يكون قادة الشرق الأوسط جزءاً من هذا المشروع".

وأكد الرئيس بارزاني على أنه يأمل في إقامة دولة كوردستان المستقلة في حال اعادة صياغة منطقة الشرق الأوسط، مشيراً الى الاستفتاء غير ملزم المزمع إجراءه لمعرفة رأي شعب كوردستان حول الاستقلال.

ونقلت مراسلة الموقع، ترودي روبن، عن الرئيس بارزاني قوله أن: "حدود الشرق الأوسط القديمة لم يبقى لها وجود سوى على الورق، أما على أرض الواقع هناك حقيقة اخرى، وحال العراق واضح بالنسبة لكم انه وبعد سقوط نظام صدام حسين، برز الصراع الطائفي بين السُنة والشيعة، وفي سوريا أيضاً، النظام الوحشي رد بطائفية على المتظاهرين السلميين" مستدركاً بالقول أن: "هذه الفتنة الطائفية ذاتها، مهدت الطريق أمام تنظيم داعش كي يقيم أسساً لهُ في المناطق السُنية في كل من سوريا والعراق، وفي المناطق التي تُشكل خليطاً من السُنة والشيعة ولم يتمكنوا من فصل بعضهم عن بعض، لا يزال القتال

مستمراً، لهذا يتوجب فصلهم عن بعضهم وفق اقليم فدرالي جديد أو الانفصال الرسمي ويجب أن يؤخذ هذا الواقع الجديد بعين الاعتبار".

وأكد الرئيس بارزاني في حديثه على ان الدولة المستقلة كانت أمل وحلم الكورد منذ اتفاقية لوزان عام ١٩٢٣ والتي تم توقيعها بين المتحالفين في الحرب العالمية الأولى وتركيا عقب انهيار الدولة العثمانية.

ووفق الوثائق فأن الوعد قد أعطي للكورد بتأسيس دولته المستقلة على أرضه، وأضاف بالقول: " الكورد بعد عام ١٩٩١ واعلان الولايات المتحدة لمنطقة حظر طيران تمكن من أدارة نفسه بنفسه، وفضلاً عن الأزمات الاقتصادية والمشاكل الداخلية، فأن إقليم كوردستان أكثر مناطق العراق استقراراً وكان له دوراً كبيراً في هزيمة وتراجع داعش واستقبال عشرات الألاف من النازحين المسيحيين والإيزيديين".

المصادر والمراجع:

١-سمعان بطرس: العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين ـ مكتبة الأنجلو المصرية- الطبعة الثانية – ١٩٨٠م.

٢-كمت فريحات: السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية ـ دار الراتب الجامعية الأردن.

٣-أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ.

٤-مجموعة مؤلفين: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ـ دار اقرأ ـ بيروت ـالطبعة الثانية ـ ١٩٨٤.

٥-وثائق فلسطين، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٨٧.

اتفاقية سايكس- بيكو أيار١٩١٦م
(المنطقة الكورديَّة العثمانيّة، تركيا- العراق- سوريا)

مسعود داود

أوّلاً- السياسة البريطانية في الشرق الأوسط قبل قيام الحرب العالميّة الأولى وأثناءها:

عدَّل البريطانيون في عام ١٩١٥ فجأة عن سياستهم القديمة طويلة العمر المحافِظة على كيان الإمبراطورية العثمانية، فأخذوا في عام ١٩١٦يعملون بسياسة جديدة تهدف إلى تقطيع أوصال الامبراطورية وإلحاقها بتلك الإمبراطوريات التاريخيَّة الزائلة، فقد ظلَّت بريطانيا تحاول طوال القرن التاسع عشر منع الدول الأوربية من التسلل إلى الشرق الأوسط وجعلها مناطق نفوذ، وخاضت في سبيل ذلك حروباً إلى جانب الدولة العثمانيّة كحرب القرم ١٨٥٤م، ووقفت أمام أطماع روسيا في الحرب العالمية الأولى، وكلّ قصدها المحافظة على الوضع الراهن، وباشرت ضمن ما باشرته سياسة دعم ثابتة ومعاونة للدولة الاسلاميّة المتداعية في أسيا، وكان خصمها اللدود روسيا القيصريَّة، وظلّت منشغلة طوال القرن وكأنَّ لا عمل لها إلّا رصد تحرُّكات الروس

و إحباط خططهم، وحصل هذا الانقلاب العظيم في الموقف البريطاني خلال مائة يوم وقضى على سياسة مائة عام، تبتدئ من إعلان تركيا الحرب، فاستدارت بريطانيا بمقدار ١٨٠درجة وانطلقت لتحطيم الإمبراطوريَّة التي ركبتْ حكومات (الوايت هول) المخاطر وخاضت الحرب للإبقاء عليها .

وفي مبدأ الحرب كان من الضروري إيضاح طبيعة الوجود البريطاني في كلّ من مصر وقبرص، وهما جزءان من الإمبراطورية العثمانية رسمياً، ومالَ البريطانيون بالأول إلى إلحاقها بها، سيّما وإنّها كانت تحتلّ مصر احتلالا فعليّاً إثر ثورة عرابي باشا عام ١٨٨٢م من وراء الخديوي الذي هو رسميّاً نائب السلطان أو عامله في مصر، وفي نهاية عام ١٩١٤م عيّن (السرّ هنري مكماهون) معتمداً بريطانياَ في مصر خلفاً للورد كتشنر الذي استدعى لتناط به وزارة الدفاع (١)، إنّ بريطانيا ومعها فرنسا في صراعهما فيما بينهما وبين الدول الأوروبية الأخرى على مواقع النفوذ في الدولة العثمانية، قد استغلّتا نشوب الحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانيَّة الحرب إلى جانب ألمانيا (٢) فسارعتا إلى تقويض صرح الإمبراطورية العثمانية، ولم يبدُ الأمر سهلاً في أول الأمر، كان وزير الخارجية الفرنسي (ديلكاسيه)مثلاً يرى أنّ المحافظة على الإمبراطورية العثمانيَّة أهمَّ بكثير من قيام فرنسا بضمِّ سوريا،وهو ما اقترحته عليها بريطانيا،وما حصل أنّ (مكماهون) الذي مرَّ بباريس وهو في طريقه لمزاولة شؤون عمله في مصر، أخفقَ في إعطاء أجوبة واضحة ومقنعة حول السياسة التي انتهجتها حكومته إزاء الأقاليم العثمانيَّة الناطقة بالعربيَّة والأجزاء الشرقيَّة من كردستان بسبب غبائه ومحدودية عقله إلّا أنّ الفرنسيين ترجموا غباءه وقصوره العقلي بالدهاء، وسعة الحيلة، واعتقدوا بأنّه يتعمّد إخفاء الحقائق عنهم بالرَّوغان في إعطاء أجوبة مباشرة، وراحَ الوهمُ بهم إلى الحدِّ الذي

جعل (مسيو مللران) وزير الحرب يستنتج بأنّ البريطانيين إنّما يخطّطون لغزو سوريا الأمر الذي حمل الحكومة الفرنسية الأمر فوراً بتجهيز حملة عسكريّة لإنزالها في سوريا حالَ إقدام بريطانيا على عمل مماثل، إلّا أنّ اجتماعاً تالياً تمّ بين وزيري خارجية البلدين أكّد فيه اللورد (أدوارد كري) لزميله الفرنسي أنّ بريطانيا لا أطماع لها في سوريا، وحينئذٍ اتفق الطرفان على ألّا تعارضَ بريطانيا الوجود الفرنسي في حالة الحرب إلى تجزئة إمبراطورية آل عثمان "وإن كان من الأفضل ألّا تتجزّأ".(٣).

استقرّ رأي بريطانيا أخيراً على أن تتّصل من مكتبها في القاهرة بالعرب والزعماء المسلمين لإحلال نوع من التنسيق، ولم يحصل أيّ اتصال كردي من هناك طوال العامين ١٩١٤ – ١٩١٥م، لا من جانب المكتب ولا من جانب القوميين الكرد، في حين كان عدد من الشخصيات الكردية قد اتصلت بروسيا حليفة هاتين الدولتين، على أنّ عبد الرزاق بك وكامل بك بدرخان كانا قد اتصلا بالفرنسيين لمعرفة نواياهم إلّا أنّ الجهات الفرنسية لم تبدِ أيّ اهتمامٍ بما عرضاه، فنقلا نشاطهما إلى روسيا، و السؤال الذي يطرح نفسه هو "ما الذي كان يمنع البريطانيين من الاهتمام بالقضية الكرديّة في مفتتح الحرب ؟" إذ لم يكن هناك قصور من الوطنيين الكرد، ففضلاً عن محاولات ثريا بدرخان في القاهرة كانت هناك شخصية وطنيّة أخرى تسعى في هذا الاتجاه وهو الجنرال (محمد شريف باشا خندان)الذي عرض على البريطانيين في كانون الأول عام ١٩١٤م إنشاء علاقات وتعاون مع الحملة العسكرية المزمع إرسالها إلى ميزوبوتاميا لحماية آبار النفط في عبادان لتنتهي بالأخير إلى الحرب العراقية، كان يهدف إلى الحصول على تأكيدات حول مستقبل كردستان، لكن مساعيه خابت ولم تلق آذانا صاغية، ربّما لأنّ البريطانيين ما كانوا في حينه يتصوّرون بأنّ

العمليات العسكرية في جنوب ميزوبوتاميا ستنقلهم إلى مسافة بعيدة حتّى حدود كردستان الجنوبية، وهناك عامل آخر لا يقل شأناً عن هذا، وهو أنّ الفكرة العامة التي سيطرت على صانعي السياسة البريطانية منذ دخول بريطانيا حلبة الشرق الأوسط ظلّت قائمة عندما تحوّلتْ عن دعم الإمبراطورية العثمانيّة على تقويضها على الأقلّ خلال السنوات الثلاث الأولى من الحرب العظمى، فقد رأى (الوايت هول)العالَم الديني الإسلامي بمثابة بناء مركزيّ يحتلّ الخليفة السلطان المقام الأعلى فيه، وأنّ الإسلام هو وحدة كاملة مثلما هو منظمة تطيع زعماءها و تأتمر بأمرهم، ومن هنا استهوتهم الفكرة بأنّ كلّ من يستطيع السيطرة على الخليفة فإنّه سيسيطر على الإسلام بشعوبه و أممه، لذلك ما كانوا يقيمون وزناً كبيراً للمشاعر القوميّة، وهو ما كان يؤمن به رجال المكتب العربي الملحق بدائرة المعتمد البريطاني في القاهرة(٤)، لذا فقد بدأوا اتصالاتهم مع الشريف حسين بن علي الذي كان يحكم مكة نيابة عن السلطان، وانحداره من النبوية كان شرطاً لتوليه المنصب جرياً على التقليد الذي اتّبعه سلاطين آل عثمان منذ ضمّ الحجاز إلى الإمبراطوريّة، ولا سيّما إنّ من شأن مركزه الديني أن يضعف مركز السلطان العثماني، ولأنّ مكّة هي المكان الأصلح لإدارة وتوجيه الثورة، إضافة إلى طموحه وعزمه على الاستقلال عن الترك(٥).

وفي عام ١٩١٤كان الشريف حسين كهلاً يبلغ من العمر الستين عاماً، بعيداً عن روح العصر والتجديد... ودهشَ موظفو المكتب العربي في القاهرة عندما تسلموا منه رسالة صيف ١٩١٥ يطلب فيها لقاء تعاونه ومن دون سابق إنذار أو إعطاء أيّ تفسير-أن يوضع تحت حكمه كلّ عرب أسيا في مملكة مستقلّة، ولم ينسَ تحديدها بدقة مدخلاً فيها جزءاً كبيراً من بلاد الكرد وهو بالضبط كردستان العراق التي تتضمن ولاية الموصل بحدودها المرسومة آنذاك فضلاً عن جزء من شمال شرق

سورية الحاليّة تقطنه أغلبيّة كورديّة. وتمّت في تلك الفترة تشكيل لجنة من قبل بريطانيا، ولم يظهر اسم لكردستان أو الكرد في وثائق تلك اللجنة التي شكّلها رئيس الوزارة البريطانية (اسكويث) برئاسة السرّ موريس دي بُنس حول مستقبل الشرق الأوسط، وهذه اللجنة التي شكلت في ٨ نيسان ١٩١٥ ضمّت خلافه واحداً عن كلّ من وزراء الهند ووزارة الحرب والخارجيّة والبحريّة ودوائر أخرى، لكنْ تبيّن أنّ صاحب الدور الرئيس فيها والكلمة النافذة ومجمل الآراء التي تضمّنها التقرير الذي فرغ منه في ٣٠حزيران، لم يكن غير السرّ مارك سايكس الذي قدّر له أن يسهم إسهاماً سياسياً خطيراً في مصائر البلدان الناطقة بالعربيّة وفي كوردستان إلى حدٍ ما، ويوحي منه وإدارته بحث التقرير في الخيارات المتاحة لبريطانية، وناقش النسبيّة لمختلف أنواع الاستقرار الأرضي: - إلحاق الأقاليم العثمانيّة بالحلفاء.

- تقسيم الأقاليم إلى مناطق نفوذ بدلاً من ضمّها.
- ترك الإمبراطوريّة العثمانيّة كما كانت بعد إخضاع حكومتها للحلفاء.
- إحلال لامركزيّة بخلق وحدات سياسية تتمتّع بشيءٍ من الحكم الذاتي(٦).

وقد نشطت الدول الغربيّة لاسيّما فرنسا وبريطانية في جذبِ انتباه الحركة القوميّة العربيّة النامية إلى جانبها بشكل أو بآخر لاستثمارها لصالحها ضدّ الهيمنة التركية التي كان العرب يسعون إلى التحرّر منها(٧)، وبالأخير رسّت على هذا البديل (الخيار) الأخير وراحت تدرس عرض الشريف المكّي بشكل جدّي، إلّا إنّ بريطانيا لم تكن إذ ذاك تستطيع تقديم وعود للحسين دون موافقة فرنسا، ولا سيما أنها قد بدأت مفاوضاتها مع فرنسا بخصوص مصائر الشرق الأوسط قبل

اتصال الحسين بها، وذلك لم يكن بوسعها الالتزام بشيء له أو مناقشه مقترحاته حول الحدود التي ستمتدّ إليها مملكته المنشودة، ولذلك وبعد ان خوّلَ (الوايت هول) المندوب السامي مكماهون إعطاء الحسين الوعد المشهور في ٢٠ من تشرين الثاني ١٩١٥، طلب وزير الخارجيّة البريطاني (إدوارد كري) من نظيره الفرنسي إرسال وفد إلى لندن للبحث في مستقبل سورية وحدودها من أجل تحديد مدى حرّيّة حكومته في التعامل مع الحسين (الذي أدخل سورية كلّها ضمن حدود مملكته)، ولذلك لم تكن رسالة مكماهون مع الحسين وحدها موضع بحث، بل كانت هناك المفاوضات مع فرنسا وروسيا، وبالأخير إيطاليا، تلك المفاوضات التي خرجت باتفاقية (سايكس- بيكو- سازانوف)، وتُعرف عند المؤرّخين العرب بالاسمين الأولين فقط، الاتّفاق الذي أدخل أجزاء من كوردستان ضمن دائرة المحادثات السياسية لأوّل مرّة خلال الحرب(٨).

ثانياً-اتفاقية سايكس-بيكو:

كان لكلّ من روسيا وفرنسا وبريطانيا، منذ القديم مطامع في ممتلكات الرجل المريض "السلطنة العثمانيّة"، وقد تمثّلت مطامع روسيا في المضائق التركية والاستانة، ومطامع فرنسا في سوريّة ولبنان، ومطامع بريطانيا في العراق وفلسطين، فلمّا نشبت الحرب وزجّت الدولة العثمانيّة نفسها فيها بادرت الدول الاستعماريّة الطامعة للتفاوض فيما بينها لاقتسام ممتلكاتها، وفي الوقت نفسه كانت المفاوضات دائرة مع الشريف حسين لإقامة دولة عربيّة مستقلّة موحّدة بعد تحرير البلاد العربيّة من النير التركي(٩). فرأّسَ الجانب الفرنسي "فرانسوا جورج بيكو"، ورأّسَ الجانب البريطاني "السرّ آثر نيكلسن" معاون السكرتير الدائم لوزارة الخارجيّة في بادئ الأمر، وكانت المفاوضات قد بلغت طريقاً مسدوداً عند وصول "مارك سايكس" في كانون الأول، وما مرّت

أيام على وصوله حتّى حلّ محلّ (نيكلسن)، كانَ مارك سايكس من محبّي فرنسا وقد رغبَ من كلّ قلبه إنجاح المفاوضات حيث فشل سلفه، فلم يجد مانعاً بل ربّما وجده ضرورياً أن تتولّى فرنسا حماية مسيحيي سورية ولبنان وفلسطين، وكان الاتجاه العام في فرنسا هو لزوم احتفاظها بسورية "إنجازاً لرسالتها التاريخيّة على حدّ تعبير مسيو "بيراتيين فلاندان"، زعيم الحركة الفرنسية-السورية في مجلس الشيوخ وكان من خطّة "بيكو" التظاهر لـ"سايكس" بأنّ فرنسا لا ترضى بأقلّ من حكم مباشر لسورية، حتّى أنّه عندما يقوم بتعديل ادّعائه يستطيع الحصول على تنازلات بالمقابل، والذي كان يأمل الحصول عليه هو توسيع مجال النفوذ الفرنسي شرقاً ليشمل ولاية الموصل، وفي مناورته هذه التي اعتبرها سرّاً ولم يكن يدري أنّ(سايكس) ومن ورائه اللورد (كتشنر) ينويان إعطائه الولاية، إذ كانا يريدان أن يمتدّ النفوذ الفرنسي من البحر المتوسط غرباً حتّى أقصى الشرق الذي تمتدّ إليه الإمبراطورية العثمانيّة الزائلة، ليكون الفرنسيون بمواجهة روسيا عاملاً لوقف الامتداد الروسي وراء المناطق الكرديّة والتركيّة، وبكلمة اخرى لتقوم فرنسا هناك بمثابة سور الصين حامية للممتلكات البريطانيّة في الشرق الأوسط، كان البريطانيون وقتذاك مستعدّين للتضحية بمصادر النفط في ولاية الموصل في سبيل وضع فرنسا بمواجهة الروس، من ناحية أخرى كان سايكس يطمع في الموافقة على الحملة المصريّة، فأكّد لحكومته منذراً بأنّ مسيحيي سورية لن يقبلوا بأيّ شكل من الحكم لأمير مكّة، وعاد (كامبون) السفير الفرنسي في لندن إلى تأكيد ذلك بقوله إنّ الحكم الفرنسي هناك ضروري للحيلولة دون نشوب حرب اهليّة دينيّة، وبالأخير حصل الاثنان كلّ ما يريده من الأخر، فرنسا ستحكم لبنان الكبير وتبسط نفوذاً لإنزاع سورية وتحصل على نفوذ يمتدّ إلى ولاية موصل، في حين تبقى ولايتا بغداد والبصرة للبريطانيين، وبقيت

فلسطين عقبة فقد أرادها (سايكس) لبريطانية، في حين أصرّ (بيكو) على ضمّها إلى النفوذ الفرنسي وبالأخير توصل الطرفان إلى حلٍّ وسط: أن تحصل بريطانية على ميناءي حيفا وعكا وحزام أرضي تمتدّ فيه سكّة حديد منهما حتّى ميزوبوتاميا، في حين تُناط البقيّة بهيئة دوليّة، وما عدا هذا في الشرق الأدنى تؤلّف دولة عربيّة أو نوع من الكونفدراليّة لعدد من الدول المستقلة رسميّاً إلّا أنها عملاً ستكون في مجالي النفوذين الانكليزي والفرنسي على أن تطلق يد روسيا في بقية الإيالات العثمانية الشماليّة الشرقيّة بأغلبيتها الكورديّة، وقّع الاثنان الاتفاق في شهر كانون الثاني ١٩١٦ وكان عليهما أن يشركا الحليف الكبير روسيا فيه ويحصلا على موافقتها، ففي اوائل شباط من علم ١٩١٦وبعد أن حظي الاتفاق بمصادقة الحكومتين شدّ مهندساه الرحال إلى سان بطرسبورغ لنيل التوقيع الروسي، لم يكن سايكس يعلم أنّ الحكومتين الروسية والفرنسيّة توصلتا فيما بينهما إلى حلٍّ قضيّة فلسطين الشائكة من خلال مفاوضات سرّيّة جرت في السادس والعشرين من نيسان ١٩١٦، وفيها فُصلت الحدود التي كان سيمتدّ إليها نفوذ الدولتين بعد زوال الامبراطوريّة العثمانيّة، ويتضمّن الاتفاق تعهُّد روسيا بدعم فرنسا في المفاوضات التي ستجري مع بريطانيا حول شكل الحكومة المقترحة لفلسطين، كما تضمّنت أيضاً الاعتراف بأنّ التسوية التي تمّت في كانون الثاني ١٩١٦بخصوص السيادة الفرنسيّة وشكلها غير نهائيّة وإنّ ذلك سيكون من شأن فرنسا وحدها، ولم يضع (سيرجي ديمتروفتش سازانوف) وزير الخارجيّة الروسي توقيعه على اتفاق سايكس بيكو إلّا بعد أن ذُيِّل بملحقٍ له يبيّن حصّة روسيا من كردستان (١٠)، وتمّ بذلك التوقيع النهائي على اتفاقية سايكس-بيكو في ١٦/أيار عام ١٩١٦م.

طبعاً بقي أمير مكّة يجهل التقسيم، وفي مصر قام (سايكس) بتقديم صديقه (بيكو) لمجموعة من الرجال العرب المبعدين، ثم أخذه إلى جزيرة العرب في زيارة للشريف، وقيل إنّهما اطلعوه على الاتفاق وهذا محض هراء، لأنّ محتوى الميثاق كان يناقض تماما ما طالب به الحسين وما كان يأمله، بدليل إنّه صدم به حال إذاعته ونشر بنوده في عام ١٩١٨م، إلّا أنّ المكتب العربي أنذر (سايكس) بأنّ التواجد الفرنسي في الشرق الأدنى قد يتمخّض عن مآسٍ، لكن (سايكس) مضى قدماً في التقريب بين (بيكو) و (الحسين) وأولاده، وفي النهاية أبرق إلى حكومته "توصل بيكو إلى تفاهم مع العرب".

لم تكن اتفاقية سايكس – بيكو بداية لمرحلة جديدة في التاريخ العربي فحسب، بل بداية جديدة في تاريخ الكرد أيضاً، إذ بموجب بنودها تمّ تقسيم كردستان العثمانية من خلال جعلها مناطق نفوذ لكلٍّ من فرنسا وبريطانيا وروسيا وفق التقسيم الآتي:

أ-اعتبار مقاطعات بوتان، هكاري، جلمرك، أرزنجان، خربوط، موش، بدليس، وان، بيازيد ضمن حصّة روسيا.

ب-إلحاق غزيان تبه، أورفه، دياربكر، رأس العين، قامشلي، ماردين، ملاطية، جزيرة بوتان، بهدينان بمنطقة النفوذ الفرنسي.

ج-تبعية المنطقة في نهر الزاب الأعلى وحتّى السليمانية كرميان ومندلي وخانقين وجبل حمرين، لمنطقة النفوذ البريطاني(١١).

وكانت بداية التقسيم العملي لكوردستان بموجب بنود الاتفاقية المذكورة آنفاً قيام بريطانيا باحتلال كوردستان الجنوبية وعزلها عن الجزء الشمالي، وهو أول تقسيم فعلي للمنطقة التي لم تكن قد قسّمت حتّى ذلك الوقت، ولكن أموراً استجدت في الموقف الرسمي لتلك الدول، ممّا زاد في رغبتها في تجاهل المطالب الكرديَّة بالحفاظ على وحدة بلادهم،

وتجلّى ذلك بسعي الحلفاء وتركيا إلى عقد اتفاقية سيفر من خلال عقد مؤتمر لندن في ٤ آذار ١٩٢١م والذي كان الدافع الأبرز وراء عقده بروز شخصية مصطفى كمال في تركيا الأمر الذي دفع تلك الدول و حفاظاً على مصالحها في المنطقة التقرّب منه، وما رغبة فرنسا بعد وصولها إلى سوريا بعقد اتفاقية أنقرة في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢١م مع تركيا لترسيم حدودها مع سوريا إلّا دليلاً ساطعا في ذلك المجال، وتبرز أهمية اتفاقية انقرة في أنّها كانت نقطة البداية في إلحاق أجزاء أخرى من كردستان بالدولة السورية، وذلك في خطوة أصبح فيها جزء من الشعب الكردي يتبع سوريا، وما يجب ذكره أنّ فرنسا بعد انتدابها على سوريا بفترة وجيزة لم تكن خارطة نفوذها تتضمن إلا منطقة كرداغ (جبل الاكراد) من كردستان سوريا قبل عقد الاتفاقية السابقة الذكر (١٢)، لذا فقد بقيت اتفاقية سايكس- بيكو طي الكتمان حتى عثر عليها البلاشفة بعد ثورتهم في روسيا في ملفات وزارة الخارجية عندئذ نشروها في الصحف و فضحوا أمرها.

ثالثاً-الكورد وتطورات الحرب العالميّة الأولى:

لقد نشطت القوميات داخل الدولة العثمانية ومنها القوميّة الكردية مرة أخرى بعد أن وضعت الحرب العالميّة الأولى أوزارها مستندة إلى المبادئ الأربعة عشر التي أعلنها الرئيس الأمريكي ويلسون في كانون الثاني ١٩١٨م، ومنها المبدأ الذي ينصّ على حق الشعوب الخاضعة للسيطرة العثمانية في تقرير مصيرها، و برز نشاط الكرد في بادئ الأمر عن طريق تشكيل جمعيات سياسية جديدة وفتح فروع لها في مختلف المناطق الكرديّة ومطالبتها علانية باستقلال كردستان، ومن هذه الجمعيات (تعالي كردستان)، وجمعية (استقلال كردستان) التي تمكّنت من إيصال صوت الشعب الكردي إلى المحافل الدولية، خاصة إلى مؤتمر السلام في باريس عام١٩١٩م، وهكذا برزت القضية الكردية

بعد الحرب العالمية الأولى، كان الهدف الذي عقد من أجله مؤتمر السلام في باريس هو تقرير ممتلكات الدولة العثمانية، وبما أنّ المناطق الكردية كانت خاضعة للسيطرة العثمانية، كان لابدّ من أن تحظى القضية الكردية باهتمامات دول الحلفاء، وكان لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا نشطاً في المناقشات التي جرت منذ٣٠ كانون الثاني١٩١٩م بشأن كردستان، وذلك لرغبته في خلق منطقة عازلة بين ولاية الموصل و تركيا، وأجبر بدوره كلمنصو رئيس وزراء فرنسا في كانون الأول ١٩١٨بالتخلي عن الموصل، وفي الوقت نفسه توصل المجلس نفسه إلى إصدار القرار الآتي: "إنّ الحلفاء والدول المنضمة إليهم قد اتفقوا على أرمينيا وسوريا وميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) وكردستان وفلسطين و شبه الجزيرة العربية يجب فصلها تماماً عن الإمبراطورية العثمانية".

ويبدو أنّ كردستان كان محطّ أنظار دول الحلفاء أيضاً، كما أدرج طلب الكرد في مؤتمر السلام في سبيل الحصول على الاستقلال كباقي القوميات الأخرى، و انتخب الجنرال شريف باشا من قبل جمعية (تعالي كردستان) وجمعية (التشكيلات الاجتماعية) وجمعية (استقلال الكرد) ممثّلاً للكرد في ذلك المؤتمر للدفاع عن القضية الكرديّة بهدف التخلّص من السيطرة العثمانية وتحقيق الاستقلال لكردستان، وقدّم في ٢٢ آذار عام ١٩١٩م والأول من آذار عام ١٩٢٠م مذكّرتين ضمّنهما مطالب وحقوق الشعب الكردي مع خارطة كردستان، كما توصّل الطرفان الكردي والأرمني في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩١٩م إلى اتفاق وقع عليه شريف باشا و ممثل الارمن (واهانجانيان) ممثّل الدولة الأرمنية في ما وراء القفقاس، ورفع الطرفان مذكرة بهذا الخصوص و الهدف الذي يربط الطرفين بشأن خلق دولة أرمنية موحّدة مستقلّة وكردستان مستقلّة وبمساعدة إحدى الدول الكبرى، وعلى الرغم من كثرة

المناقشات التي دارت في مؤتمر السلام والمؤتمرات والاجتماعات الأخرى في لندن بين ممثلين بريطانيين وفرنسيين خلال الحقبة الممتدّة من كانون الثاني ١٩١٩وحتّى آذار١٩٢٠م بشأن القضية الكردية، إلّا أنّها توصّلت إلى استنتاجات متناقضة بسبب اختلاف وجهات نظر دول الحلفاء، و تضارب مصالحها على تلك المناطق الحيوية، أمّا أسباب هذا الاضطراب في السياسة البريطانية واستخدامها لغات سياسيّة متقاطعة تجاه القضيّة الكورديّة، فإنّها باستثناء المساومات التي انتهت بتنازل الاستعمار الفرنسي لها عن هذه المنطقة "ولاية موصل" باتفاق سان ريمو ١٩٢٠، يمكن أن تردّ إلى سببين رئيسين:

١-عدم وثوق ساسة بريطانيا بكوردي ذي نفوذ يركن إليه في حراسة مصالحهم.

٢-تأخّر حسم الموقف مع الحكومة التركية الحديثة (الكماليّة) وتعيين اتّجاهاتها السياسيّة(١٣).

المهم في الأمر أنّ محادثات الدول المساهمة في مؤتمر السلام تمخضت عن توقيع معاهدة سيفر في ١٠آب ١٩٢٠م حيث تقرّر بموجب هذه المعاهدة إقامة كيان كردي مستقلّ ذاتياً، وتلك لا ريب مرحلة فاصلة في التاريخ الكردي خصوصاً ما تضمّنته في موادها (٦٢-٦٣-٦٤) من تأكيد على الإقرار بحقّ هذه الشعوب في إقامة حكومات محلية خاصة بها أي (كيانات مستقلة) ولعلّ المادة (٦٢) التي تتطرّق إلى الكيان السياسي الكردي أهمّ جزء منها، وهذا نصّها: [(**تشكيل لجنة يكون مقرّها القسطنطينية "استنبول" تتألّف من أعضاء ثلاثة تعينهم الحكومات البريطانيّة والفرنسيّة والايطاليّة كلّ من جانبها، وعلى هذه اللجنة أن تضع في غضون ستة أشهر من التوقيع على تلك المعاهدة مشروعاً للحكم الذاتي للمناطق التي تسكنها أغلبية كردية واقعة شرق**

نهر الفرات وجنوب حدود تركيا مع سوريا وما بين النهرين، ميزوبوتاميا)، وأكّدت المادّتان (٦٣-٦٤) على ضرورة موافقة الحكومة التركية على مقرّرات اللجنة بهذا الشأن في حالة إظهار **أغلبية السكان في المنطقة الكردية رغبتها في الانفصال عن تركيا**، وإذا رأى مجلس العصبة أن الكرد جديرون بهذا الاستقلال فعلى تركيا أن توافق وتقوم بتنفيذ هذه التوصية بالحكم المحلي وتتنازل عن كلّ حقوقها وامتيازاتها في تلك المناطق الكردية، واشترطت أيضاً أنّه عندما تتخلى تركيا عن تلك المناطق فإنّ الحلفاء لن يعارضوا الاتحاد الطوعي بين الدولة الكرديّة المرتقبة وبين ذلك الجزء من "ولاية الموصل" الذي تقطنه أغلبية كردية]. وعلى الرغم من أهمية هذه المعاهدة التي أسفرت عن مؤتمر السلام كوردياً، إلا أنّها كانت تتضمّن إنشاء دولة كورديّة على مساحة صغيرة من أراضي كوردستان لا تتجاوز٤٥% من مساحة كوردستان الشماليّة (التركية) الحاليّة، أمّا بقية مناطق كوردستان فوزِّعت على الشكل الآتي:

١-أُعطيتْ حصّة روسيا من معاهدة سايكس بيكو إلى أرمينيا.

٢-تمّ تعديل منطقة النفوذ البريطاني بعد إلحاق منطقة (بهدينان) بها، والتي كانت في سايكس بيكو ضمن منطقة النفوذ الفرنسي، وذلك بعد أن وافقت كلّ من بريطانيا وفرنسا على هذا التعديل في اتفاقية سان ريمو في ٢٤ نيسان ١٩٢٠،(١١).

إنّ قيام الاتحاد السوفياتي وبزوغ نجم مصطفى كمال أتاتورك أدى إلى إلحاق الهزيمة بالقوات اليونانية الغازيّة و طردها من تركيا أفضى بالنتيجة إلى إهمال المعاهدة والاستعاضة عنها بمعاهدة لوزان التي وقعت بين الحلفاء وتركيا الكماليّة في ٢٤تموز ١٩٢٣م وهي المعاهدة التي قضت على آمال الكرد بإلغائها فكرة إقامة دولة كرديّة (١٤)،

والتي انتزعت الجمهورية التركيّة الاعتراف الدولي بها، وعلى ضوئها تمّ تثبيت حدودها الجنوبيّة مع العراق وسوريّة في السنوات ١٩٢٦و١٩٣٠، وبذلك فصلت هذه الحدود بين كوردستان العراق (الجنوبيّة) وأجزائها الأخرى مثلما فصلت الحدود العراقيّة السوريّة بين كورد العراق وكورد سورية.(١١)

إنّ مرحلتي سيفر- لوزان تمثّل ما يمكن نعته بالحدث المأساوي في تاريخ النضال الكردي في سبيل الاستقلال فالوعود المتكرّرة التي ظلت حبراً على ورق أفضت بالكرد إلى الاعتقاد بأنهم وكما كانوا فعلاً ومراراً خلال تلك الفترة مجردَ آلةٍ مسخّرة بيد القوى العظمى، ممّا زاد المأساة عمقاً وحجماً وفتح الجُرح الكردي فاغراً أمام كلّ الاحتمالات حيثُ يقول الكاتب اسماعيل بيشكجي: (أنشأ المستعمرون بعد الحرب العالميّة الأولى أيّ بعد انهيار الامبراطوريّة العثمانيّة دولاً مستعمَرة "بلدان تحت الانتداب" كما هو الحال في العراق وسوريا والأردن وفلسطين ولبنان، ولم يؤسِّسوا دولة كردستان، وعلى ذلك، لم تُستعمَر كردستان، وإنّما جرى تقسيم الأمّة الكرديّة وكلّ ما يمُت بصلة إلى الكرد وكردستان كي تختفي لغتهم من بين اللغات ويندثر تاريخهم...وأخمدت انتفاضات الكرد ضدّ هذا الظلم...وقمعت من خلال العمل المنسق والعمليات العسكريّة المشتركة التي قادها الامبرياليون البريطانيون وعملاؤهم الاقليميون في الشرق الأدنى...)(١٥).

إنّ خلق حدود قوميّة لدول جديدة بعد معاهدة سيفر أدّى إلى توزيع الكرد على عدّة دول هي تركيا وإيران وسوريا والعراق وأجزاء من الاتحاد السوفيتي، وهذا ما أقحم بالقضية الكردية في أزمة حادّة مازالت تداعياتها تلازمها إلى يومنا هذا.

---

*المصادر والمراجع:

١-يقظة الكرد، تأليف جرجيس فتح الله، أربيل ٢٠٠٢م، دار ئاراس للطباعة والنشر.

٢-الحركة القوميّة الكورديّة في كوردستان سورية، تأليف علي صالح ميراني، الطبعة الأولي ٢٠٠٤، دار سبيريز للطباعة والنشر.

٣-يقظة الكرد، جرجيس فتح الله.

٤-المصدر السابق.

٥-تاريخ العرب الحديث، د.توفيق برو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٩٠م.

٦-يقظة الكرد.

٧-الحركة القوميّة الكورديّة في كوردستان سورية، علي صالح ميراني،

٨-يقظة الكرد، المصدر السابق.

٩-تاريخ العرب الحديث، د.توفيق برو.

١٠-يقظة الكرد.

١١-الكورد والدولة العثمانية، د.محمد زكي البرواري، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، الناشر دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سورية.

١٢-الحركة القوميّة الكورديّة في كوردستان سورية.

١٣-وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحرريّة، د عبد الفتاح علي يحيى البوتاني، الطبعة الأولى ٢٠٠١، الناشر مؤسّسة موكرياني للطباعة والنشر.

١٤-كوردستان ودوامة الحرب، تأليف محمد إحسان، الطبعة الأولى، أربيل كوردستان ٢٠٠٠، دار ئاراس للطباعة والنشر.

١٥-كوردستان مستعمرة دوليّة، اسماعيل بيشيكجي، المترجم زهير عبد الملك، تاريخ ١٩٩٨، دار APEC للطباعة والنشر.

حوار مع السياسي والمعتقل الآثوري الأستاذ كبرئيل موشي كورية

اسرة التحرير

كبرئيل موشي كورية

ـ الاستاذ كبرئيل موشي كورية: أهلا وسهلاً بكم على صفحات مجلة "الحوار" نهنئكم باسم هيئة تحرير المجلة على عودتكم حراً بيننا لنكمل مسيرة النضال والحب والوئام معا.

ـ في البداية كيف يريد أن يعرف الأستاذ كبرئيل نفسه لقراء مجلة (الحوار)؟

*شكرا لكم على التهاني والاستضافة، بدوري كنت متشوّقا للقائكم كأصدقاء أعزاء جمعتنا مسيرة النضال الوطني الديمقراطي، وإنني على يقين بأننا سنكمل ما بدأناه معا، ونساهم سوية في إعادة الالفة والوئام لمجتمعنا الذي أرهقته الحرب ومزقته الانقسامات.

*كبرييل موشي كورية، مسؤول المكتب السياسي للمنظمة الآثورية الديمقراطية، وأعتقد أنه يكفيني أن أكون عضواً في المنظمة، ويشرفني أن أتولّى مسؤولية مكتبها السياسي في هذه المرحلة الصعبة.

س ١ـ تجربة السجن تترك بصمة وانطباع لدى كل مناضل بعد الخروج، ما الذي أضافته هذه التجربة على شخصية كبرئيل موشي السياسية؟

ج١: إنّ تجربة السجن، وبكلّ المقاييس، هي تجربة مريرة وقاسية، ورغم مرارتها وقسوتها، فإنها تنطوي على جوانب مفيدة على صعيد إنضاج التجربة النضالية، وعلى صعيد إجراء المراجعة والتقييم والتفاعل مع معتقلين من بيئات وخلفيات سياسية وفكرية متباينة وقد تكون متنافرة، وكذلك على صعيد اختبار الإنسان لأفكاره وقدراته وصموده تجاه آلة القمع والتعذيب. وبالنسبة لي، كانت هذه التجربة بمثابة معمودية جديدة، زادتني إيماناً بقضية الحرية، ورّسخت قناعاتي بضرورة مواصلة العمل من أجل إنهاء الاستبداد، والانتقال إلى نظام ديمقراطي علماني يستجيب لتطلعات كل السوريين في الحرية والعدالة والمساواة. ورغم خروجي من السجن، لكن دوماً يراودني شعور بأنّ حريتي مازالت ناقصة، طالما هناك معتقلين مازالوا يقبعون في سجون النظام السوري، يكابدون الألم والظلم.. والانتظار..

س٢ـ ملف مجلتنا في هذا العدد يدور حول اتفاقية سايكس – بيكو، كيف يقرأ السياسي كبرئيل موشي هذه الاتفاقية وخاصة حول آثارها السيئة على شعوب المنطقة؟

ج٢: ارتبطت اتفاقية سايكس- بيكو تاريخياً بما اصطلح عليه في الأدبيات السياسية للقرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بـ "المسألة الشرقية". حيث كانت الدول الاستعمارية الأوربية، تتحين الفرص لاقتسام تركة الرجل المريض، والانقضاض على السلطنة العثمانية التي بلغت أوج ضعفها وانحدارها في تلك المرحلة، ولاحت الفرصة مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، واتفاقية سايكس- بيكو في

الحقيقة جاءت كترجمة عملية لإرادة الحلفاء المنتصرين في هذه الحرب، وتحديداً بريطانيا وفرنسا، فيما انشغلت روسيا (التي كانت طرفاً فيها) لاحقا بثورة اكتوبر التي زلزلت نظامها الامبراطوري.

هذه الاتفاقية، قسّمت دول المشرق إلى مناطق نفوذ بريطانية- فرنسية، وأدّت إلى خلق دول جديدة من العدم، بعضها كان مجرّد ولايات في الخلافة الإسلامية والعثمانية، ولم تتوفر على مقومات الدول بالمفهوم الحديث والمعاصر، ومهدت السبيل لزرع كيانات جديدة في المنطقة كإسرائيل. وإذا كان البعض يعتبر العرب من أكبر المستفيدين من تشكيل هذه الدول (نظرياً على الأقل)، بيد أنهم عمليا، كانوا من أشد المناهضين لها، لأنّ هذه الدول جاءت مشوّهة ولم تلبّ مطلبهم في الوحدة. في المقابل، ألحقت هذه الاتفاقية، ضرراً وظلماً فادحين بشعوب أخرى، لاسيما الأكراد والسريان الآشوريين، إذ مزّقت مجتمعاتهم، وقطّعت أوصال مواطنهم التاريخية، وقضت على إمكانات التطور والنهوض المستقلّ لأبناء هذين الشعبين.

س٣- على اعتبار أن هذه الاتفاقية هي اتفاقية ترسيم حدود بين قوى استعمارية، هل يمكن وضعها في خانة الاتفاقات والمعاهدات الدولية التي تنضوي تحت مظلة القانون الدولي؟

ج٣: من المعروف بأنّ الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، تعتبر من المصادر الأساسية للقانون الدولي العام. وبصرف النظر عن الموقف من اتفاقية سايكس- بيكو، فإن دول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، سارعت لإضفاء البعد القانوني على هذه الاتفاقية، بعد إنشاء عصبة الأمم، وبعد مؤتمر السلم، وتكرّس ذلك فعلياً في معاهدة سان ريمو ١٩٢٠ وبموجب هذه المعاهدة وضعت سوريا ولبنان تحت

الانتداب الفرنس، والعراق وفلسطين وشرقي الأردن تحت الانتداب البريطاني.

واستناداً إلى هذه الخرائط والتقسيمات، انضمت الدول الناشئة إلى عصبة الأمم، ومن ثم إلى الأمم المتحدة، ومازالت حكومات هذه الدول رغم ظروفها الصعبة، تدافع باستماتة عن الحدود التي أقرّتها هذه الاتفاقية.

س٤ـ لم يكن لشعوب المنطقة أية بصمة أو دور في هذه الاتفاقية، فما هي السبل للتخلص منها أو إلغائها؟

ج٤: للأسف، إنّ الشعوب في منطقتنا وفي الكثير من مناطق العالم، لا تملك الكثير لفعله حيال هذا الأمر، فالدول القائمة بحدودها الراهنة، وخرائطها المحدّدة، هي نتاج توازنات دقيقة لتوزيع مناطق النفوذ بين الدول العظمى، القادرة وحدها على التحكّم بتغيير الخرائط وفق مصالحها الآنيّة والمستقبلية، ووفق معايير تخصّها وحدها. إلاّ إذا تقاطعت إرادة هذه الشعوب مع مصالح القوى الكبرى. لذا لا تملك الشعوب بديلاً عن الاستمرار في نضالها لتحقيق تطلعاتها المشروعة، بانتظار لحظة أو ظرف تتوافق فيه مصالح الطرفين.

س٥ـ مضى مئة عام على عمر هذه الاتفاقية، والعالم والمنطقة تشهد حروب وتحولات جغرافية وسياسية وتبدلات جوهرية، فهل ستصبح هذه الاتفاقية أثراً من الماضي؟

ج٥: على مدى قرن من الزمن، عانت شعوب المنطقة الويلات والمآسي، وفي ظلّ اتفاقية سايكس بيكو، كان العنوان الأبرز هو الصراعات والحروب، ولم تنعم شعوب المنطقة ودولها بالأمان والاستقرار، سوى في فترات حكمت فيها أنظمة عسكرية بالحديد والنار، وما لبثت أن تحوّلت هذه النظم المركزية الصارمة إلى سبب

ومحفّز على التفكير بإعادة تفكيك هذه الدول خاصة سوريا والعراق، وتزايدت مخاطر هذا التفكيك، مع اندلاع ثورات الربيع العربي، وتنامي نزعات التحرر لدى الشعوب بموازاة تصاعد النزعات العرقية والمذهبية، وتكثّف التدخل الاقليمي والدولي في شؤون دول المنطقة، بحيث بات الحفاظ على حدود سايكس- بيكو أقصى طموح وأمنيات البعض، وذلك بعد سقوطها رمزياً في أكثر من دولة على يد قوى الإرهاب العابرة للأوطان.

إنّ الفوضى الناجمة عن ارتفاع منسوب الصراع والحروب، وزيادة حدّة الاستقطاب الاقليمي والدولي، وضع مصير دول المشرق المريضة والمصابة بكل أنواع الاستبداد والطغيان والفساد، تحت أنظار الدول الكبرى التي لا تخفي نيتها بتطبيق سيناريوهات جديدة تهدف إلى رسم خرائط جديدة للمنطقة، من شأنها التأسيس لصراعات دموية جديدة قد لا تنتهي..

س٦ ـ أخيراً بعد كل هذا الدمار والخراب والدماء التي أريقت، وفي ظل هذا التعقيد الداخلي والإقليمي والدولي للمأساة السورية، هل هناك بارقة أمل في الأفق، وبرأيكم إلى ماذا ستؤول الأمور؟

ج٦: أعتقد أنّ التمسك بالأهداف والمبادئ التي قامت من أجلها الثورة السلمية للشعب السوري بكل مكوناته، وتماسك وتكاتف القوى الوطنية المؤمنة بعملية الانتقال السياسي من نظام الاستبداد إلى نظام ديمقراطي علماني يقوم على أسس المواطنة المتساوية والشراكة الحقيقية، وضمان حقوق كافة المكونات وإقرارها دستورياً، كفيل بقطع الطريق على قوى الثورة المضادة

التي تحاول إعادة إنتاج الاستبداد بأشكال أخرى، وجرّ البلاد إلى صراعات وأجندات لا تخدم مصالح الشعب السوري. وإنني على قناعة

بأنّ قوى الثورة الحقيقية ستنتصر، وبأنه سينبثق من ركام الحرب ومن رحم المأساة التي نعيشها، نظاماً جديداً، يقوم على أساس التعددية والتشاركية واللامركزية وصولاً إلى نظام فيدرالي يحظى بتوافق وقبول معظم السوريين.

كيفية انقضاء المعاهدات الدولية ؟

المحامي محمود عمر

مقدمة:

المعاهدة: تعني الاتفاق الدولي المعقود بين الدول في صيغة مكتوبة، والذي ينظمه القانون الدولي، سواء تضمنته وثيقة واحدة أو وثيقتان أو أكثر ومهما كانت تسميته الخاصة، ونظرا لما للمعاهدات من دور أساسي في تاريخ العلاقات الدولية، ولأهميتها المتزايدة كمصدر للقانون الدولي، وكسبيل لتطوير التعاون السلمي بين الدول، واعتبارا لمبادئ القانون الدولي المقررة في ميثاق الأمم المتحدة كمبادئ الحقوق المتساوية، وتقرير الشعوب لمصائرها، والاحترام العالمي لحقوق الإنسان، والحريات الأساسية للمجتمع، ودعماً لمبادئ الأمم المتحدة في المحافظة على الأمن والسلم الدوليين، جاءت اتفاقية (فيينا) لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩والتي نصت في فصلها الخامس وفي المواد (٥٤الى٦٢) على كيفية انقضاء وإيقاف العمل بالمعاهدات الدولية.

أولاً: انقضاء المعاهدات وإيقاف العمل بها:

١ـ انقضاء المعاهدة أو الانسحاب منها بموجب نصوصها أو برضى أطرافها: أي أن تنص مواد المعاهدة ذاتها على طريقة معينة، أو زمن معين لانقضائها، أو أن تنص هذه المواد على انقضاء المعاهدة في أي وقت برضى أطرافها.

٢ـ انقضاء المعاهدة بانخفاض عدد الأطراف في معاهدة جماعية عن الحد الضروري لدخولها حيز التنفيذ: وهو أن تنص بنود المعاهدة على إن عدد الأطراف إذا انخفض إلى حد ما فتعتبر المعاهدة منقضية من تلقاء ذاتها.

٣ـ لا تكون المعاهدة قابلة للانقضاء أو النقض أو الانسحاب، إن لم يكن فيها نص على ذلك إلا إذا:

أـ ثبت أن نية الأطراف قد اتجهت نحو إقرار إمكانية النقض أو الانسحاب.

ب ـ إذا كان حق النقض أو الانسحاب مفهوماً ضمنا من طبيعة المعاهدة.

ثانياً: إيقاف العمل بالمعاهدة:

١ـ يجوز إيقاف العمل بالمعاهدة وبالنسبة لجميع الأطراف أو لطرف معين:

ـ وفقا لنص المعاهدة.

ـ أو في أي وقت برضى جميع الأطراف وبعد التشاور مع الدول المتعاقدة.

٢ـ يجوز لطرفين أو أكثر في معاهدة جماعية، الاتفاق على إيقاف العمل بنصوص المعاهدة بصورة مؤقتة، وفيما بينها فقط، إذا نصت المعاهدة على إمكانية هذا الإيقاف أو أن يكون هذا الإيقاف غير محظور بنص المعاهدة وذلك بشرطين:

ـ أن لا يؤثر ذلك على حقوق بقية الأطراف.

ـ وان لا يكون متمشياً مع موضوع المعاهدة والغرض منها.

ثالثاً: انقضاء المعاهدة أو إيقاف العمل بها بموجب معاهدة لاحقة:

وذلك إذا اتفقت جميع الأطراف على عقد معاهدة جديدة تتعلق بذات الموضوع، وتحقق أحد الشرطين:

١ـ تبين من المعاهدة اللاحقة، أو ثبت بطريقة أخرى، أن الأطراف قد قصدت أن يكون الموضوع محكوماً بهذه المعاهدة.

٢ـ ان تكون نصوص المعاهدة اللاحقة غير متماشية مع نصوص المعاهدة الأسبق لدرجة لا يمكن تطبيق المعاهدتين في ذات الوقت.

رابعاً: انقضاء المعاهدة أو إيقاف العمل بها نتيجة الإخلال بها:

١ـ في المعاهدة الثنائية: الإخلال الجوهري من قبل أحد أطرافها يخول الطرف الآخر الاحتجاج كسبب لانقضائها، أو إيقاف العمل بها.

٢ـ في المعاهدة الجماعية: الإخلال الجوهري بها من قبل أحد أطرافها:

أـ يخول الأطراف باتفاق جماعي فيما بينها إيقاف العمل بالمعاهدة كلياً أو جزئياً أو نهائياً:

ـ في العلاقات بينها وبين الدولة المخلة.

ـ أو فيما بين جميع الأطراف.

ـ **المقصود بالإخلال الجوهري**: التنصل من المعاهدة بما لا تجيزه هذه الاتفاقية أو مخالفة نص أساسي متعلق بموضوع المعاهدة والغرض منها.

خامساً: الانقضاء لاستحالة التنفيذ:

يجوز لأي طرف في المعاهدة الاحتجاج باستحالة تنفيذها كسبب لانقضائها أو الانسحاب منها إذا نجمت الاستحالة عن زوال أو هلاك أمر لا يستغنى عنه لتنفيذها، أما إذا كانت الاستحالة مؤقتة فيجوز الاحتجاج بها كأساس لإيقاف العمل بالمعاهدة فقط، بشرط أن لا تكون الاستحالة ناجمة عن إخلال الطرف بالتزاماته بموجب المعاهدة أو بموجب أي التزام دولي آخر يقع عليه في مواجهة أي طرف آخر في المعاهدة.

سادساً: انقضاء المعاهدة بسبب التغيير الجوهري في الظروف:

١ـ لا يجوز الاحتجاج بالتغيير الجوهري غير المتوقع في الظروف التي كانت سائدة عند عقد المعاهدة كأساس لانقضائها أو الانسحاب منها إلا بتحقق الشرطيين الآتيين:

أـ أن يكون وجود هذه الظروف قد كون سببا رئيسياً لرضى الأطراف الالتزام بالمعاهدة.

ب ـ وأن يكون من شأن التغيير أن يبدل بصورة جذرية في مدى الالتزامات التي ما زال من الواجب القيام بها بموجب المعاهدة.

٢ـ لا يجوز الاحتجاج بالتغيير الجوهري في الظروف كأساس لانقضاء المعاهدة أو الانسحاب منها في إحدى الحالتين الآتيتين:

أ ـ إذا كانت المعاهدة تنشئ حدوداً.

ب ـ إذا كان التغيير الجوهري في الظروف ناتجاً عن إخلال الطرف الذي يتمسك به إما بالتزام يقع عليه في ظل المعاهدة أو بأي التزام دولي آخر مستحق لطرف آخر في المعاهدة.

مع الملاحظة إن التغيير الجوهري للظروف وفقاً لما سبق يصح أساساً لطلب إيقاف العمل بالمعاهدة.

سابعاً: انقضاء المعاهدة بسبب ظهور قاعدة آمرة جديدة من القواعد العامة للقانون الدولي ـ النظام العام الدولي ـ: إن ظهور مثل هذه القاعدة تجعل أية معاهدة نافذة تتعارض معها تصبح باطلة وتنقضي.

ـ المقصود بالقاعدة الآمرة من القواعد العامة للقانون الدولي: القاعدة المقبولة والمعترف بها من قبل المجتمع الدولي ككل على إنها القاعدة التي لا يجوز الإخلال بها والتي لا يمكن تعديلها إلا بقاعدة لاحقة من القواعد العامة للقانون الدولي لها ذات الطابع.

بمثابة خاتمة: إن كانت هذه هي الأسباب والشروط التي نص عليها القانون الدولي لانقضاء المعاهدات، وإيقاف العمل بها فإلى ماذا يستند الكرد في مطالبتهم بإلغاء أو انقضاء أو إيقاف العمل باتفاقية (سايكس بيكو) بعد مئة عام من إبرامها ؟؟!!

ـ هل إضرار هذه الاتفاقية بالكرد وتشتيت شملهم وبالضد من رغباتهم ومصالحهم يشكل سبباً كافياً للمطالبة بانقضائها أو إلغائها؟

ـ هل غياب الدول التي أبرمت هذه الاتفاقية من جغرافية المنطقة يصح سبباً للمطالبة بانقضائها؟

ـ هل بمقدور الكرد إقناع وجمع جميع الأطراف الموقعين على اتفاقية (سايكس بيكو) تحت عباءة الأمم المتحدة ومطالبتهم بإلغائها أو عقد معاهدة جديدة وفقاً للظروف المستجدة؟

ـ هل من حق الكرد الاحتجاج بالتغيير الجوهري في الظروف كسبب للمطالبة بانقضائها علماً أنهم لم يكونوا حين إبرامها كياناً أو طرفاً فيها؟

ـ هل هناك نصوص في اتفاقية (سايكس بيكو) تنص صراحة أو ضمناً على كيفية أو مدة لانقضائها يمكن للكرد التمسك بها في مطالبتهم بإلغائها؟

ـ ان لم يكن لاتفاقية (فيينا) أثر رجعي بالنسبة للمعاهدات التي سبقتها، أليس للكرد حق أن يضعوا هذه الاتفاقية وراء ظهورهم ويستمروا في مطالبتهم بإلغاء اتفاقية (سايكس بيكو)؟!

ـ هل هناك قواعد آمرة جديدة من القواعد العامة للقانون الدولي ظهرت بعد اتفاقية (سايكس بيكو) وتتعارض مع أحكامه، على الكرد أن يبحثوا عنها ويحتجوا بها كسبب في مطالبتهم بإلغائها؟

ـ هذه أسئلة ـ وغيرها ـ كثيرة برسم الإجابة للمستقبل كل ما يمكن قوله الآن، إن الأمنيات وحدها لا تكفي، وتصلح سببا لتغيير الخرائط والوقائع وإلغاء الاتفاقات والمعاهدات الدولية، ولكن ربما يمكن القول إن العامل الأهم التي يمكن للكرد أن يراهنوا عليه في مطالباتهم بإلغاء (سايكس بيكو) هو أن مصالح القوى الاستعمارية الكبرى حينئذ أوجدت هذه الاتفاقية، وان مصالحها الآن وبعد مئة عام من عمر اتفاقية (سايكس بيكو) تقتضي تغييراً جوهرياً في جغرافية وخرائط المنطقة، لذلك على الكرد إن يدفعوا بكل قواهم نحو جمع هذه القوى الكبرى ـ القديمة والجديدة ـ من جديد وإقناعها بإبرام اتفاقية جديدة تأخذ بعين الاعتبار وجود وجغرافية الشعب الكردي وقضيته العادلة وتمحو كل آثار (سايكس بيكو) المدمرة بحق الكرد.

---

*المراجع:

١ـ مجلتي القانون والمحامون، أعداد مختلفة.

٢ ـ مجموعة التشريعات القضائية...جمع وتنسيق المكتب الفني لمحكمة النقض لعام١٩٨٢

٣ـ نص اتفاقية (سايكس بيكو).

٤ـ نص اتفاقية (فيينا) لقانون المعاهدات لعام١٩٦٩

٥ـ مبادئ القانون الدستوري.الدكتور كمال غالي.

صحيفة "كردستان"

أول صحيفة باللغة الكردية في التاريخ المعاصر

نواف بشار عبدالله

مقدمة:

في نهاية القرن التاسع عشر وخلال فترة تواجد الأمير الكردي مقداد مدحت بدرخان في القاهرة برحلة علاجٍ واستشفاءٍ من مرضٍ كان قد ألمَّ به ،اطّلعَ على تطوّر الحركة الثقافية والأنشطة التجارية والعمرانية والفنية في مصر، فقارنَ الأمير مقداد بدرخان وضعَ المصريين هناك بوضع الأكراد المبتلين بآفات الجهل والتخلف في كردستان، ولاحظَ فرقاً كبيراً في الحالة المعيشية والثقافية والاجتماعية بين الوضعين، فراودتْه فكرة إصدار جريدة باللغة الكردية تهتمُّ بنشر الوعي والعلم والمعرفة بين بني قومه المحرومين من نعمة العلم ونور المعرفة ومصادرها، لعلّ وعسى أن تساهمَ في رفعٍ سوية تفكيرهم وتغيير نمط سلوكهم المائل نحو الركود والسكون، وحثّهم على العمل لتغيير واقعهم نحو الأفضل.

نضجت الفكرة، وبتاريخ يوم الخميس ٣٠ ذو القعدة سنة ١٣١٥ هجرية المصادف ٢٢ نيسان ١٨٩٨م، أصدرَ الأمير مقداد بدرخان

العدد الأول من صحيفة أسماها "كردستان" باللغة الكردية والحروف العربية في القاهرة، منوِّهاً بأنها صحيفة نصف شهرية، وسوف يرسل ٢٠٠٠ألفي نسخة من كل عدد منها إلى وطنه كردستان لتوزيعها على القرّاء مجاناً.

بعد صدور العدد الأول الذي لاقى استحساناً ومباركة من كبار علماء الأكراد في ذلك العصر، ثارتْ ثائرة السلطان العثماني عبدالحميد باشا وطالبَ صاحبها بإيقافها على الفور، مشدداً على أنه لن يسمح بصدور مثل هذه الجريدة من أرض سلطنته!. حاولَ الأمير الكرديَّ عبثاً بقلمه وهدوئه ورصانته وقوة منطقه من إقناعه بمنحه رخصة سلطانية، إلا أن جهودَه باءت بالفشل، بسبب تعنت السلطان الذي أحاط نفسه ببطانة فاسدة من المستشارين همُّها الأول والأخير هو جمع المال والرشاوي وإقامة السهرات والليالي الملاح للسلطان المغرور الغارق في الفساد حتى أنفه، وبالأخص منهم شخصية تدعى بـ "أبي الهدى" غجريّ الأصل والمنبت!.. فغادر القاهرة ليعودَ إلى استانبول بعد إصداره خمسة أعداد منها.

بعد فترة وجيزة من عودة الأمير مقداد بدرخان إلى استانبول، قامَ الأمير عبدالرحمن بدرخان بمغادرة السلطنة واستمرَّ في إصدار الجريدة التي وضع أسسَها أخوه الأمير مقداد، فتابع إصدار الصحيفة من العدد السادس ولغاية العدد ١٩ في مدينة جنيف السويسرية، حيث كتب مقدمة العدد السادس باللغة العثمانية، مقالة بمثابة عريضة للسلطان، يبينُ له فيها بأنه قد خرج من ملكه، وأنه سيستأنفُ ما بدأ به أخوه الأمير مقداد، متعهداً باستمرار خدمة بني قومه الكرد عبر النصح والوعظ والإرشاد ونشرها في الجريدة، وأنه سيتابع إرسال ألفي نسخة من كل عدد إلى كردستان مجاناً.

عاد الأمير عبدالرحمن إلى القاهرة مرة أخرى ليصدر منها العدد ٢٠ وحتى العدد ٢٣ ثم غادرها مرة أخرى تحت ضغط السلطان المتعنت برأيه وموقفه المعادي لهذه الصحيفة. وأصدر العدد ٢٤ في لندن. ومن العدد ٢٥ حتى العدد ٢٩ في مدينة فولكستون البريطانية. عاد مرة أخرى إلى جنيف السويسرية ليصدرها فيها آخر عددين ٣٠ و ٣١، حيث صدر العدد ٣١ والأخير من هذه الصحيفة بتاريخ الإثنين٦ محرم سنة ١٣٢٠هجرية الموافق ١٤ نيسان ١٩٠٢، بعد حياة دامت أربعة أعوام مليئة بالمنع والملاحقة والتضييق، وبذلك، أسدِل الستار على هذه الصحيفة التي أصبح فيما بعد يومَ صدور عددها الأول، أي يوم ٢٢ نيسان من كل عام، يوماً للصحافة الكردية.

ولإحاطة قرّاء العربية الكرام بمضمون هذه الصحيفة ومقالاتها التي تناولت العديد من المجالات والشؤون السياسية والتاريخية والأدبية، قمتُ بترجمة افتتاحية العدد الأول من الصحيفة المكتوبة بقلم الأمير مقداد بدرخان.

الترجمة العربية للنص الكردي:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدُ اللهَ ونشكره مائة ألف مرةٍ على خَلْقهِ لنا مسلمين، ووهبَنا العقل والذكاءَ لتعلم العلم والمعرفة. هناك الكثيرُ من الآيات الجليلة والأحاديث الشريفة تحثُّ المرءَ على اكتساب العلوم والمعارف. أنّى يتواجد المسلمون اليوم في هذه الدنيا، توجد المكاتب والمدارس والجرائد في قراهم ومدنهم جميعاً، حيث تكتب هذه الجرائد عن كل الأحداث والوقائع، لكن ما يؤسفني هو أن الأكراد الذين يتفوقون على العديد من الأقوام بذكائهم ونباهتهم، ويتميزون بالطيبة والصدق وقوة البنيان، لكنهم خلافاً للأقوام الأخرى أميّون وفقراء، يجهلون ما تجري من

أحداثٍ في هذه الدنيا، ولا يعرفون ما يخبئُه لهم جارهم الموسقوف (الروس-المترجم) وماذا سيفعلُ بهم مستقبلاً!، لهذا، ولوجه الله تعالى قررتُ إصدار هذه الجريدة التي سوف أقوم بتحرير ونشر عددٍ منها كلَّ خمسة عشر يوماً بدءاً من هذا التاريخ. لقد أسميتُها "كردستان"، وسوف أتحدثُ فيها عن منافع العلوم والمعارف، وأحددُ الأمكنة التي يتعلم فيها الناس، تلك التي تتواجد فيها المكاتب والمدارس الجيدة والمتميزة، لأدلَّ الأكراد عليها كي يرسلوا أولادهم للتعلم فيها، كما سأتحدثُ عن الحروب بين الدول وماذا تفعل الدول الكبرى وكيف تحارب أعداءَها، وكذلك عن كيفية مزاولة التجارة. سأتحدث عن كلِّ هذه القضايا. لم يقمْ أحدٌ من الأكراد حتى الآن بالكتابة في هذه الشؤون، وتعتبر جريدتي هذه هي الأولى على هذا الطريق، ولذلك، سوف تحملُ الكثيرَ من الأخطاء، راجياً منكم أن تكتبوا لي عن أخطاء هذه الجريدة، لأنه من الطبيعي أن يكون كل شيء في بدايته يافعاً وناقصاً، وبمرور الزمن يقوى عوده ويشتدّ، وها أنذا أبدأ القصدَ (ومن الله التوفيق).

قال حضرة النبي عليه الصلاة والسلام "العلماءُ ورَثة الأنبياء"، أي أنهم مأمورون من الله تعالى أن يقوموا بوعظ الناس واستدلالهم على الطريق القويم، لذلك يا علماءَ الأكراد، يُطلَبُ منكم أن تقوموا بتشويق أمراء الأكراد وأغواتهم الذين تعرفونهم على تعلم العلم والمعرفة ودلِّهم على طريق الصواب بنفس القدر الذي تقومون به بالوعظ والنصيحة وأداء فريضة الصلاة، إنْ لم تفعلوا هذا، فاعلموا بأنكم تتحمّلون ذنوبَهم جميعاً!.

كما قال حضرة النبي عليه السلامُ أيضاً "العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان"، أي أنه هناك علمان، أحدهما علم الأبدان وهو علم الطب، والآخر هو علم الدين والإيمان. يا أمراء وأغوات الأكراد!، إني لأسألكم من منكم قد اكترث لأمر النبي هذا؟ ومن منكم قام بإرسال

أولاده، إخوته أو أهله للتعلم؟ من منكم قام ببناء مدرسة أو مكتب في قريته؟. أيها العلماء!: لماذا لا تقرؤون تلك الأحاديث آنفة الذكر للأمراء والأغوات، ولماذا لا تقرؤون الجرائد العربية لتعرفوا ما تجري من أحداثٍ في هذا العالم؟.

قال حضرة النبي أيضاً "الكاسِبُ حبيبُ الله" أي أنّ اللهَ تعالى يحبُّ من عباده من يعمل ويكسبُ من عمله أجراً، فالإنسان الأميُّ الذي لا يعرف القراءة، لا يستطيع قراءة الصحف، ومن لا يقرأ الصحفَ، لا يعرف الأماكنَ المربحة لمزاولة التجارة، فالجرائد التي تصدرُ في هذه الأيام تتحدث عن كل شيء، والإنسان الذي يقرأها، يعرف أين تباع بضاعته التي يملكها بأثمان عالية وأين تلقى رواجاً.

في السنوات القليلة الماضية تمَّ تأسيسُ مدرسة في استانبول اسمها مدرسة العشائر، لا تقبل هذه المدرسة الطلابَ سوى أبناء العشائر. قامت عشائر الشمر والعِنِزة من بغداد والشام واليمن بإرسال أبنائها إلى استانبول للتعلم فيها، حيث يحصلون خلال دراستهم على إجازة سنوية مدتها شهران يزورون فيها أوطانهم ويلتقون بأهلهم ثم يعودون إلى مدرستهم لاستمرار تحصيل العلم والمعرفة، يتخرّجون منها بعد ستة أو سبعة أعوام ليصبحوا علماءً جيدين نافعين، يعودون إلى مدنهم وقراهم، ويحصلون على وظائف مرموقة. تدفع الدولة لهم رواتبَ مجزية، ويتدرّجون في المراتب الوظيفية من مأمورين إلى متصرّفين ووُلاة. أيها الأمراء والأغوات! عليكم أن تعرفوا بأنكم تتحمّلون خطايا أولادكم. يطلبُ منكم أن تقوموا بإرسال أولادكم إلى تلك المدرسة للتعلم فيها، وإنْ لم تفعلوا، فأن الله تعالى سيحاسبكم عليها حساباً عسيراً، وليعملْ أغنياؤكم على إنشاء المدارس في القرى ليكسبوا حسناتٍ وأجراً عظيماً من لدن الله تعالى.

قال حضرة النبي عليه السلام أيضاً "الحربُ خدعة". أيها الأمراء والأغوات، يا أيها الأكراد!:كلُّ العالم يعلمُ بأن الكردَ طيبون، لكن عليكم أن تدركوا بأنه لا يمكن الانتصارَ بالحروبِ في عصرنا هذا بالطيبة وحدها!، فقد ظهرتْ في هذه الأزمان مَدافعٌ وبنادق عجيبة تلقي بقذائفها بعيداً جداً حيث تقتل الإنسانَ قبل أن تُسمَعَ أصواتها، وتصلُ رصاصاتها إلى أماكنَ يظهر منها الإنسان بحجم الطير وتقتله هناك!، ولا يمكن للإنسان صناعة مثل هذه المدافع والبنادق الحديثة أو استعمالها بدون القراءة والتعلم في المدارس والمكاتب، ولهذا، فإن شجاعتكم بدون حيازتكم لمثل هذه الأسلحة تبقى ناقصة وتكون أشبه بشجاعة رجالٍ مربوطين مكتّفي الأيدي.

أُمِرَ في المصحف الشريف" جاهدوا في سبيل الله"، أي يطلب الله منكم أن تقاتلوا أعداء دينكم في سبيل الله تعالى، وإنّ جاركم الموسقوف (الروس-المترجم) هو عدوّ دينكم، وهو الذي احتلّ حتى الآن الكثير من ديار الإسلام وغيَّرَ دينَ سكانها من الإسلام إلى المسيحية عنوة، وإن الدورَ قادمٌ على كردستان. فإنْ قرأتم وتعلمتم الصناعة والحرفَ ومزاولة التجارة وأصبحتم أغنياءً، عندها تستطيعون تجنبَ شرورَه والنجاة بوطنكم، أما إن لم تكترثوا للأمر ولم تعطوا لنصائحي هذه حق قدرها، وبقيتم كما أنتم الآن رعاة أغنام وأبقار فقط، فسوف تُدمَّرُ كردستان نهائياً في وقتٍ قصير. كان جاركم العجمُ مثل الأكراد تماماً، لكنهم اقتنعوا مؤخراً بأنه لا يمكن الاستمرار في الحياة ومواكبة العصر دون اكتساب العلوم والمعارف والحرف، فعملوا بهمة و نشاط، وهم يملكون اليوم الكثير من المدارس والمكاتب يعلّمون فيها أولادَهم ثم يرسلونهم إلى البلدان البعيدة لاكتساب مختلف العلوم، فعلى سبيل المثال يوجد الآن ثلاثة أو أربعة أشخاص من أولاد بيكوات العجم يدرسون في المكتبة الحربية باستانبول.

أيها الأمراء والأغوات!، التفتوا إلى أنفسكم جيداً، فبسبب جهالتكم، تزدادون فقراً يوماً بعد يوم. لله الحمد، هناك الكثير من المكاتب والمدارس، أرسلوا إليها أولادكم للتعلم فيها لوجه الله تعالى وتخلّصوا من هذه الجهالة، عمِّروا بالعلم دنياكم وآخرتكم. إن الناس يقولون إذا ما قرأ الأكراد وتعلّمَوا، فإنهم سوف يتجاوزون غيرهم في القوة والثراء.

قال حضرة النبي عليه السلام أيضاً "اطلبوا العلمَ ولو كان في الصين" أي أنه حتى لو كان العلم في الصين، اذهبوا هناك اطلبوه وتعلموه. أيها الأمراء والأغوات! إني أسألكم، منْ منكم قام بإرسال أحدٍ من أقربائه إلى أي مكان لينال العلم؟. توجد مكاتب ومدارس للدولة في بغداد والشام واستانبول لله الحمد، والدراسة فيها مجانية، ومن يقومُ بتسليم أولاده للدولة، تتكفل الدولة بتعليمهم مجاناً دون أي مقابل.

قبل سنتين أو ثلاث سنوات، جرت حربٌ بين الصين واليابان، وعلى الرغم من أن عددَ الجنود الصينيين كان يتجاوز عشرة أضعاف الجنود اليابانيين، انتصرت اليابان على الصين في جميع معاركها، فتفضلوا لندرس ولنبحثْ معاً عن الأسباب. مواطنو الصين أناسُ أميون جهَلة لا يعرفون شيئاً ولا يعلمون استعمالَ بنادقَ هذا الزمن، بينما يقوم عسكر اليابان بتصنيع بنادقهم بأنفسهم، ويعمل اليابانيون في مختلف المهن والحرف، ويزاولون التجارة بنجاح، لذلك هم أغنياء. بسبب وفرة المال لديهم، قام اليابانيون بشراء ما كانت تنقصهم من أسلحة على وجه السرعة من البلاد البعيدة وحاربوا أعداءهم فانتصروا عليهم، وهم يعيشون الآن في بيوتهم بعزة وكرامة آمنين مرتاحين ولا يتجرأ أحدٌ أن يسيءَ إليهم.

درتُ العديدَ من المدن والأصقاع، وإني أعيش الآن في مصر، أرى في جميع الأمكنة أبناءَ الشركس والأرناؤوط والعرب ممن أرسلهم

آباؤهم أو إخوانهم للدراسة والتعلم في المدارس. التقيتُ بجامعة الأزهر في مصر ببعضٍ من كرد سوران، البعض من كركوك والبعض الآخر من السليمانية، وكلهم يدرسون في هذه الجامعة، لكنني لم ألتقِ يوماً بأبناء بوطان، غرزان، شيرَوان وهكاريان، ولم ألتقِ في أية مدرسة بأبناء العشائر الكردية، وكلٌّ من التقيت بهم من أبناء تلك العشائر، هم جميعاً عمال فقراء مساكين، لا يتقنون أي صناعة أو حرفة.

قبل ستة أشهرٍ أصبتُ بوعكة صحية، وبهدف المعالجة، جئتُ إلى مصر في الشتاء الماضي. إن مصر قد أصبح بلداً كبيراً وجميلاً، ولا يمكن للمرء أن يفيَ هذه البلاد حقَّها من الوصف دون أن يراها. مع مرور الوقت، تعرفت على أحوال المصريين وأوضاعهم وما يقومون به من أعمال في الصناعة والتجارة. إن أهل مصر تنقصهم الطيبة والشجاعة لكنهم يعملون كثيراً دون كلل أو ملل، حيثما توجد مدارس ومكاتب علمية جيدة، يرسلون إليها أبناءهم ليتعلموا العلم والصناعة ومختلف العلوم والفنون، وفي هذا الصدد هم لا يقولون هذه المدرسة بعيدة أو قريبة. الآن، يوجد بين أهل مصر عددٌ من العلماء وأصحاب الحرف والفنون، يقومون بتصنيع الكثير من حاجيات بلدهم بأنفسهم، كما يوجد بينهم من يقومون بتصنيع المدافع والبنادق، ومن يقومون ببناء بيوتٍ كبيرة تحوي أكثر من خمسين غرفة، ويوجد من بين أولئك الصناعيين من يتلقون أجراً يومياً (٥٠-٦٠) جرخياً!!، بيوتهم جميلة، لهم خدمٌ وحشم. يوجد بين المصريين أناس أميون وفقراء أيضاً، لكنهم قلة قليلة.

يا أمراءَ وأغواتِ الأكراد! إني لأسألكم ماذا ينقصكم أنتم حتى تكونوا أقلّ شأناً من أهل مصر؟، فالأكراد أكثر طيبة وذكاءً منهم، والكرد أفضل من المصريين بكل الأحوال، فلماذا يكون أهل مصر أكثر غنىً من الأكراد؟. يوجد في مصر بعض الأكراد، عندما علموا بقدومي،

جاؤوا إليّ جميعاً وزاروني في منزلي، سألتُ عن أحوالهم وأوضاعهم، وجدتهم جميعاً يعملون حراساً وخدماً لدى المصريين ويأتمرون بأمرهم، وقام البعض منهم بارتكاب أعمال وممارسات غير لائقة، فطُردوا من عملهم وازدادوا فقراً وبؤساً على بؤسٍ، فلو كان أولئك الأكرادُ متعلمين أو حرفيين، أو يتقنون صناعة ما، لما تعرّضوا إلى كل هذا الفقر والعَوَز، وإني لأتأسفُ بشدة عليهم كونهم لا يتقنون أي عملٍ سوى مهنة الحراسة وخدمة المصريين.

يا علماء وأمراءَ وأغواتِ الأكراد! كلكم تعرفون أصلي ونَسَبي، فجَدّي كما تعرفون هو حضرة خالد بن الوليد (رضي الله عنه) وعشيرتنا هي بوطان، وشُهرة نَسَبنا هي آزيزان، وإنني أعملُ متبرّعاً لوجه الله تعالى، حيث أصدرتُ هذه الجريدة وأصرفُ الكثير من المال على هذا الطريق وأقاسي العديدَ من المصاعب، وإن هدفي من عملي هذا هو خدمة الأكراد. فيا ليتكم أنتم أيضاً تهبّون لوجه الله تعالى وتساهمون في البدء بتعليم الأكراد. علِّموا أولادكم العلمَ والأدبَ والصناعة. يجبُ أن يكون المسلمون متعلمين كي يعرفوا ويفقهوا أصول دينهم. يا علماءَ الأكراد، لماذا لا تتحدثون للملأ في المساجد عن مساوئ الجهل وفضائل العلم؟، فأنتم تعرفون جيداً بماذا أمرَ الله تعالى ورسوله عليه السلام بشأن العلم والجهل، إذ يجب عليكم وعظها وشرحها جميعاً للأكراد كي يعملوا بها. الحمد لله تعالى، ها أنذا أعملُ وأؤدي ما يقع على عاتقي من واجب ومسؤولية تجاه قومي، وأرجو من علماء الأكراد أن يقرأوا جريدتي هذه لأمرائهم وأغواتهم، ليس هذا فحسب، بل يجب عليكم أن تقوموا بإفهامهم ما أمرَ به الله تعالى وحضرة الرسول عليه السلام، كما أرجو من أمراء الكرد وأغواتهم أن يقوموا بتعليم أولادهم في سن العشرة واثني عشر عاماً في قراهم ومدنهم ليتعلموا قراءة المصحف الشريف والجرائد، ومن ثم إرسالهم

إلى مكاتب ومدارس استانبول والشام وبغداد ليحصلوا هناك على العلوم والمعارف، ولكي يرضى الله تعالى عن الجميع وتصبحوا في أمن وأمان من شرور وحروب أعدائكم.

وليمنحِ اللهُ تعالى التوفيق لأمة الإسلام.

جمعية الطلبة الكورد في أوربا (١٩٤٩-١٩٧٩)

قصة هذا العمل

علي جعفر- المانيا

أمام قلة الأبحاث والدراسات التي تتناول وضع الجالية الكوردية في أوروبا، والتي تكاد لا تتجاوز عدد أصابع اليدين، راودتني عام (٢٠٠٨) فكرة البحث عن تاريخ وجود الكورد في هذه الدول، والوقوف على أوضاعهم من كافة الجوانب. وبطبيعة الحال فإن إنجاز عمل كبير وهام كهذا ليس بالسهولة التي يتمناها المرء. فيجب أن تتصدى له مؤسسة تمتلك امكانيات كبيرة، ومختصين عديدين. وعليه لم أجرؤ على الإعلان عن نيتي في الولوج في هذا البحث. وفي أحد اللقاءات بيني وبين الزميل الدكتور محمد زينو خريف عام (٢٠٠٩)، الذي كان وقتها قد أصدر كتابه الموسوم: (العائلة الكوردية في المهجر) اقترح عليّ أن نعمل سوياً في البحث عن أوضاع كورد أوروبا، فاستحسنت الاقتراح دون تردد وحدَّثته عما كان يجول في خاطري حول هذا الموضوع، ولكنه بعد فترة وجيزة، وقبل البدء بهذا المشروع،

اعتذر عن المشاركة فيه بسبب انشغاله في عمله اليومي، لا سيما وأن العمل في هذا المشروع يتطلب وقتاً وجهداً كبيرين، فبقيت لوحدي. عندها فكرت بحصر البحث في تاريخ كورد غرب كوردستان في أوروبا، حيث أنني أنحدر من هذا الجزء، وعلى اطّلاع لا بأس به على حياتهم السياسية والثقافية والاجتماعية.

بدأت بوضع مسودة مخطط البحث الذي يعتبر اللبنة الأولى في الميدان. فكان لا بد لي أن أبحث في تاريخ (جمعية الطلبة الكورد في أوروبا - KSSE)، باعتبارها أول منظمة كوردستانية شاملة على الساحة الأوروبية، انخرط في صفوفها طلبة كورد أجزاء كوردستان الأربعة؛ أي بما فيه الجزء الذي أنوي البحث في تاريخه. وذلك بمثابة الفصل الأول من الكتاب. فبادرت في السؤال والاتصال بأعضاء الجمعية القدماء، حيث أفصحت لهم عن نيتي، فاستحسن الفكرةَ كلُ مَنْ اتصلت به، وشجعوني، وأبدوا لي استعدادهم بتقديم ما لديهم من معلومات ووثائق تخص الجمعية.

وأثناء لقاءاتي ببعض أعضاء الجمعية القدماء، وخاصة مجموعة برلين في شهر تموز من عام (٢٠١٠)، منهم السادة: هوشنگ عثمان صبري، وزنار شيخموس، وفوزي أسعد، وعمر گولك، وبهاء محمد، ود. رسول فاقي ود. الراحل حسين كيكي، تبيَّن لي أن الجمعية تمتلك إرثاً نضالياً كبيراً فيما يخص تعريف قضية الشعب الكوردي وكوردستان للرأي العام الأوروبي والعالمي.

وهكذا كلما كنت أسمع مزيداً عن نشاطات وأخبار الجمعية، كانت الرغبة لديّ تزداد لمعرفة المزيد. فحاولت قدر المستطاع أن ألتقي بكل نشطاء وأعضاء الجمعية، خاصة الجيل الأول والثانى منهم. وشيئاً فشيئاً توصلت إلى قناعة بأن البحث في تاريخ الجمعية وسرد الأنشطة

والفعاليات، التي قامت بها، هذا إلى جانب نشرها مجموعة من الإصدارات باللغات الكوردية (باللهجتين الكرمانجية الشمالية والجنوبية) والعربية والإنكليزية والألمانية وغيرها، يتطلَّب بحثاً خاصاً، أو أكثر. ومن هنا أجّلت البحث في تاريخ كورد غرب كوردستان في أوروبا إلى حين آخر، وحصرت بحثي في تاريخ الجمعية.

وبدأت أجمع المعلومات والوثائق والمنشورات المتعلّقة بها - رغم قلّتها - من جهة، ومن جهة ثانية حاولت اللقاء بمعاصري أحداث الجمعية ومؤسسيها والمساهمين فيها، وجمع أقوالهم ومقارنتها مع بعضها البعض، لكن المشكلة الأكثر تعقيداً التي واجهتني في بحثي هذا، هو انتشار الكورد في كل الدول الأوربية ومدنها وقراها، بخلاف الوضع في كوردستان والدول التي تحتلها، حيث التجمعات الكوردية الكبيرة التي تسهل الحركة وتختصر الجهد والمشقة، فقد قمت بالتجوال في المدن والعواصم الأوربية، مثل: (برلين، جنيف، أمستردام، باريس، استوكهولم، ڤيينا، لندن، براتيسلاڤا، أوبسالا، بيرن، هانوڤر، والكثير الكثير من المدن والبلدات الأخرى) للقاء الشخصيات الناشطة والمؤثرة، أو حتى غير المؤثرة في الجمعية، والمعاهد والمراكز الكوردية، كما سافرت مرات عدة إلى جنوب كوردستان متجولاً في مدنها؛ العاصمة هولير، والسليمانية ودهوك وغيرها، للقاء نشطاء الجمعية. يجب أن أذكر أيضاً أنني ذهبت سراً إلى غرب كوردستان من أجل بحثي هذا.

وإن أكثر ما حزا في نفسي هو استهانة قلة قليلة جداً من نشطاء الجمعية، الذين يحملون شهادات عليا، وأمضوا جُلّ حياتهم في البلدان الأوروبية، بعملي هذا(١). حيث كنت آمل أن تكون تلك الشخصيات الأكثر تعاوناً معي من غيرهم، نظراً لمعايشتهم الأوروبيين الذين يهتمون كثيراً بتدوين وتوثيق التاريخ، ويعرفون حق المعرفة قيمة

الوقت والجهد الذي يبذله الإنسان. فكم من عضو من أعضاء الجمعية، وناشط من نشطائها رحل عنا قبل أن نتمكن من لقائهم، أمثال المرحومين: (حمرش رشو، ود. كمال فؤاد، ودارا أديب، ود. وريا راوندوزي ود. كمال خوشناو، وغيرهم) ودُفنت معهم مجموعة كبيرة من المعلومات الهامة التي كنا بحاجة إلى توثيقها. وهذه -للأسف- آفة تاريخية مزمنة ولعينة تخصّ الشعب الكوردي، فقد تقاعس الكورد كثيراً في كتابة تاريخهم والمؤرخون الكورد - باستثناء التاريخ الحديث - يُعدّون على أصابع اليد الواحدة. أما القسم الأكبر من التاريخ الكوردي فقد كُتب على أيدي مستشرقين ورحالة أجانب أمثال: مينورسكي، وباسيلي نيكيتين، وهسرتيان، أوليا چلبي وغيرهم، وكتبهم تُعتبر مراجع مهمة للتاريخ الكوردي.

لكن مهما بلغت دقة معلوماتهم عن الكورد وكوردستان، يبقى المؤرخ الكوردي أفضل كتابة منهم، فلن يتعرض هذا التاريخ إلى التحريف والتشويه من جهة، ولأن "أهل مكة أدرى بشعابها" من جهة أخرى.

وبخصوص أهمية تدوين التاريخ، كتب الدكتور أحمد محمود خليل الذي له مؤلفات عديدة فيما يخص التاريخ الكوردي القديم، في تقديم كتاب (الكرد في منطقة الباب وأطرافها)، قائلاً: ".... إن تواريخ الأمم وتراثها هو جذوعها وجذورها، والأمة التي تجهل تاريخها معرضة - آجلاً أم عاجلاً-إلى ضياع هويتها، واستلاب شخصيتها، وانصهارها في الأمم الأخرى."...

كما شعرت أن بعض الأشخاص لم يتعاونوا معي بالقدر الكافي، فخبؤوا عني بعض الأحداث، وأسماء فاعليها لأسباب واهية ربما متعلقة، بأسباب شخصية. وهناك مَنْ طلب مني عدم ذكر اسمه خشية من الأنظمة المحتلة الحاكمة لكوردستان، أو لأسباب لم يفصحوا عنها، على

الرغم من مرور عقود على تلك الأحداث والوقائع، وذلك على الرغم من استشهادي أمامهم بقول المحامي جرجيس فتح الله، الذي كتب في مقدمة ترجمته لكتاب: (كورد وترك وعرب) قائلاً: "إن من يخشَ الماضي فإنه يخاف الحاضر ولا طاقة له بمواجهة المستقبل."

وأبدي أسفي الشديد لعدم تمكني من لقاء بعض الشخصيات المهمة والنشيطة في الجمعية، لظروف وأسباب لم تتعلق بيّ، خاصة د. كمال فؤاد الذي رحل لنا بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٥، فحاولت كثيراً اللقاء به، لكن ظروفه الصحية السيئة حالت دون ذلك. وكذلك د. وريا راوندوزي الذي توفيّ قبل ذهابنا للقائه بأيام معدودة، كما التقيت المرحوم د. عصمت شريف وانلي قبل وفاته بأشهر عدة، إلا أنه كان شبه منهار جسدياً، وضعيف الذاكرة نتيجة معاناته من أمراض كثيرة، فعدت من رحلتي إليه شبه خاوى اليدين، باستثناء رؤيته وجهاً لوجه، وإن وجد آخرون ولم ألتق بهم، فليعلموا أنني لم أهملهم عن قصد.

وخدمة للحقيقة وللمنهجية العلمية في البحث من جهة، وتقديم الأفضل من جهة ثانية، فقد آثرت أن أقدم للقراء آراء مختلفة، لقناعتي بأن ناصية المعرفة والحقيقة الكاملة لا يمتلكها شخص واحد، أو جهة مهما علا شأنها وكَبُرت إمكانياتها العلمية والمعرفية.

لقد حاولت بقدر ما أسعفني الجهد أن أكون صادقاً ومنصفاً في سرد الأحداث والوقائع، لكي أكون موفقاً في بحثي هذا قدر الإمكان. كما ابتعدت عن إدخال قناعاتي الشخصية في الموضوع، حيث لم أبتغِ من وراء هذا العمل إلا تدوين جزء من تاريخ كورد أوروبا الذي يتعرض للإهمال والنسيان والضياع، لأنه جزء من التاريخ العام لكفاح أمتنا الكوردية، وخدمة شعبنا الذي ينتظر إنصاف قضيته المحقة.

ولا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل الذين تعاونوا معي وقدموا لي يد المساعدة، وهم كُثر للحقيقة، قد تطول القائمة لتعداد أسمائهم هنا(٢)، إلا أنني أراني مضطراً لذكر بعض تلك الأسماء ممن قدموا لي مساعدة فوق ما كنت أتوقعها، وأولهم السادة: هوشنگ عثمان صبري، وطارق عقراوي، وعمر شيخموس، ودارا عطار، وعمر يونس (گولك)، ويوسف زوزاني، ود. فاضل ملا خليل، ود. محمد صالح جمعة، ود. حسين حبش. وقد تفاوتت مساعدتهم بين تعليقات وتصويبات وملاحظات بناءة، ونصائح قيمة أغنت البحث. كما لا بد لي أن أثني على جهود أخي محمد جعفر الذي راجع الكتاب لغوياً. وأقدم شكري الخاص للناقد والباحث حيدر عمر الذي تفضل بتقديم الكتاب بعد تدقيقه ومراجعته.

أيضاً بودي أن أشكر القائمين على ("مؤسسة ژين" لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكوردي) في السليمانية بجنوب كوردستان ومديرها كاك رفيق صالح، حيث أمدوني ببعض دوريات الجمعية.

رأيت من الأنسب تقسيم بحثي إلى مرحلتين تاريخيتين. الأولى تبدأ من التأسيس وحتى العام (١٩٧٥م)، حيث تتميز هذه المرحلة بأهمية استثنائية خاصة، وهو يتكون من جزأين. الجزء الأول الذي بين أيديكم يحتوي على مؤتمرات الجمعية العامة، ومجموعة من وثائق الجمعية. أما الجزء الثاني الذي سنصدره قريباً يتناول البنية الفكرية والسياسية للجمعية وفروعها وأهدافها ونشاطاتها وعلاقاتها ومنشوراتها وعناوين أخرى، بما فيها بعض الوثائق. أما المرحلة الثانية، فتبدأ من عام (١٩٧٥م) إلى العام (١٩٩١) وهي قيد البحث.

أريد أن أنوه هنا إلى أنني استخدمت كلمة (الكورد) لا (الأكراد) التي وردت في وثائق الجمعية المكتوبة باللغة العربية، وفي وثائق أخرى،

وذلك لأنني أجد كلمة (الكورد) أكثر دقة للدلالة على هذا الشعب من كلمة (الأكراد).

وعملاً بالمثل الكوردي القائل (Goşt bê hestî nab e-):لا يخلو اللحم من العظام) فإنى أُقر مسبقاً بأن بحثي هذا قد تشوبه بعض النواقص والأخطاء والهفوات هنا وهناك، وخاصة أن الموضوع الذي أتناوله، لم يكن لي شرف المساهمة والمشاركة فيه سابقاً من جهة. ومن جهة ثانية عدم تمكني من الاطلاع على بعض الأبحاث باللغتين الفرنسية والروسية وغيرها، إلى جانب عدم استفادتي من مطبوعات الجمعية الصادرة باللغة الإنكليزية بما فيه الكفاية، خاصة مجلة (Kurdistan)، وذلك لعدم اتقاني هذه اللغة.

لهذا كله أقدم اعتذاري المسبق للباحثين والقراء الكرام، كما أشكر مسبقاً كل الذين يقدمون لنا أية ملاحظة أو معلومة، أو أية صحيفة، أو وثيقة، من منشورات الجمعية وفروعها، أو صورة تذكارية مما قد يوجد لدى بعضهم، ولم أتمكن من الحصول عليه، أو أوردته خلافاً للحقيقة، لكي أتلافاها في الطبعات القادمة. ويمكنهم إبلاغي عن ذلك سواء من خلال لقاء شخصي أو إرسالها إلى العنوان الإلكتروني المثبت في الصفحة الرابعة من البحث.

المانيا (فريدن Vreden - آذار ٢٠١٥)

كتاب كورد المهجر

(جمعية الطلبة الكورد في اوروبا) (١٩٤٩-١٠٧٥)

-المؤلف: علي جعفر

-مراجعة وتدقيق وتقديم: حيدر عمر

-تصميم الغلاف واخراجه: يحي سلو

-التنضيد والاخراج الفني: دار خاني

-منشورات دار خاني للنشر والتوزيع

-تسلسل الاصدار: ٨|٢

-الطبعة الأولى: كانون الثاني ٢٠١٦

للطلب والاتصال(xani6@hotmail.de) :

هاتف: (٠٠٩٤_١٧٤٩٣٩٢١١٨)

عدد الصفحات:٣٥٨

الكرد في الجزيرة حسب المصادر العربية الإسلامية

محسن سيدا

ارتبطت بلاد الكرد مثلما ارتبط تاريخ نشأتهم، في المصادر الإسلامية، بالجبل إلى درجة التماهي بينهما وقد تجلّت الدلالات الرمزية لارتباط الكرد بالجبال من خلال الأسطورة التي أوردها الدينوري (ت ٨٩٥م) والتي تعتبر الجبال مهد الكرد والموطن الذي نشأ فيه أسلافهم (١). فتسمية إقليم الجبال بـ "دار الأكراد" (٢) تشكّل امتداداً لعلاقة الكرد بالجبل.

أما بالنسبة للسهل فتشير المصادر الإسلامية إلى توزع الكرد وانتشارهم في السهول أيضا. ومن المعلوم أن السهل والجبل متلازمان. ولا شكّ أنه ينتج عن هذا التلازم تداعيات اجتماعية واقتصادية وهذه سمة من سمات جغرافية كردستان.

أشار البلداني أبو عبيد البكري (ت ١٠٩٤م) إلى مناطق انتشار الأكراد في "أرض دينور وهمدان وبلاد أذربيجان وبلاد الشام وبأرض الموصل إلى جبل جودي" (٣) ويضيف البكري في تحديد جغرافية

الكرد "وموضع الكرد الذي فيه أولهم ما بين أرض يهودا من أرض الشام وما بين جزيرة العرب "(٤).

في هذه الدراسة سأتناول وجود الكرد في إقليم الجزيرة حسب المصادر الإسلامية، مركزاً بشكل خاص على بعض كتب الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات. إنني لم أشأ في هذه الدراسة تناول الصراعات السياسية والاضطرابات الأمنية جرّاء الحروب الداخلية والغزوات الخارجية التي تعرّضت لها البلاد الجزرية، وكذلك لم أشأ الخوض في قيام وسقوط الدول والإمارات التي شهدتها تلك البلاد والتي كانت لها انعكاسات وتداعيات، بلا شك، على حركة السكان وانتشارهم، والتركيبة الديمغرافية ومن مظاهر اثر الحروب على السكان وتعاقب الأمم على الأمكنة أورد هنا، على سبيل المثال، ما ذكره البلاذري (ت ٨٩٢م) عن مدينة سنجار التي كانت بيد الروم ثم فتحها الفرس وفي عهد الفتوحات العربية "انصرف عياض من خلاط وصار إلى الجزيرة، بعث إلى سنجار، ففتحها صلحاً وأسكنها قوماً من العرب" (٥). إن جلّ ما أصبو إليه في دراستي هذه، سرد بعض النصوص والشواهد التي تناولت و أصّلت وجود الكرد في الجزيرة.

يشكّل إقليم الجزيرة امتداداً طبيعياً لإقليم الجبال من جهة الشرق، وقد أطلق الجغرافيون المسلمون على المناطق الشمالية الواقعة بين نهري دجلة والفرات اسم الجزيرة أو البلاد الجزرية، فتباينت تسمياتها وحدودها ونسبة بعض المدن إليها بتفاوت الأزمنة والبلدانيين، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد اعتبر ياقوت الحموي (١١٨٧ - ١٢٢٩م) في القرن الثاني عشر الميلادي مدينة خلاط قصبة أرمينية بينما عدّها ابن عربشاه (١٣٨٩ - ١٤٥٠م) في القرن الرابع عشر الميلادي ،جزءاً من "بلاد الأكراد" (٦).

ولقد قسّم الجغرافيون بلاد الجزيرة تقسيماً قبلياً إلى ثلاث مناطق وهي ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر

. وتنسب إلى البلاد الجزرية مدن وبلدات وقرى هامة أسهب البلدانيون في تعدادها

ووصفها ، ومن أشهرها الموصل وآمد والرها ورأس العين ونصيبين وجزيرة ابن عمر وسروج وقرقيسيا ودنيسر وسنجار وغيرها، بعضها مازال قائماً وبأسمائها التاريخية و بعضها الآخر اندثرت وبادت أو نشأت على انقاضها أو بجوارها مدن وبلدات جديدة وقد أطلقت على المدينة الواحدة اسماء عديدة حسب لغات أو نطق شعوبها وظاهرة تسمية المدينة الواحدة بأسماء عدة لها امتدادات حتى يومنا هذا ، وعلى سبيل المثال مدينة الحدث والتي تعد إحدى الثغور الجزرية التاريخية والواقعة بين سميساط ومرعش وملطية "تسميها الأرمن كينوك وتسميها الأكراد الهت والعرب تسميها الحدث"(٧) .

تميّزت البلاد الجزرية بغنى مواردها الطبيعية والبشرية و موقعها الاستراتيجي على طرق التجارة العالمية وتعدّ التعددية العرقية والدينية والتداخل الحضاري بين سكانها من العناصر الهامة في التكوين التاريخي للبلاد الجزرية بالإضافة إلى التركيبة الاجتماعية القبلية لغالبية السكان فيها وبخاصة الكرد والعرب والترك.

يقول الاصطخري: أن طرائق الكرد ومذاهبهم "في القنية والنجعة مذاهب قبائل العرب والأتراك" (٨)، فالحواضر الجزرية، ونتيجة تباين السكان والطبيعة الجغرافية للأقاليم المتاخمة لها، كانت وسطاً طبيعياً لتبادل سلع الجبال مع منتجات البادية وقد ترتّب على ذلك قيام العديد من المدن والبلدات المتعددة الجنسيات والأديان وهي تكاد أن تكون ظاهرة عامة في المدن الجزرية.

وما ذكره الجغرافي ابن حوقل (ت ٩٩٠م تقريباً)عن مدينة "كفر عزّى" يمكن تعميمه على سائر المدن الجزرية، حيث بيّن علاقة سكان البوادي والأرياف بالمدن، فيقول: "ومدينة كفرعزّى" يمتار منها الأعراب وينزل في نواحيها الأكراد"(٩) فالقبائل الكردية والعربية التي سكنت البلاد الجزرية والتي ورد ذكرها في المصادر الإسلامية كانت في معظمها "حاضرة بادية" أي تمتهن الزراعة إلى جانب الرعي وستنعكس هذه الظاهرة على ترييف المدن الجزرية و عجزها على تمدين الريف حتى يومنا هذا .

يذكر ابن حوقل في معرض حديثه عن براري الجزيرة والتي يسكنها قبائل ربيعة ومضر فيكتب "وأكثرهم متصلون بالقرى وبأهلها فهم بادية حاضرة" (١٠).

فالتركيبة الاجتماعية للسكان والتي امتهنت الزراعة إلى جانب الرعي سمة مشتركة للسكان الكرد والعرب في البلاد الجزرية. يقول ابن حوقل "وبين الزابين مراع كثيرة وبلاد كانت الضياع بها ظاهرة وهي في الشتاء متشاتى للأكراد الهذبانية ومصائف لبني شيبان" (١١).

إن قراءة نصوص الجغرافية والتاريخ الإسلامي والتي تناولت البلاد الجزرية تبدّد بعض التصورات المتخيلة عن التكوين التاريخي لهذه البلاد، فالتوزع الجغرافي للأقوام والأديان في هذه البلاد يتداخل بشكل لافت ومن الصعوبة بمكان رسم حدود فاصلة بينها واستناداً إلى النصوص الإسلامية فإن تاريخ غالبية الشعوب التي عاشت في إقليم الجزيرة، كالعرب والأرمن والكرد والآثوريين الكلدان، يعود تاريخها إلى حقبة ما قبل الإسلام، اما التركمان فقد دخلوا المنطقة بعد معركة ملاذكرد عام ١٠٧١م وأصبح لهم دور بارز في تاريخ الإسلام بشكل

عام و البلاد الجزرية بشكل خاص حيث أسسوا العديد من الإمارات والدول فيها.

إن انفتاح إقليم الجزيرة من جهة الجنوب مع الجزيرة العربية سهّلت للقبائل العربية بالسكن فيه قبل الإسلام، ولكن لم تدخل الجزيرة ضمن جغرافية "ديار العرب" حسب اصطلاح الجغرافيين، يقول ابن حوقل. "وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة حتى صارت لهم بها ديار ومراع، ولم أر أحداً عزا الجزيرة إلى ديار العرب لأن نزولهم بها وهي ديار لفارس والروم" (١٢)

إن المصادر، التاريخية منها والجغرافية، والتي تناولت تاريخ العرب والشعوب الأخرى في الجزيرة، تتحدث بدورها عن الكرد وقبائلهم وقلاعهم وقد دلّت المصادر التاريخية على كثرة قلاع الكرد ومعاقلهم وهي تكاد أن تكون سمة للتاريخ الكردي في العهد الإسلامي.

يذكر الجغرافي ابن الفقيه (توفي بعد ٩٠٣م) في معرض تعريفه لحدود الجزيرة، أن القائد عتبة بن فرقد السلمي نجح عام ٢٠ للهجرة في "فتح المرج وقراه وأرض بانهدرا وداسن وجميع معاقل الأكراد"(١٣) وذكر المؤرخ الجزري ابن الأثير (١١٦٠ - ١٢٣٤م) هذه الرواية في حوادث سنة ١٦للهجرة، فيقول: "وعَبَرَ دجلة، أي عتبة بن فرقد، فصالحه أهل الحصن الغربي وهو الموصل على الجزية، ثم فتح المرج، وبانهدرا، وباعذرا، وحبتون، وداسن، وجميع معاقل الأكراد وقردي وبازبدي، وجميع أعمال الموصل" (١٤).

من المصادر الهامة في تاريخ الجزيرة كتاب الواقدي (٧٤٧ - ٨٢٣م) "فتوح الجزيرة" حيث يؤرخ لنقطة التحول في البلاد الجزرية إبان عهد "الفتوحات" وإثر احتدام الصراع بين الإسلام والمسيحية في المنطقة. فكتابه يؤرخ لحقبة ما يعرف في التاريخ الإسلامي بالفتوحات،

لذا جاء اهتمام الكتاب منصباً على معرفة دخول العرب المسلمين إلى تلك البلاد، صلحاً أم عنوة وبيان ما يترتب على ذلك من أحكام فقهية، دون الدخول في تفاصيل أوصاف البلاد الجزرية وتحديد السكان كما يفعل البلدانيون في كتاباتهم حيث الإسهاب في أوصاف السكان وأديانهم وأعراقهم. وتكمن أهمية الواقدي كونه من أقدم المؤرخين الذين تناولوا تاريخ الفتوحات ويعد كتابه وثيقة تاريخية هامة لبداية انتشار الإسلام وانحسار المسيحية وما نتج عنه من تغير في التركيبة السكانية من الناحيتين العرقية والدينية في الجزيرة.

لم يتطرق الواقدي إلى الأقوام الجزرية إلا عرضاً وقد أشار إلى العديد من القلاع والحصون والمواقع دون ذكر للكرد فيها علماً أن مصادر أخرى ستتحدث عنها كقلاع وحصون لأهلها الأكراد وتحديد القبائل الكردية الحاكمة فيها. تنوب كلمة النصارى ذات المدلول الديني في نص الواقدي عن التعددية الأقوامية في الجزيرة، فهي الكلمة الجامعة للسكان في الجزيرة وفق نص الواقدي. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن كلمتي النصارى والسريان لهما نفس المدلول الديني. لقد أطلقت كلمة السريان على الآراميين من معتنقي المسيحية وتوسع فضاء الكلمة لتماثل كلمة النصارى في المعنى، ولتطلق على المسيحيين من كل الأقوام.

يقول العلامة ادي شير(١٨٦٧ - ١٩١٥م) في هذا الصدد: "..... لم يكن الاسم السرياني يومئذ يشير إلى أمّة بل إلى الديانة المسيحية لا غير" (١٥) وينقل عن مطران نصيبين (٩٧٥- ١٠٤٦م) أنه فسّر كلمة السرياني بالنصراني و يضيف قائلاً: "وإلى يومنا هذا نرى الكلدان والآثوريين لا يتخذون لفظة سرياني للدلالة على الجنسية بل على الديانة" (١٦).

كان لا بد من هذا التوضيح لتوخي الحيطة عند تناول تاريخ الشعوب والأديان في الجزيرة.

عند تناول الواقدي لـ "فتح الموصل ونينوى" يذكر اسماء بعض القلاع والحصون في تللك المنطقة ومنها قلعة أشب والعقر(١٧) وحصون ابن عمر وجبل مارون وشرق دجلة(١٨).

ستسجل هذه الرقعة الجغرافية، المشار اليها آنفاً، في المصادر الممتدة ما بين العاشر الميلادي إلى الثالث عشر الميلادي كثافة كردية تحدثت عنها المصادر بوضوح.

يذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان في معرض تعريفه لبعض القلاع، التي وردت اسماؤها لدى الواقدي ،ومنها قلعة أشب والعقر ومارون وهي قلعة فنك، فيؤكد الحموي ملكية هذه القلاع للقبائل الكردية والمعروفة في المصادر الإسلامية.

فقلعة آشب كانت للأكراد قبل تسميتها بالعمادية نسبة إلى عماد الدين الزنكي (١٩) وقلعة العقر "أهلها أكراد"(٢٠) وتعد قلعة فنك من أهم معاقل الأكراد البشنوية وهي "قلعة منيعة للأكراد البشنوية قرب جزيرة ابن عمر ...وهي بيد هؤلاء الأكراد منذ سنين كثيرة نحو الثلاثمائة سنة" (٢١).

يورد الحموي أسماء العشرات من المدن والبلدات والقرى الكردية ومما يلفت في كتابه كثرة أسماء الحصون والقلاع الكردية والتي تعيد للأذهان كتاب "القلاع و الأكراد"(٢٢) للمدائني (ت ٨٤٢ م) ، المعاصر للواقدي، ولولا شهرة الكرد بالقلاع، كما تؤكد المصادر، لما افرد المدائني كتاباً خاصاً عن الكرد والقلاع، ومما يؤسف له أن كتابه مفقود كسائر كتاباته.

يقول ياقوت الحموي في معرض تعريفه لجغرافية الزوازن وبعد حديثه عن حدود الزوزان يكتب قائلاً: "وفيها ، أي الزوزان، قلاع كثيرة حصينة، وكلها للأكراد البشنوية والبختية، فمن قلاع البشنوية قلعة برقعة وقلعة بشير، وللبختية قلعة جرذقيل، وهي أجل قلعة لهم وهي كرسي ملكهم" (٢٣).

لم تشر المصادر الإسلامية الى هجرة للقبائل الكردية إلى إقليم الجزيرة وليس ثمة إشارات إلى زمن دخول الكرد إلى هذه القلاع. إن سكوت المصادر عن نزوح كردي باتجاه الجزيرة وغياب ذكر الكرد في كتاب الواقدي يدفع الباحث إلى السؤال عن هوية هؤلاء النصارى الذين أسهب الواقدي في الحديث عنهم.

يكتنف الغموض حياة الكرد قبل الإسلام خاصة ما يتعلق بمعتقداتهم وأديانهم، إلا أن المصادر الإسلامية تحمل في ثناياها معلومات قيّمة عن حياة الكرد يمكن من خلالها ترميم الفجوات في التاريخ الكردي وتسليط الضوء على بعض جوانبه المعتمة.

يعد كتاب مروج الذهب للمسعودي (٨٩٦- ٩٧٥م) من المصادر الهامة عن الكرد في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي.

يذكر المسعودي في معرض حديثه عن أنساب الكرد ومنشئهم التاريخي والتوزع الجغرافي لقبائلهم والإشارة إلى الأديان والمذاهب المنتشرة بينهم، يذكر المسعودي قبيلتين كرديتين مسيحيتين وهما الجورقان واليعقوبية فيقول: "..... ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم من النصارى، وديارهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي. "(٢٣)

وقد ذكر المؤرخ الجزري ابن الأثير في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي الأكراد اليعقوبية في البلاد الجزرية في حوادث سنة ٢٦٦ للهجرة لكن دون التطرق إلى ديانتهم (٢٤).

تؤكّد المصادر الإسلامية أن الديانة السائدة في البلاد الجزرية، قبل الإسلام، كانت النصرانية إلى جانب الزرادشتية فمن المعروف أن البلاد الجزرية قبل الإسلام كانت مسرحاً للصراع بين الامبراطوريتين، البيزنطية المسيحية و الساسانية الزرادشتية، يذكر الواقدي أن قلعة ماردين كانت بيتاً للنار قبل بناء القلعة(٢٥).

ومن الأدلة و القرائن على انتشار المسيحية في مناطق تداخل الأرمن مع الكرد ما ذكره البلاذري (ت ٨٩٢)عن بطريرك الزوزان الذي صالح المسلمين عن أرضه على إتاوة وذلك سنة ١٩هـ (٢٦) وفي تعريف بلاد الزوزان يقول الحموي: "أن بلاد الزوزان أهلها أرمن وفيها طوائف من الأكراد" (٢٧). ومما يجدر ذكره أن كلمة الزوزان من المفردات الدارجة في اللغة الكردية حتى يومنا هذا وهي تعني المرتفعات التي تتصيّف فيها القبائل الكردية.

بعد سرد هذه الروايات المستقاة من المصادر الإسلامية هل نجانب الصواب اذا قلنا أن النصارى في روايات الواقدي كان من بينهم الكرد ايضاً؟

تتوالى المصادر الإسلامية بالحديث عن الكرد في الجزيرة وعن دورهم السياسي والعسكري في البلاد الجزرية و يعد كتاب "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة" لابن شدّاد (١٢١٧-١٢٨٥م) من أهم المصادر التي تؤصّل الوجود الكردي في الجزيرة.

يذكر ابن شداد بشكل مفصل التقلبات السياسية في الجزيرة كما يورد معلومات هامة عن دولة الأكراد في آمد وميافارقين ويعد المؤرخ الوحيد، حسب اطلاعي، الذي وسم جزيرة ابن عمر باسم "جزيرة الأكراد" وتعود التسمية إلى القرن الرابع الهجري حسب المصدر الذي استقى منه ابن شدّاد.

ففي معرض تفصيله للتقسيمات الإدارية للبلاد الجزرية التي سميت بأسماء القبائل العربية القاطنة في الجزيرة والتي سبق أن اشرت إليها في بداية البحث يذكر ابن شدّاد التباينات بين الجغرافيين حول تقسيماتهم الإدارية فيقول: "وأما من تقدم من مصنفي المسالك والممالك كابن خرداذبه وابن واضح فإنهم لم يفصلوها هذا التفصيل، بل جعلوها سقعاً واحداً سموه ديار ربيعة، إلا أن ابن واضح عدّ في كورها كورة بَلَد، وبازبدي، وجزيرة الأكراد *وأظنها، والله أعلم، جزيرة بني عمر لأن الأكراد كثيراً ما ينتابونها، وينتجعونها لقضاء أوطارهم" (٢٨)

وفي معرض تعريف ابن شدّاد لجزيرة ابن عمر يقول: "جزيرة ابن عمر مدينة مسورة، تحيط بها دجلة مثل الهلال. وهي إسلامية محدثة، اختطها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي، بعد المئتين في أيام المأمون فعرفت به. وعَدّ ابن واضح من كور ديار ربيعة جزيرة الأكراد، وأظنها هذه الجزيرة، وأنها كانت تعرف بذلك، قبل أن يختطها ابن عمر التي نسبت إليه"(٢٩).

يتضح مما أورده ابن شدّاد أن جزيرة ابن عمر كانت تسمى بجزيرة الأكراد قبل تسميتها بجزيرة ابن عمر وهو ينقل عن المؤرخ والجغرافي اليعقوبي المعروف بابن الواضح (ت ٨٩٧م)، مؤلف كتاب "البلدان"، الذي عاش في نهاية القرن التاسع الميلادي وإذا ثبت ما أورده ابن شدّاد أن جزيرة ابن عمر كانت تسمى بجزيرة الأكراد، فهذا يعني ان جزيرة ابن عمر كانت تعرف بجزيرة الأكراد أيام الواقدي. كما اشار ابن شدّاد إلى الأكراد في نواحي ماردين ومحاولاتهم السيطرة عليها فيقول: "وكان مَن بنواحي ماردين من الأكراد قد طمعوا في صاحبها، فلا يزالون يشنون الغارات على اطواقها" (٣٠).

ولقد تناول الرحالة الأندلسي ابن جبير (١١٤٥- ١٢١٧م) في رحلته إلى البلاد الجزرية أوصاف البلاد وازدهار بعض مدنها وأسواقها وقد أشار إلى الأكراد في رحلته وتعذُ روايته عن الكرد مصدراً هاماً عن انتشار الكرد في البلاد الجزرية رغم الصفات السلبية التي الصقها بالكرد.

نزل ابن جبير بإحدى خانات نصيبين، الواقعة خارج المدينة، في طريقه إلى مدينة دنيصر (٣١)، ونظراً لأهمية روايته سأوردها كما هي، يقول ابن جبير: "فكان نزولنا بها في خان خارجها، وبتنا بها ليلة الأربعاء الثاني من ربيع الأول، ورحلنا صبيحته في قافلة كبيرة من البغال والحمير، حرانيين وحلبيين وسواهم من أهل البلاد، بلاد بكر وما يليها، وتركنا حاجّ هذه الجهات وراء ظهورنا على الجمال، فتمادى سيرنا إلى أول الظهر، ونحن على أهبة وحذر من إغارة الأكراد الذين هم آفة هذه الجهات من الموصل إلى نصبين إلى مدينة دنيصر يقطعون السبيل ويسعون فساداً في الأرض، وسكناهم في جبال منيعة على قرب من هذه البلاد المذكورة، ولم يُعن الله سلاطينها على قمعهم وكف عاديتهم، فهم ربما وصلوا في بعض الأحيان إلى باب نصبين، ولا دافع لهم ولا مانع إلا بالله، عز وجل"(٣٢) و من الرحالة الذين أشاروا إلى الكرد في الجزيرة الرحالة المغربي ابن بطوطة (١٣٠٧- ١٣٧٧م) الذي زار مدينة سنجار الجزرية وتحدث عن أهلها الكرد، وقال عنهم: "وأهل سنجار أكراد ولهم شجاعة وكرم" (٣٣).

يعتبر الموسوعي الدمشقي فضل الله العمري (١٣٠١ - ١٣٤٩م) من أكثر المؤلفين الذين تناولوا الكرد في مؤلفاتهم وقد أخذ الكرد حيزاً كبيراً في مؤلفاته تستحق إفراد بحث خاص عن الكرد في كتاباته. واللافت في كتاباته حديثه عن كثرة عدد الأكراد "ولولا أن سيف الفتنة بينهم يستحصد قائمهم وينبه نائمهم لفاضو على البلاد" (٣٤)، ويقول

أيضا عن القبائل والطوائف الكردية "لو اتفقت لما وجدت خيلاً تكفيها في الركوب"(٣٥)، يشير فضل الله العمري في موسوعته "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" إلى جغرافية بلاد الكرد وانتشار قبائلهم وحياتهم الاجتماعية ويستدل من معلوماته القيمة سعة بلاد الكرد وانتشارهم في السهول والجبال وتبدو معلوماته عن الكرد وبلادهم سرداً من جغرافي عاين بلاد الكرد وقبائلهم عن كثب ومن هنا تكمن القيمة العلمية لكتاباته.

لم يهدف فضل الله العمري في الفصل المخصص بالأكراد تدوين سائر القبائل والطوائف الكردية الموجودة في عهده لعدم معرفته بها أو لعدم أهميتها كما يصرّح بنفسه، فحديثه عن الكرد بالدرجة الأولى منصب على القبائل العريقة الحاكمة والتي كان المؤلف على دراية بأحوالها ومواطن سكناها. يقول العمري: "لم أذكر من عشائرهم إلا من كنت به خبيراً، ولم أسمّ فيها منهم إلا بيت ملك أو إمارة، تبدأ بجبال همذان وشهرزو وإربل وتنتهي إلى دجلة الجزيرة من كوار إلى الموصل، ونترك ما وراء نهر دجلة إلى نهر الفرات لقلة الاحتفال به على أن الذي ذكرته هو خلاصة المقصود، إذ لم يبق إلا أكراد الجزيرة وقرى ماردين وهم لكل من جاورهم من الأعداء الماردين، مع أن أماكنهم ليست منيعة ومساكنهم للعصيان غير مستطيعة. "(٣٦)، يشير نص العمري بوضوح إلى أكراد السهل في الجزيرة وقرى ماردين وهي منطقة ذات غالبية كردية في وقتنا الحالي و ستصبح ماردين وضواحيها في القرن التاسع عشر جزءاً من إيالة كردستان العثمانية(٣٧).

بعد هذا السرد لبعض النصوص التي تناولت تاريخ الكرد في بلاد الجزيرة بمفهومها الواسع أنتقل للحديث عن تاريخ القبيلة البرازية الكردية في سهل سروج. لا تكمن أهمية دراسة القبيلة البرازية

الجزرية كونها تشكّل غالبية سكان مدينتي كوباني وسروج فحسب، بل يمكن القول أنها تختزل في تاريخها تاريخ القبيلة الكردية بكل تقاليدها.

ثبت المصادر والمراجع:

١- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦، طبع على نفقة مصححه وضابط الفاظه محمد سعيد الرافعي ، صاحب المكتبة الأزهرية ، الطبعة الأولى سنة ١٣٣٠هـ بمطبعة السعادة بمصر .

٢- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح ، كتاب البلدان ص ٧، طبعة عام ١٨٦٠م في مدينة ليدن ، مطبعة بريل .

٣- أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي ، المسالك و الممالك ، الجزء الأول ، ص٥٧٤، حققه و قدمه أندريان فان ليوفن و أندرى فيري ، الدار العربية للكتاب و المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ١٩٩٢م .

٤- نفس المصدر ص ٥٧٤

٥- البلاذّري ، أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٢ ، حققه و شرحه وعلّق على حواشيه وأعدّ فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطبّاع و عمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت ١٩٨٧م .

٦- ابن عربشاه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الأنصاري، المعروف باين عربشاه ، عجائب المقدور في أخبار تيمور ، ص٩٩، الطبعة الأولى بمطبعة القاهرة سنة ١٨٨٥.

٧- أبن شدّاد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، الجزء الأول ، القسم الثاني ، ص ١٧٣، حققه يحيى زكريا عبارة ، منشورات وزارة الثقافة ، سورية ، دمشق ١٩٩١م.

٨- الأصطخري، ابي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي. المسالك والممالك، ص١١٥، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل .

٩- ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النّصيبي ، صورة الأرض ، ص ١٩٩، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢م

١٠- نفس المصدر ص ٢٠٨

١١- نفس المصدر ص ٢٠٨

١٢- نفس المصدر ص ٢٩

١٣- ابن الفقيه ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني، كتاب البلدان ، ص ١٧٧، تحقيق ، يوسف الهادي ، منشورات عالم الكتب ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م.

١٤- ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن الجزري الموصلي، الكامل في التاريخ، الجزء الثاني ، ص ٣٦٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي .

١٥- ادي شير ، تاريخ كلدو و آشور ، الجزء الثاني ص ٢ ، طبعة ٢٠٠٧م .

١٦- نفس المصدر ص ٢

١٧- الواقدي، محمد بن عمر الواقدي ، تاريخ فتوح الجزيرة والخابور و دياربكر والعراق، ص ٢٣٧، تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش . ١٩٩٦م. دار البشائر دمشق .

١٨- نفس المصدر ص٢٣٤

١٩- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان ، المجلد الرابع، ص ١٤٩، منشورات دار صادر بيروت ، ١٩٧٧م.

٢٠- نفس المصدر ، المجلد الرابع ص ١٣٦،

٢١- نفس المصدر ، ص ٢٧٨

٢٢- النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالورّاق ، الفهرست ، ص ١١٦ ، تحقيق رضا تجدد . بدون تاريخ

٢٣- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب و معادن الجوهر ،الجزء الثاني، ص ٩٧، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ن صيدا ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م .

٢٤- ابن الأثير ، الجزء السادس ، ص ٢٨٩.

٢٥- الواقدي، فتوح الجزيرة ، ص٧٨

٢٦- البلاذري ، فتوح الجزيرة ، ص ٢٤٢

٢٧- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ١٨٥

٢٨- ابن شدّاد ، الأعلاق الخطيرة ، الجزء الثاني ص ٦-٧

٢٩- نفس المصدر الجزء الثالث، ص ٢١٣

٣٠- نفس المصدر ص ١٤٧

٣١- دنيسر هي مدينة " قزل تبه " الكردية القريبة من مدينة الدرباسية الكردية السورية .

٣٢- ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، رحلة ابن جبير ، ص ٢١٥، منشورات دار صادر ، بيروت .

٣٣- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي ، تحفة النظّار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، الجزء الأول ص ١٥٠.

٣٤- فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٣٧، طبع بمطبعة العاصمة بمصر سنة ١٣١٢هـ على نفقة صاحبها محمد مسعود.

٣٥- نفس المصدر ص ١١١

٣٦- فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ١٩٨٨م طبع بالتصوير عن مخطوطة ٢-٢٧٩٧ ص ١٧٨- ٤٦٢، أحمد الثالث طوبقابو سراي - اسطمبول . نشرها الباحث التركي فؤاد سزكين مع علاء الدين جوخوشا، ايكهارد نويباور.

٣٧- انظر سالنامه الدولة العثمانية لعام ١٢٧٤هـ كانت إيالة كردستان تتألف من ٤٩ قضاء و ثلاث

ولايات منها قضاء ابن عمر و قضاء نصيبين . فمدينة نصيبين المحاذية لمدينة قامشلي كانت جزءاً من ولاية كردستان العثمانية.

* تشكّل جزيرة ابن عمر و المناطق الواقعة شرقيها معقلاً تاريخياً للكرد وخاصة للقبيلتين البشنوية و البختية وقد أعطت الأخيرة اسمها لجزيرة ابن عمر، فصارت تعرف في التاريخ الكردي باسم " جزيرا بوطا " أو "جزيرا بوطان" وشهدت بلاد بوطان بمفهومها الواسع بداية التدوين باللغة الكردية و الانتقال من الثقافة الشفاهية إلى التدوين وأضحت معقلاً للثقافة الكردية التقليدية وفيها نبغ أعظم شاعر باللغة الكردية / الكرمانجية / الشاعر ملاي جزيري الذي تغنى بموطنه كردستان معتبراً نفسه سراج ليل كردستان.

- بالتعاون مع موقع مدارات كورد

الحياةُ اليوميَّة في كرداغ (شمال سورية)
أثناءَ احتلالِ التحالُف في الحربِ العالميَّةِ الثانية

المؤلّف: Kathrina Lange

عنوانُ الدراسة بالإنكليزية:

PERIPHERAL EXPERIENCES:EVERYDAY LIFE IN KURD (DAGH (NORTHERN SYRIA

DURING THE ALLIED OCCUPATION IN THE SECOND WORLD WAR

منشور في:

© ٢٠١٠ by Koninklijke Brill NV، Leiden، The Netherlands (ISBN: 978-90-04-18545-6)

ترجمة عن الانكليزية: ليلان علي - عفرين - خاصّ بالحوار

مقدِّمة: وجهات النّظرِ الثانويّة وتجربةُ الحرب:

في يومٍ ربيعيٍّ من عامِ ١٩٤٢ كانت قريةُ شيخ معمو، الواقعة على نحو ٦٠ كم شمال غرب حلب، قد اقترب منها رتلٌ عسكريٌّ بريطاني من دباباتٍ وعرباتٍ مدرَّعة، "وجَّهوا أسلحتهم الآليَّة على التلّة فوقَ القريةِ" يتذكّر حج منان، القرويُّ البالغُ من العُمر ٨٠ عاماً، فيسردُ لنا تلك الحادثة قائلاً: أُطلقتِ الأسلحة الآليّة، وقد كانتِ الدباباتُ تقادُ إلى الأعلى على طول الطريق عبرَ القرية حتّى وصلوا إلى المقبرة "نحنُ كنا خائفين" أضافتْ أختهُ أمُّ حكمت "لم يكن أيُّ شخصٍ يتجرّأ أن يغادرَ المنزلَ خوفاً من أن يقع جريحاً أو أن يقتل".

فقد كانتِ المعركةُ جزءاً من تمرين وتدريب للجيش البريطاني، أمّا بالنسبة للعديدِ من سكان قرية شيخ معمو فإنّ هذه المناورات كانت جديدةً وغريبة، حيثُ أنّها المرّة الأولى التي يرون فيها جنوداً بريطانيين من مسافة قريبةٍ، فما إنْ انتهت المعركةُ، حتّى لجأ أولادُ القريةِ الصغار والأكثر جرأةً إلى جمع الرصاصات الخشبيَّة التي تمّ إطلاقها، فاليوم يحبُّ الرجال أن يتذكّروا أكوام الرصاصاتِ الخشبية التي كدّسوها.

لقد شكّلت أراضي سورية ولبنان أثناءَ الحربِ العالميّة الثانية ساحةَ معركةٍ لمدّة خمسةِ أسابيعَ فقط، ففي بدايةِ صيف عام ١٩٤١. بدأتِ العمليةُ العسكريَّةُ على الأرض السوريَّة بمشاركةِ مقاتلينَ سوريينَ، ومن شمال غرب إفريقيا، والجنود الفرنسيين تحتَ قيادةِ الجنرالِ الفرنسي (فيشي) ضدَّ الفرق المتحالفة - بينهم قوات فرنسية حرّة وبريطانيّة وأردنيّة وهنديّة - الذين كانوا قد دخلوا سورية في ٨ حزيران من ذلك العام، ثمّ توقفتْ بهدنة ١٤ تموز ١٩٤١. بالرّغم من أنّ استقلال سوريا كان موعوداً به من قبل الحلفاء قبل الغزو، إلّا أنّ قواتِ التحالف بقيتْ متمركزة في سورية لفترةِ الحربِ وما بعدها – غادرت آخر قوات أجنبيّة البلاد في ١٥ نيسان عام ١٩٤٦.

بالرَّغم من أنّ في العديد من أجزاءِ سورية، لم يكنِ السُّكان معرضينَ للقتال الدائر بشكلٍ فعليٍّ بينَ القوى المتعارضة، ومع ذلك فإنّ حياة الناس تأثّرت بحالةِ الحرب، وذلك بأخذِ أمثلةٍ من منطقة ريفية في شمال سورية، قضاء كرداغ (منطقة حكومية)، هذا الجزء سيناقشُ كيفَ كانتْ تجربة احتلال التحالف وتأثيرها على السكان المحليين، بالتركيز على أهمية وجود التحالف وسياساتهم على الحياة اليومية في المنطقة، سأبحثُ كيفَ أثّرتِ الحرب على فرصِ العمل وعلى العلاقات الاجتماعيَّة، المظهر الثاني في البحث هو السؤالُ عن كيف أثّرتِ الممارسات التنظيميَّة، التي تبدَّلت أثناءَ الحرب، على الإنتاج والتوزيعِ

والاستهلاك الزراعي، المظهر الثالث المناقشُ هو ربطُ ذكريات الحرب كصيغةٍ للتعليقِ على الحاضر.

السياقُ الإقليميُّ:

كتابةُ تاريخِ سوريةَ تحتَ الانتداب الفرنسي (١٩٢٠ حتّى ١٩٤٦) - الذي وضع بشكلٍ كلاسيكيٍّ إطاراً لتاريخِ سورية أثناءَ الحربِ العالميَّة الثانية - ركَّزت حتّى الآن بالدرجة الأولى على المُدن السورية دمشق وحلب. مع بعضِ الاستثناءات الجديرة بالذكرِ مثل جبل الدروز والجزيرة السوريَّة، أمّا المناطق الريفيَّة فقد جذبتْ اهتماماً أقلَّ. وذلك بسبب الموارد التي تكون وافرة أكثر للمدن، والسببُ الآخر يمكن أن يكون التهميش المحسوس سببُهُ أنّ هذه المناطق التي لم تلعب دوراً هاماً في الكفاح السياسي والتطوُّرات الاجتماعيَّة خلالَ سنواتِ الانتداب.

فالمنطقةُ التي يركّزُ عليها هذا الجزءُ هي منطقة كرداغ (أو جبل الأكراد، كلاهما يعني "الجبل الكردي" في العثمانيَّة التركيَّة والعربيَّة على التوالي)، وتوازي تقريباً منطقة عفرين الحالية التي تغطي حوالي ٢٠٥٠ كلم٢، وتشملُ بلدة عفرين نفسها و ٣٦٦ قريةً، المنطقةُ التي تقعُ على تلال في السلسلة الجبلية وعلى ارتفاع ٧٠٠ الى ١٢٠١ م ولها نفسُ الاسم، هي مجاورة للحدود التركية – السورية، وهي هامشية من عدة وجهات نظر، وبسبب موقعها الحدودي، كانت مهمّشة جداً بالمعنى الجغرافي والجوهري، فقد كانتْ على الحافاتِ من كلٍّ من الدولة السورية ومحافظة حلب التي تشكّل هذه المنطقة جزءاً منها، سكانُها الأكراد الرئيسيون اختلفوا لغويّاً ومن جوانب أخرى عن جيرانهم العرب. في بداية الانتداب الفرنسي، كانتِ الكرديَّة والتركيَّة وليستِ العربيّة اللغات المحكيّة والمفهومة من قبل السكان، إلّا أنّ المنطقة أيضاً مفصولة جغرافياً وتاريخيّاً عن المناطق الكردية الأخرى في سورية.

أثناءَ الانتدابِ الفرنسي على سوريا، كانتْ كرداغ جزءاً من محافظة حلب، وفي الزمن العثماني، كانتِ القُرى في هذه المنطقةِ مجمّعة في عددٍ من المناطق المختلفة (نواحي SG: ناحية) التي كانت تابعة لقضاء – كلس، الموجودة الآن في تركيا، بعدَ الحرب العالميّة الأولى عندما كانت سورية ولبنان الحاليتينِ واقعتينِ تحتَ الانتداب الفرنسي، كان قضاء – كرداغ قد تأسّستْ في نيسان ١٩٢٢، وشمّل أربعَ نواحي جديدة، هكذا قُطعت الحدود السوريّة – التركيّة الجديدة، في حالاتٍ عديدة، وفصلت العائلات والمواطنين في مناطقِ الحدودِ وعزلتهم عن المراعي والحقولِ والأملاك التي بقيت في الأراضي الأجنبيّة بعدَ إقامةِ هذه الحدود بسنواتٍ عديدة، بقيت حركة التجارة غير المشروعة مستمرّة من كلا الاتجاهين عبْرَ الحدود التي لم تُضبط بسببِ التضاريسِ الجبليَّة الصعبةِ الوصول.

تجاهلَ الأدبُ الأكاديمي في سوريا حتّى الآن هذه المنطقة بشكلٍ كامل، هذا الجزء(البحث) هو خطوةٌ أولى وتمهيديّة لسدّ هذه الثغرة بتسليط بعض الضوء على تأثير فترة احتلال التحالف على هذه المنطقة المهمشة، بسبب نقص المصادر المكتوبة التي تعكس تجارب ووجهات نظر سكان هذهِ المنطقة خلالَ هذه الفترة، فهذا البحث يحاول أن يسلّط الضوء على التجارب المحلية من خلال تقييم الوثائق الارشيفية الفرنسية والبريطانية المكتوبة، والمحكية اليوم من قبل سكان المنطقة.

لذلك الذكرياتُ والصُّورُ التي تشكّلت لاستعادةِ الأحداثِ، ستأخذ بعين الاعتبار، أتباع الخطوط المقترحة من قبل Buschmann، Reimann، Carl، الذين استنتجوا بأنّ (تجربةَ الحربِ) لا تتشكّل فقط بالحدث المباشر، وإنّما بالصُّورِ والتفسيراتِ المنظّمةِ التي تحدث "بعدَ الواقعةِ" والتي تتبلورُ بهذهِ التصوّراتِ والانطباعاتِ إلى "تجربة".

الشمالُ السوري تحتَ احتلالِ التحالُفِ:

في الذكرى المحليّةِ، يشكّلُ احتلالَ التحالفِ للشرق في الحقيقة علامةَ نهايةِ الانتداب الفرنسي: "عندما أتى الإنكليز، الفرنسيون انتهوا"، يتذكّر عزّت عفدكة، مزارعُ زيتونٍ في الثمانينَ من العمر من شيخ معمو.

في الجوهرِ، اتفاقية (de Gaulle – Lyttelton) في ٢٥ تموز عام ١٩٤١ تركت السلطة على كلّ الأمورِ العسكريّة لقيادة البريطانيينَ في الشرق الأوسط، بينما القيادة المحلية في سوريا ولبنان – تتضمّن الإدارة المدنية والخدمات العامة، والأمن العام – كانت تنجزُ من قبل الفرنسيين. بالرّغم من الوعدِ باستقلال سوريَّة المُعطاة من قِبَل de Gaulle قَبلَ الغزو، استمرّ الفرنسيون الأحرارُ بشكلٍ أساسيٍّ بسياسةِ الانتداب للشرق، بتوليه الأمور من قبل الإدارةِ الفاشيةِ، كجزءٍ من نفسِ طاقم المالكين. لكن نتيجة لضعفهم العسكري واعتمادهم على حلفائِهم البريطانيين، وبالإضافة الى نقصِ الدعم المالي والإداري من الميتروبول، كان موقفُ الفرنسيين الأحرار في الشرق ضعيفاً مقابلَ السكّان المحليين بالإضافة إلى البريطانيين. "مهمّة الرماح" البريطانية في بيروت التي كانت تنسقُ الأمورَ العسكريَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة في الشرق أثناء الحرب تَمركزَ "ضباطها السياسيون" في كافة أنحاء سوريا، بالإضافة إلى تمركُز أعدادٍ كبيرةٍ من القوّات تحتَ القيادة البريطانية في سوريا ولبنان، وشكّلت مثل شبكةٍ فعّالة تكلّم عنها Roshwald "إدارة تحتَ الظلّ البريطاني" التي صنعت "سيطرة الفرنسيين الأحرار على الشرق [....] وأصبحتْ مثل رواية شرعيةٍ أكثر من واقع سياسي".

إنّ سنوات احتلالُ التحالف كانت ملحوظةً بالنزاعات المستمرّة للسيطرة بين البريطانيين والفرنسيين الأحرار، تظهرُ في المصادر الأرشيفيّة

الفرنسيَّة زمنَ عدمِ الثقةِ والتنافُسات الحذرة على القدراتِ بين البريطانيين والضباط الفرنسيين. استفادتِ النخبُ المحليّة من هذا التركيب المتعدّد الطبقات للإدارة العسكرية بالانجذاب بشكل مختلف للجيش البريطاني، والانتدابِ الفرنسي، ومؤسسات وسلطات الإدارة السورية في الأمور الاجتماعية والسياسية والعدالة الجنائية.

السيطرةُ على الحدود وتمركُز القوات:

من بينِ مواضيعَ ونزاعاتٍ أخرى للقدرة والجدارة بينَ المتحالفين في شمال سوريا حول السيطرة على الحدود، أصرّ ضباطٌ فرنسيون بأنّ شؤون الإدارة العامة والحماية، تتضمّن السيطرة على الحدود، كانتْ حقّاً لهم طالما لا توجد قوة عسكريّة تحلُّ محلَّهم في المنطقة بشكلٍ متضارب، أمّا البريطانيون فاعتبروا بأنّه في وقت الحربِ كانت السيطرة الفعّالة على الحدود السورية – التركية مطلباً ليس فقط للأمور العامة بل للأمنِ العسكري أيضاً، فمن وجهة نظرهم أنّ الحدود ومنطقتها الداخلية في شمال سوريا يجبُ اعتبارها منطقة محتملة للعمليات العسكرية، ولذلك وقعت تحتَ سيطرة الإدارة البريطانية العسكريَّة، ففي عام ١٩٤١، كانتِ الحدود السوريَّة – التركيَّة بوابة لمقاتلي الحلف الذين كانوا يقاتلون الحلفاء في سوريا والعراق للهربِ إلى داخل تركيا المحايدة حتّى منتصفِ عام ١٩٤٤على الأقلّ، فقد كانت قيادة التحالف قلقةً بأنّ الحدود يمكن أيضاُ أن تصبح بوابة للاتّجاهِ الآخر: المتعاطفين مع مقاتلي الحلفِ في الشرق، يمكن أن يتمّ دفعُهم من قِبَل عملاءِ مقاتلي الحلف للعمل ضدَّ الحلفاءِ أو البضاعة المهربة إلى داخلِ سوريا من تركيا، وبالتالي إلى تسرُّب "لجواسيس العدوِّ" لتجمُّعِ الاستخباراتِ وفرقِ قوّات التحالفِ المتمركزةِ في الشرق الأوسط.

كانَ الضباطُ البريطانيون والضباط غير المكلفين بالخدمة في مجالِ الأمن متمركزين في مناصبٍ على الحدود السورية الشمالية - الغربيّة في جرابلس، حارم، ادلب، باب الهوى وميدان اكبس، المفارز التابعة لوحدات التحالف المتنوعة كانت تعتمد على معسكرات على طول الحدود وفي المنطقة الداخلية، فبين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٥، كانتِ القواتُ البريطانية والاستراليّة والنيوزيلانديّة والهنديّة بالإضافة الى جنودِ عربٍ وشركسيين في "قوة الحدود عبر الأردن" (TJFF) بقيادة ضباط بريطانيين، كانت محصنة في المنطقة في بلدة ميدان اكبس وهي بلدة في كرداغ، التي كانتْ سكة بغداد الحديدية تدخلُ عبرَها إلى الأراضي السوريَّة. لذا فالتحكُّم بالمسافرين وموظّفي محطة Taurus السريعة القادمة من تركيا، كان جزءاً من مهام الضباط البريطانيين ووحداتٍ أخرى من التحالف، وفي هذه البلدةِ الحدوديَّة الصغيرة (في عام ١٩٤٥، كان يقطن فيها ٢٨٧ شخصاً) كانت مهام السيطرةِ على الحدود نشطةً من قبل أصولٍ وجنسياتٍ مختلفة: بالإضافة إلى دائرة المجال الأمني البريطاني، كانَ هناك مركزُ للقوات الفرنسية، بالإضافة إلى مركز الدركِ التابعِ للحكومة السورية، كلّهم كان يفترض بهم العمل بتعاونٍ، ولكنْ احتكاكهم اليومي كان متميزاً بشكلٍ دائم بالغيرة المهنية، وعدم الثقة وعدم (أو نقص) التواصل. في عدّة حالات، كانتِ التنافسات الفرنسية – البريطانية تبدو وكأنّها تحوّلت إلى عداء شخصي بين الضباط المعنيين.

كانتِ القواتُ على الحدود تلقي القبض بشكلٍ منتظمٍ على الهاربينَ إلى سوريا من الجيش التركي، أو بالعكس، على الهاربين السوريين الذين يحاولون أن يقطعوا الحدودَ باتجاه الشمال، بالإضافةِ إلى المجرمين الهاربينَ من العدالة، أو المهربينَ المحليينَ القادمين من (أو إلى) تركيا. فمن بين السلعِ المهربة إلى سورية كانتِ المواد الغذائيّة الأساسية مثل

الطحين والسكر والدواجن بالإضافة إلى سلع الرفاهية والترف مثل القهوة والكراميل والساعات والملابس، كانت تسجل وبشكل اسبوعي تقريباً حالات تهريب السرقات والهجمات والغزوات للحدود في كلا الاتجاهين، بشكلٍ مثيرٍ للاستغراب، كان يتمّ تسجيلُ موظفين في المناصب الحدودية التركية بين اللصوص بشكلٍ منتظمٍ. إذا أخذنا بعين الاعتبار المرات العديدة الموثقة لعبور الحدود غير القانوني (وأخذنا بعين الاعتبار بأنّه يمكن أن يكون هناك حتّى عدد كبير من المعابر التي لم يتم كشفها)، والأخذ بعين الاعتبار بأنّ هذا العدد، بدلاً من أن ينقص، بقي ثابتاً وحتى ازداد قليلاً في عام ١٩٤٤، هذا يوضح بأنّ التحكم بالحدود لم يكن يُدار بشكلٍ كفوء كما كان مرادٌ له أن يكون من قبل الحلفاء، بالإضافة إلى عدد القوات المختلفة في المنطقة.

كانت هناك طريقةٌ واحدةٌ للاحتجاج على الدخولِ غير القانوني للجنسيات غير السورية وهي الفحصُ الصارمُ المتزايد على البطاقات الشخصيّة وأوراق شخصية أخرى في المنطقة الحدوديّة، التي كانت تنفّذُ من قبل القواتِ المختلفة تحتَ السيطرة البريطانية، كان على أصحاب الدكاكين في عفرين، أو قرويين يزورون السوق، أو مزارعين ينقلون المحصول أن يكونوا جاهزين ليقدّموا أوراقاً تثبت هويتهم وجنسيتهم عند الطلبِ، في حالِ عدمِ حدوث ذلك يقودُهم إلى الاعتقال، ففي عام ١٩٤٤ خاصة، وصلت مثل هذه السيطرة الى القمة، حيث دوريات المشاة (Alwar Bataillo) الهندية المتمركزة في كرداغ كانت تظهر اجتهاداً خاصاً، حتّى القائم مقام (مفوض المنطقة) ورئيس البلديَّة لم يكونوا مستثنيين. في (razzia) الموجودة في عفرين في ١٤ نيسان عام ١٩٤٤، كانت السيطرةُ تجري في كافة الانحاء ممّا أدّى الى مظاهرة للأولاد المتجمعين في السوق للاحتجاج ضد هذا الاستغلال، على العكس فإنّ ضباط الانتداب الفرنسي، لم يشاركوا وحدات وضباط

الجيش البريطاني المتمركزينَ في المنطقة في الإدارة المدنيَّة في كرداغ، ولذلك كان لهم مناسبات أقلُّ ليكونوا على اتصال مباشر مع السكان، ففي قصصِ تجاربِ سكان القرية مع احتلال التحالف، تبقى القوات المختلفة تحتَ السيطرة البريطانيَّة بعيدة وغير ودودة مع السكان، فقد كان التواصل يتمّ بينهم بصعوبة نتيجة لحاجز اللغة والذين كان اختلافهم عن سكان القرى يبدو واضحاً في ممارساتهم، هذا انعكس على سلوكِ عزّت عفدكة عندما رأى جنود انكليز للمرّة الأولى. حتى بعد ٦٠ عاماً، وذهوله واندهاشه من ملابسهم ما زال ملحوظاً: "رأيتُ بعض الجنودِ الإنكليز في أسفل الوادي، كانوا يلبسون سراويل قصيرة ولا شيءَ آخرَ، وكانوا يضعونَ الزيت على كلّ أجسامِهم، جلدُهم كان أحمرَ ومتألقاً". من ناحية أخرى، عزّت عفدكة يتذكّر بأنّه هو نفسه، كان يلبسُ الشروال (سروال فضفاض) وغطاء رأس ذي مربعاتٍ حمراءَ، كان شكلاً رسمياً رائعاً بالنسبة للبريطانيين: "مرّة عندما كنتُ ذاهبا الى السوق، تمّ توقيفي من قبل جندي بريطاني، أخرج علبة، ولم يكن لدي أية فكرة عمَا يريده، ثمّ أوضح لي شخص آخر بأن الجندي كان يلتقط صورتي".

لم يتمّ الحديث عن النزاعات الاجتماعيّة أو " الثقافيّة " بين قواتِ التحالف والسّكانِ المحليينَ كجزء من وجود التحالف، ونادراً ما تمّت الكتابةُ عنها في المصادر الأرشيفيَّة، فهناك حوادثُ عيد الميلاد عام ١٩٤١، وفي عدّة أيامٍ متتالية كان جنودٌ استراليون متمركزين في عفرين واعزاز ثملين ويمارسونَ أعمال شغبٍ في البلدة، ويتهجمون على المارّة والحارس الليلي، ويسرقونَ من بائعي الخضار ويطرقون على المنازل في الليل وهي أمثلةٌ استثنائية عن ازعاج السكان، فجرائمٌ أخرى لقوات التحالف ضدّ السكان المحليين كانت تبدو نادرة باستثناء واحدة، وهي قضية جندي من TJFF المتمركزين في قرية حجِ إسكندر

الحدودية، حيثُ تركَ وحدته ليهربَ مع فتاة من القرية في شباط ١٩٤٣. وبعد فترة قصيرة، اكتشف ضابط غير مكلف من نفس الوحدة بأن الزوجين كانا في عفرين، أعيدت الفتاة الى والديها والجندي الى السلطة القضائيَّة العسكرية. تعكسُ المصادرُ الفرنسية اختلاف قاطع ونتيجة قلقة، بينَ الفرقِ (الأجنبية) المختلفةِ وتلك القواتِ التي يمكن اعتبارها الى حد بعيد أو قريب "محلية"، بشكل خاص قوات ال TJFF، كان يتم تجنيدهم على الأغلبِ في فلسطين والأردن. وعندَما كانت مفارز ال TJFF (كانت تعرف محلياً كجنود الأمير عبد الله) متمركزة في المناطقِ الحدوديَّة في كرداغ في ربيع عام ١٩٤٢، نقل عن ضباط الاستخبارات الفرنسيةِ بأنّ السكان المحليين، كانوا يعلّقون بأن التمركُز المستمرّ للقوات الأجنبيّة كانتْ إشارة أخرى لضعف ونقص مصادر الفرنسيين الأحرار. أشار الضابط المخبر بشكلٍ لاذع بعض الشيء: بأنّ "ظهور القوات البريطانية لم تسبّب التعليقات على القوات الأردنية التي يعتبرها السوريين نظيراً لهم إذا لم يكونوا تابعين لهم في ذلك، هذه القوات (كما يقول الناس) كانت أكثرَ عرضةٍ للمكافآت من وحداتنا المحليّة".

رؤية الحرب:

بالإضافةِ الى مراقبةِ الحدودِ والرسوم الجمركية، تداخلتْ ممارسات أخرى للتنظيم والسيطرة إلى "الاحتياجات العسكريّة" مع الحياة اليوميةِ، لكنّها لم تعتبر عبئاً ثقيلاً.

القسمُ الذي كان مكلفاً بعفرين في ٢٣ أيار ١٩٤٤ والمدعومُ من قبل دوريات التحالف، شكّل تغييراً في بعض القرى والبلدات الأكبر، بينما تأثرتِ الحياة اليومية في المناطق الريفيَّة بشكلٍ أقلَّ، وقد انتشرتْ دعايات التحالف ولكن يبدو بأنّها لم تكن ذات تأثيرٍ كبير مقارنة بمدينة

حلب، فقد عقدت اجتماعات للدعاية الفرنسية (١٨ منها في الأشهر الخمسة الأولى في عام ١٩٤٢وحدها، واستمرت لمدة ثلاثة أشهر)، كانت توزّعُ البروشورات في كرداغ في البداية من قبل الفرنسيين، ثمّ من قبل الضباط البريطانيين. بالإضافة إلى ذلك، الخدمة السينمائيَّة الفرنسية كانت تعرض بشكل منتظم أفلام في العديد من القرى الكبيرة. بالرَّغم من أنَّ هذه العروض كانت تجذبُ حشداً كبيراً، كانت الأفلام تنتجُ، بشكلٍ واضحٍ أو على الأقل بشكل جزئي من قبل الجيش البريطاني، وتبدو وكأنّها كانت مسخرة لجمهور شرقي آخر ولم تقابل تماماً ذوق السكان: "نادراً ما كان السكانُ يهتمُّون بصور كرتونية تغنّي وتتكلّم الإنكليزية، ولا يهتمون ببدوي الصحراء. كانوا ينتظرون أن يشاهدوا أخبار الحرب". فقد دوَّنَ ضابطٌ ملاحظةً بعد قيامه بجولة على الجلسات السينمائية مباشرة بعدَ نزولِ التحالف في نورماندي في تموز عام ١٩٤٤، كتب: "أخبار الحرب كانت أيضاً تصدرُ في كرداغ نفسها، على شكلِ إشاعات" بشكلٍ متكرّر. ترجمَ السُّكان حركات القوات وخصوصاً تعزيزات قوات التحالف على طول الحدود التركية كإشارة بأنّ دخول تركيا إلى الحرب (مع جانب التحالفِ أو ضدّهم) كان وشيكاً، وبأنَّ كرداغ كانت على الحافة بأن تصبحَ وجهة فعَّالة للقوات.

بشكلٍ سياسي، بقيت كرداغ هادئةً خلالَ الحربِ، مقارنةً مع أجزاء أخرى من شمال سورية. "كلّ شخصّ كان منشغلاً بشؤونه أكثر من الوضع (السياسي) الدولي أو القومي"، لاحظ ذلك الكابتن (Chardar)، ضابط فرنسي في عفرين في شباط ١٩٤٤، وبالفعل كان هذا يبدو ملخصاً للموقف طوال سنوات الحرب.

كان الوضعُ السياسي في المنطقة أثناءَ احتلالِ التحالف كما كان في السنوات التي قبلَها وبعدَها مرتبطٍ بشكلٍ قريب بالتركيبِ الاقتصادي

والاجتماعي للمنطقة. كرداغ كانت منطقة فقيرة، كان يعتمدُ سكانها الذين عاشوا في القرى على الزراعة وتربية المواشي الصغيرة. كان ينمو مؤخّراً في الوديان والسهول الشعير والقمح والعدس والتبغ في المنحدرات الجبلية، وكان ينمو بشكل رئيسي الزيتون والرمان والتفاح والعنب. وفي المناطق الجبلية الشمالية الغربية من كرداغ حيث الزراعة كانت مستحيلة، كانت تربية المواشي الصغيرة، كالخراف والماعز مهمّة بشكلٍ خاص حتّى الثلاثينات من عام ١٩٠٠، وإحراق الفحم كان مصدراً آخر للدخل الذي نظّم بشكلٍ صارم ومُنع أخيراً من قِبل السلطات.

كانتِ الطبقةُ السياسيّة الاجتماعيّة البارزة تعتمد على السيطرة على المصدر الاقتصادي وتشخّص علاقات اجتماعيّة في المنطقة. كان العديد من السكان يملك القليل أو لا شيء من الأراضي، بينما طبقة من كبار مالكي الأراضي يسمّون الآغوات كانوا يسيطرونَ على المنطقة اقتصاديّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً. أمّا المالكون الصغار والفلاحون الذين لا يملكون أراضي وكذلك العمال فكانوا مرتبطينَ بالآغواتِ من خلالِ روابط التبعية الاقتصاديّة بالإضافة الى الرعاية السياسيّة.

في الثلاثينات من العام ١٩٠٠ تطوّرت في كرداغ حركةٌ مدفوعة دينياً. ضدَّ المستعمر وضدّ مالكي الأراضي، قائدها (شيخ إبرام) (إبراهيم) خليل، كان بالأصلِ من تركيا ودرسَ مع الشيوخ النقشبنديين في حمصَ ودمشقَ، استقرَّ حوالي العام ١٩٣٠ في كرداغ، بدايةً كان تحتَ حماية القوي شيخ إسماعيل زاده، واحد من أكثر العائلات المالكة للأراضي والأكثر تأثيراً في المنطقة. في فترة قريبة، وعلى أيةٍ حال، شيخ إبرام وتوابعه تحوّلوا ضدّ رعاياه بصورة منظّمةٍ على شكلِ أخوةٍ دينية، فالاتباع في دائرة شيخ إبرام كانوا يسمون "مريدين" ، يطالبون بالقوّة الدينيّة والروحيّة، وانتزاع الملكية من الآغوات وإعادة توزيعِ ممتلكاتهم

على الفقراء، بالإضافة إلى طرد الفرنسيين خارج سوريا. طوال الثلاثينات من عام ١٩٠٠، كسبت الحركة أعداد كبيرة من المؤيدين وخاصةً بينَ الفلاحين الأكثر فقراً، والذين كانوا يعملون باتفاق مع الآغا الأكثر قوةً في المنطقة، رشيد شيخ إسماعيل زادة، كان يتمّ تذكره محلياً بـ كور رشيد (رشيد الأعمى). وبعد فشل الثورة، فرّ العديد من الثوريين عبر الحدود إلى تركيا، وأخذ أغلبهم عائلاتهم معهم، في وقتِ احتلال التحالف، كانت ذكرياتُ الثورة لاتزال حديثةً واحتجاج جديد كان يمكن أن يكون وشيكاً. طوال سنوات الحرب بقيت مجموعات من المريدين يعبرون الحدود السورية - التركية، في بعض الحالات يسرقون أو يهرّبون، يقتلون أو ينهبون وكانوا يحاولون أن يرجعوا لقراهم. فأثناء الثلاثينات من القرن ١٩٠٠ طوّرتْ حركةُ المريدين علاقاتٍ شخصيةٍ وسياسية بالكتلة الوطنية وحزب القومية السائد أثناء الانتداب. فعندما عاد الوفد السوري الوطني إلى سوريا من المفاوضاتِ في باريسَ في عام ١٩٣٦، ووصولهم إلى عفرينَ على متن القطارِ الشرقي السريع، تم استقبالهم من قِبلِ المئات من المريدين بقيادة علي غالب أحد قادات الحركة. ثمّ ازدادت قوة الحركة القومية السورية في مواجهة الفرنسيين بعد عام ١٩٤١، وخاصة بعد الانتخابات البرلمانية عام ١٩٤٣، حيث فاز الوطنيون، وعلى إثرها عادت أعداد كبيرة من المريدين إلى سوريا، مستفيدينَ من موقفِ الوطنيينَ السوريينَ الإيجابي تجاه الحركة كثورة ضدِّ المستعمر.

في عام ١٩٤٤، ارتفعَ عدد المريدين الذين عادوا إلى سوريا، وكان الفضل يعود للقانون التركي الذي اعتبر اللاجئين كمواطنين أتراك، لأنّهم كانوا يعيشون على الأرض التركية لمدة خمس سنوات. هذا كان يعني بأنّ المريدين المقيمين في تركيا سيستدعون للخدمة العسكرية التي

كانت إجبارية للمواطنين الأتراك. فهربوا بسبب ذلك العديد من المريدين وكثفوا محاولاتهم ليعودوا إلى سوريا.

بعدَ قمعِ ثورة المريدين، بقيت السيطرة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة لكبار مالكي الأراضي بدون تحدٍّ أو منافسة، فقد كانت أفراد من العائلات المالكة يمثلون الحركات السياسية في ذلك الوقت، فخلال الثلاثينات والأربعينات من القرن ١٩٠٠، وكذلك فقد تمّ اختيار النواب البرلمانيينَ في المنطقةِ من هذه المجموعة، وتمّ اختيار رئيس البلدية منها أيضاً. كان البارزون من القضاء مرتبطين بحرية إلى حدٍّ بعيد أو قريب بحركات وأفكار الوطنيين الأكراد. حسين عوني، الذي تمّ اختياره للبرلمان في كانون الأول من عام ١٩٣١ و١٩٣٦، كان متعلقاً بحركةِ خويبون الوطنيّة الكرديّة. حيث كان أيضاً أقوى آغا في المنطقة، كور رشيد وأخوه حج منان ، فايق آغا، بالإضافة الى وريثه كرئيس للبلدية، وخليل آغا، كانوا مشتركين بالصحيفة الكردية (هاوار)، التي كانت تنشر في دمشق بموافقة فرنسية من قِبل المفكر الوطني الكردي جلادت بدرخان. على أيةِ حالٍ، تأثير الوطنية الكردية في فترةِ الانتدابِ بقيت محدودة لأفراد من النخب، ولم تلقَ دعماً شعبياً كبيراً.

أثناءَ سنواتِ احتلال التحالف، كانتْ عائلةُ الشيخ إسماعيل زادة واحدة من أكثرِ العائلات ذات النفوذ في كرداغ، وكور رشيد، الرجل الأسطوري القوي، الذي سيطر على المنطقة في النصف الأول من القرن العشرين، كان ينتمي لهذه العائلة، وأيضا فايق آغا، مالك أراضي من منطقة بلبل. سيطر فايق آغا على السياسة في كرداغ أثناء احتلال التحالف عن طريق أخذ مناصب الخدمة المدنية الهامة في المنطقة، حيث خدم كرئيس للبلدية حتى عام ١٩٤٣، عندما تحوّل عن الكرسي ليمثّل كرداغ في البرلمان. كان وريثه كرئيس للبلدية متنازع عليه بشدّة

بين خليل آغا سيدو ممو ومحمد عارف الغباري، كلاهما من عائلات مالكة مشابهة، ولكن يمثّلون توجّهات سياسيّة مختلفة.

منذُ منتصفِ العشرينيات من العام ١٩٠٠، طوّر البارزون من كرداغ علاقات مع الكتلة الوطنية. محمد عارف الغباري كان له علاقات شخصية مقربة مع المقربين من الكتلة الوطنية في حلب مثل سعد الله الجابري، عبد الرحمن الكيالي وحسن إبراهيم باشا. خليل آغا لم يظهر مثل هذه العلاقات وكان هو الذي خلف فايق آغا كرئيس للبلدية.

تنظيم مصادر زمن الحرب OCP وMESC:

كانتِ القوانينُ الاقتصاديَّة، التي لها تأثير مباشرٌ على حياةِ السكان المحلّيين، الجزءَ المركزيّ من سياسةِ التحالفِ في الشرق، كان أساسُهم الحاجة لتأمين شرط قوى التحالفِ في الشرق الأوسط بتجهيزاتٍ سياسيّةٍ وغيرها مع عدم إهمال احتياجات السكان المدنيين. فقبل الحرب، اعتمد اقتصادُ الشرق الأوسط في جزءٍ كبير على استيراد المواد الغذائية بالإضافة الى تصنيع البضائع، التي احتلت خلال وقت السلم كل السفن المتوفرة، مع نقصِ الشحنِ الناتج عن الحربِ الذي اشتدّ في العام ١٩٤٠ معَ تنازلِ فرنسا لألمانيا ودخول إيطاليا في الحرب، ازدادتِ المعاناة والتعاسة، وكما ازدادَ الجوعُ في الشرق الأوسط. عادتْ ذكرياتُ المجاعةِ الكارثيَّة للحرب العالميَّةِ الأولى بالظهور بين السكان المحليين وبالإضافة الى المسؤولين من السلطات العسكرية الذين كانوا قلقين ليتجنبوا تكرار هذه الكارثة ليس فقط لأسباب إنسانية، ولكنْ للخوف من عدم الاستقرار السياسي، كانت ردودُ السلطاتِ البريطانية في مجال تقديم التدابير التنظيمية، فكانت البضائع الزراعية والمصنعة محلياً تعوّض غياب الاستيراد على نطاق واسع، لذلك فالإنتاج المحليّ والإقليميّ "توزيع وتخصيص المنتجات الزراعيَّة" كانت تنظم من قبل

مركز الشرق الأوسط للمؤن (MESC) الذي تأسس في القاهرة في عام ١٩٤١. المركز تطوّر من مؤسّسة ثانوية إلى مركز عام رئيسيٍّ في الشرق الأوسط الى مؤسّسة قويّة بشكلٍ متزايدٍ، هذهِ المؤسّسة بالرّغم من أعمالها بقيتْ في حقل التنسيقِ، سياسة التخطيط وتقديم النصائحِ، السيطرة على الإنتاج الزراعيِّ والتوزيع، خُطط التقنين المبتكرةِ وحتّى بدأتْ بالإحصاءات الديموغرافية لتقييمِ احتياجاتِ الجالياتِ المحليَّة.

على الأرضِ، كانتِ السياسات التنظيميَّة للحلفاء مطبقةً من قِبَل عملاءِ مكتبِ(OCP) التي كانتْ معروفةً محلياً بـ (MIRA). تأسّست بشكلٍ أساسيٍّ من قِبَلِ الكاتروكس العام، قائد لقوى فرنسا الحرة والمندوب العام في الشرق كـ (مقر للقمح)، مؤسّسة ذات سيطرة فرنسيّة القصد منها السيطرة على توزيعِ وتزويد الغذاء، وتحوّلت سريعاً نتيجةً لاحتجاج محليٍّ وضغط بريطانيٍّ إلى وكالةٍ فرنسية – بريطانية – لبنانية - سورية مشتركة.

بحسبِ تقاريرِ الاستخباراتِ الفرنسيَّة، نشاطات ال OCPكانت واحدةً من المخاوفِ الأساسيَّة للقرويين في كرداغ طوالَ الحرب. كان يجب على كلِّ مزارع يزرعُ القمح أن يسجِّلَ مع مكتبِ OCP المحلي. عندَ التسجيل، يمنحُ المزارعينَ ورقة مطبوعة بالعربيَّة. فبدونِ هذهِ الوثيقةِ كانت دراسة الحنطة، بالإضافة الى طحن الحبوب في واحدةٍ من المطاحن المحليَّة، تعتبر غير قانونية، وكذلك بعد الحصاد، فقد كان المزارعون ملزمين ليظهروا كميةَ الحبوب التي أنتجوها، هذه "الإعلانات التطوعية" كانت ملزمة من قبل فحص دقيق. وفي وقت الحصاد، فإنَّ دوريات الOCP كانت تأتي الى كل قرية لكي تقدّر كمية الحبوب المخزَّنة على الرفوف. وكان المزارعون مجبرين بعدها ان يبيعوا الكمية المخصصة من الحنطة المدروسة للسلطات بأسعار ثابتة.

ازدادت الشكاوي عن الOCP. اشتكى المزارعون بأنَّ سرعة الإجراءات البيروقراطية لم تكن كافية لمردود السنة الزراعية. بعد الحصاد، لم تكن الحبوب تؤخذ من المزارعين في الوقت المناسب. وبذور الحبوب لم تكن تمنح في الوقت المناسب لزرع المحصول الجديد. ولذلك في عام ١٩٤٣، بقيت مناطقٌ كبيرة من الأراضي غيرِ مزروعة. مشاهدة كميات الحبوب المحدَّدة من قبل مكتب OCP المحلي لم يكن دائما سهلاً. فإذا كان حصادُ المزارع لسبب ما أقلّ من الكمية المقدّرة، كانت تلك "مشكلته"، يتذكّر سكانُ قرية شيخ معمو. "إذا لم تكن تستطيع أن تنتج الكمية المحدّدة على ورقتك يجبُ أن تعوَّض الفرق من جيبك الخاص" أخبرني حج منان.

تقاريرُ القرويينَ عن تجارُب الحرب لفت الانتباه إلى بُعْدٍ آخر للذكريات المرويّة. المقترحات للأنظمة التنظيمية المختلفة قورنت بشكل بسيط وواضح. كما ستناقش بشكل كامل في المقطع الأخير، هذا يفتح إمكانيات جديدة للنقد. في القصص المحكية اليوم عن الMIRA التي اخبرنا بها سكانُ قريةِ شيخ معمو، تصفُ المسؤولين الإداريين المحليين (السوريين) كفُسَّاد. كانوا متناقضين "للإنكليز" الذين وُصِفوا في كلِّ الانحاء بإيجابية. تذكّر حج منان ضابط بريطاني أتى إلى القرية في وقت الحصاد مع حرس ال OCP: "قال رجاله: هناك ٥٠ طن مخزون هنا" ألقى الرجل الإنكليزي نظرة ولم يرد عليهم. ثم قال"٥٠ طن؟ لا أظن ذلك، اعتقد بأن هناك ٢١ طن فقط هنا" ثمَّ كتب "٢١ طن". في الحقيقة، كان ٥٠ طناً. هو أراد ان يساعدنا". ابن عمه عزت عفدكة، ركّز بالتساوي على المظاهر الإيجابيَّة لسيطرة التحالف على الحبوب: "نعم، كان علينا ان نبيع كلَّ حبوبنا لهم ولكنَّ الأسعار كانت منصفة على الأقلّ".

التوفير والاستهلاك والفقر والرفاهية:

طوالَ فترة الحرب، أدّى المستوى العالي للإنفاق العسكري والنقص الوشيك للبضائع، إلى تضخُّم كبيرٍ في ولايات الشرق. كان الحصاد(المحاصيل) الكارثي في عامي ١٩٤١ و١٩٤٢ يزيد من صعوبة الحالة الاقتصادية. كان من المفترض أن يسيطر الـ ocp على سوق الحبوب ويضمن توفير الحبوب للسكان المدنيين وقوات التحالف في الشرق على حدٍّ سواء. لهذه النهاية، فالتوزيع كان منظّماً عبر نظام البطاقة المخصّصة للغذاء، حيث "الفقير" بإمكانه أن يشتري الخبز والطحين بأرخص الأسعار من الطبقة المتوسطة، فالحال في كرداغ كان كحال المناطق الأخرى في سوريا، فقد عَبَّرَ السكانُ عن تذمُّرٍ متكرر من موظفي الـ ocp بسبب إهمالهم وممارسات الفساد. كان يتمُّ تهريب المواد الغذائيَّة والمواشي بشكلٍ متزايد من تركيا. المشكلة الأخطر كانتِ الكمية غير الكافية من الحبوب والطحين والخبز، التي كانت تنظم أيضاً وبشكل أساسي من خلال فروع الـ ocp. كان الخبز ذا نوعية ضعيفة، في شباط ١٩٤٣ حذَّرت السلطات بأنَّ تناول الخبز من الممكن أن يتسبّب بأمراضٍ مختلفة نتيجة البدائل المستخدمة في الكمية المخبوزة، ولذلك أمرت الحكومة بأنَّ الحبوب، بالأحرى الخبز، يجب أن يتمَّ نفاذه.

في الثاني من تشرين الأوّل عام ١٩٤٢، أدّى النقصُ في القمح إلى مظاهرة احتجاج كانت على وشك أن تغلق السوق، مشابهة لمواكب الجوع التي كانت متواصلة في مدن سورية أخرى منذ بداية عام ١٩٤١، زحفتْ حشودُ النساء والأطفال في مدينة عفرين إلى السرايا ليشتكوا للقائم مقام، فقرار الحكومة السورية في حلب صعدت غضب السكان الجائعين الذي أمر في نفس الأسبوع بأنَّ الحبوب المخزونة في

مستودع عفرين يجب أن تحوّلَ إلى حلب ليضاف إلى احتياط الميتروبول من الحبوب، فبنظر السكان أثبت هذا القرار الحالة الهامشية للمنطقة، فعلق المتظاهرون عليه فقط بإشارة ناقدة للحالة السياسية: "في أماكن مثل دمشق، أراضي العلوية والدروز حيث البعثات الفرنسية كانت موجودة، لم يحدثْ شيئاً من هذا قطُّ" .

بالرَّغم من أنَّ المجاعة الكارثيَّة في الحرب العالميَّة الأولى لم تتكرّر في الحرب العالميّة الثانيّة، فإنَّ نشاطات ال ocp لم تكن دائماً تحمي السكان، فالقرى العالية في جبال حول راجو وبلبل وميدان اكبس حيثُ الزراعة لم تكن مناسبة وجيدة، وقرار منع إحراق الفحم، حرّم الناس من واحدة من مصادر الدخل القليلة، كانت ضعيفة بشكلٍ خاصّ. لذا فخلال سنوات الحرب استمرَّ السكان في هذه المناطق بالمعاناة من الجوع. ففي شتاء عام ٣/ ١٩٤٢، كان الوضع محبطاً للغاية، كان الطعام نادراً حيثُ تسبب بموت العديد من سكان القرى الجبلية. فرئيس البلدية، فايق آغا، نجل واحد من أكبر العائلات المالكة في الجبل أخذ يشرف على توزيع الحبوب من مخزن الocp في عفرين، ولكنَّ الكمياتِ الممنوحةَ كانت غير كافية، فقد لام الضابط الفرنسي في عفرين السلطات المحلية غير الكفؤة لنقص المساعدات بشكل ملحوظ في محافظة حلب، بينما حمّلت القوات البريطانية المتمركزة في المنطقة المسؤولية الفرنسية: فباتريك نس الكبير، ضابط بريطاني مسيطر على اسطول TJFF الذي كان متمركزاً في راجو، يصفُ المشهدَ الذي شهده أثناء حراسة المنطقة في شباط عام ١٩٤٣:

كنت متفاجئً لرؤية القرويين الاكراد واقفين في النهر المتجمد الأزرق البارد، كانوا يخطّطون ليصطادوا بعضَ الأسماك، كانوا قد وصلوا إلى نهاية مخزون الحبوب لديهم، وكانوا نصفَ جائعين. فالمنظمة الفرنسية

الحرّة ocp لم تكن تفعل أيّ شيءٍ حيال الأكراد المثيرين للشفقة الذين فشلت محاصيلهم الضئيلة في السنة السابقة. ففي قرية واحدة وجدنا أكثر من عشرين جثة لأناسٍ ماتوا من المجاعة، كانت الجثثُ تُقاد الى خارج القريةِ وتنتظر ليتمَّ دفنها.

فرص العمل والعلاقات الاجتماعية:

في كافةِ أنحاء سوريا، أدّى الحصادُ الكارثي في عام ١٩٤١ و١٩٤٢ مع تأثير الحرب إلى أزمةٍ اقتصاديَّة كبيرة، طلبَ السكَّان المدنيون المساعدةَ من السلطاتِ من خلالِ قيامِهم بعددٍ من مسيرات الجوع، بينما كان الريفيون وخاصّة الفلاحون الذين لم يكن يملكون الأراضي مجبرينَ على أن يبحثوا عن فُرصِ دخلٍ إضافية خارجَ نطاقِ الزراعة. فقدّم الكثيرون طلباتهم للحصول على فرص العمل للتوظيف لدى البريطانيين بعيداً عن سيطرة الآغوات، لذا فحتّى يومنا هذا، طلبات التوظيف البريطانية هي واحدةٌ من أكثر التأثيرات المستشهد بها لاحتلال التحالُف.

الإنكليزيون كانوا يُبدون حسناً، عندما كان شخص ما بحاجة للعمل، كان بإمكانه الذهاب إلى الإنكليز، فكانوا يمنحون العمل للناس، كتنظيف وتصليح الطرقات، وحفر الآبار أو المساعدة في بناء ثكناتهم، كانوا يدفعون مبلغاً جيداً للناس، ليس مثل الفرنسيين قبلهم، الفرنسيون كانوا يجبرون الناس ليعملوا أعمال دون أجر! "مرةً أجبروني ووالدي أن نعمل على تصليح طريق لهم. لم يعطونا أي شيء بالمقابل".

جاف، رجلٌ عجوز كان بحوالي المئة سنة من العمر في وقت حديثنا في عام ٢٠٠٦ وتوفي منذ ذلك الحين، كان له ذاكرة مشابهة: "الإنكليز كانوا جيدين، كانوا يمنحون العمل للناس، كان لديهم الكثير من المال". بما أنّه لم يكن يملك أيّ أرض، استفاد جاف من الفُرص الممنوحة من

الوجود البريطاني، كان موظفاً في حقل المطار البريطاني بالقرب من كرداغ" كلّ يوم، من شروق الشمس حتّى الظهر كنتُ أعملُ لدى الإنكليز في مطار منغ، كنتُ أنظفُ الحقلَ وأشياء من هذا القبيل، كانوا يعطونني كيلوغرام من الطحين كلَّ يوم".

حكمُ القواتِ العسكريَّة لولايات الانتدابِ في الشرقِ كان قضيةً أخرى، حيثُ ظهرتِ التنافساتُ بينَ الفرنسيين الأحرار والبريطانيين، كلا الطرفين تفاوضوا على تجنيد السوريين كعمال أهليين، مساعدين أو ضباط عسكريين. كالتجنيد العسكري، التوظيف البريطاني للعمّال السوريين كان ملاحظاً بشكل كبير من قبل الفرنسيين الأحرار الذين كانوا قلقين حول حماية حقوقهم في الشرق، ومن ناحيةٍ أخرى كان المسؤولون الفرنسيون يستشهدون بمخاوف عدم وجود قوة عسكرية كافية لضمان التموين السهل للزراعة في الشرق، مذكّرين نظيرهم البريطاني بشكلٍ ضمني بالأهميّة الأساسيّة للحبوب السورية بالنسبة لجهد حلفاء الحرب، بالرغم من هذه المعارضة، وظَّفت القوات البريطانية الآلاف من السوريين "كعمّال أهليين" ليساعدوا القوات "البيضاء" بتنظيفِ المطارات، وتركيب أو تصليح الطرقات والتحصينات، ونقل البضائع بالمركبات والأحصنة وهكذا.

بالرّغم من الشروط الإيجابيَّة للتوظيف البريطاني التي يحكيها قرويو كرداغ كما هي مرويةٌ في الأعلى، كانتْ هناك إشاراتٌ بأنّ الأجور التي كان يدفعُها البريطانيون لم تكن مرتفعةً في الواقع، فعلى سبيل المثال، عندَما نادى فرج الحلو، الشيوعي البارز من أصل لبناني، بزيادة الأجور اليومية في حلب في صيف عام ١٩٤٢، هو قام بالتنويه بشكلٍ خاصّ لحالة العمال المياومين الذين يعملون لدى الجيش البريطاني كمثال على الرواتب المنخفضة جداً، وجاف، نفس العامل الذي كان يروي لنا في الأعلى، كان عليه أن يضيفَ على دخلهِ الضئيل

من البريطانيينَ بقطع الخشبِ للمقابض المستخدمة للأدوات مثل المجارف والفؤوس ومثلها على حدٍّ سواء. كل يوم بعد أن ينتهي عمله في المطار، كان جاف يصعد الجبل، لقطع الخشب حيث يقضي الليل هناك وفي الصباح يرجع ثانيةً إلى عفرين ليبدأ العمل في المطار، حيث كان ينقل الخشب لأخيهِ الذي كان يبيعهُ في حلب، بعكسِ العديد من السّكانِ الفقراء في المنطقة، لم يكن جاف مسجّلاً في الجيش البريطاني أبداً. بتأمُّله، في الماضي كان يفسِّر ذلك بمكائد ربّ عملهِ وببساطته "هو": كان يبقى في المنزل لأنّه حسب قوله، مالك الأرض الذي كان يعملُ لديهِ كان دائماً يوعده بتزويجهِ يوماً ما، يقول: سوف نجد لك عروساً. ثمّ يقول: لا، تلك تزوَّجتْ الآن. ولكنْ هناك واحدة أخرى من ضيعة مسته gundî mistê، ثمّ تلك ستذهب أيضاً، بهذه الطريقة كان يبقيني في القرية وواصلتُ العملَ لديه.

اليومَ، يتأسف (جاف) بأنّه لم يتبعِ الشّبانَ الآخرين الذين كانوا بدون مورد وانضموا إلى الجيش البريطاني، كانت الخدمة مع البريطانيين سيعطيه راتباً جيداً ويجعله، ولو بشكلٍ مؤقّت، مستقلاً عن ربِّ عمله. "لم يكن لديّ أيّ ذكاء عندها"، قالها بتأمّلٍ في الماضي.

الجمع:

قدَّم التسجيلُ في القواتِ المسلّحةِ البريطانيَّة فرصةً إضافيّة لتأمينِ دخلٍ. فخلالَ الانتدابِ الفرنسي توظّفَ السوريون في الدّرك والقوّات الخاصّة، وظِفَتِ القوات المساعدة الشبه عسكرية المحلية كدعمٍ للقوات الفرنسيّة في الشرق، فمنذ أوائل عام ١٩٤٢ وصاعداً، تابع البريطانيون خططهم لتوظيف ضباطٍ بشكل منظّم للوحدات العسكريّة أو الشبه عسكريّة في بلاد فارس ولبنان وسوريا والعراق، وكان يجبُ أن تمنحَ الوحداتُ الموظّفة الجديدة بشكلٍ محلّي شبكةً للتعامُل مع (الحلف)، يقوم المظليون

بمنح إرشاداتٍ للوحدات النظاميّة وتساعدهم في النشاطات الفدائيّة وتجهّز الاستخبارات والدعاية، فمن ١٣٠٠٠٠ مجند مستهدف لكلِّ الشرق الأوسط، كان ١٠٠٠٠ شخصٍ يجندون من الشرق بين المجندين المحتملين، أقليات عرقية مثل الأرمنيين والآشوريين والأكراد كانوا معتبرين وبشكلٍ محدّد من قبل مسؤولين عسكريين، فبينما كان الآشوريون يستقرّون في العراق ومن المحتمل بلاد الفارس، فتجنيد الأرمنيين وأيضاً الأكراد كان متوقعاً أن يكون في سوريا بموجب اتفاقية مع سلطات فرنسا الحرة في الشرق، ففي اعتراضاتٍ للجنرال كاتروكس، وضَّح البريطانيون بأنّ جزءاً من المجندين يجب أن يُنظم في وحداتٍ إضافيّة مثل النقل أو الحراسة أو شركاتٍ رائدة، بينما الجزءُ الآخرُ يجب أن يوظّف في التخفيف داخل المدفعية البريطانية الساكنة وخطوط الاتصال أو القوات ووحدات أساسية كراحة للضباط البيض (البريطانيين) مع التأكيد بأنّ المجندين الأصليين سيكونون محدوداً على الأغلب للوحدات الغير مقاتلة، على أيَّة حال، أنّ مقاومة الفرنسيين الأحرار للتجنيد البريطاني في الشرق كان جديراً بالاعتبار. بالإضافة الى القضايا الواضحة للتنافس على السيادة والسيطرة (تقارير داخلية فرنسية معزَّزة بملاحظاتٍ ناقمة حول التجنيد البريطاني (الأجسام السورية) بالرغم من جنسيتهم على إرغامهم على السيادة الفرنسية)، عبّر الضباط الفرنسيون عن المخاوف بأنّ "وبشكل غير معقول" الرواتب العالية التي تُدفع من قبل الجيش البريطاني ستصعب عليهم تجنيد السوريين لأجل هذه القوات تحت السيطرة الفرنسية، وكان هناك قلقٌ آخر حول التركيز أو الانتشار للوحدات الأصلية تحت الرعاية البريطانية في سوريا، سيسبّب فوضى بين القوات الخاصة، بالإضافة الى مقاومة سلطات فرنسا الحرّة للتجنيد المنظّم، كان هناك أيضاً

خلافات بريطانية داخلية حول المسألة المالية: من أيّ ميزانية يجب أن تدفع رواتب الجنود والمعدات؟

كسبَ التجنيدُ البريطاني في الشرق - الذي كان ملاحظاً بشكلٍ مشكوك فيه وغالباً ما يتمُّ إعاقته من قبل الفرنسيين - دفعاً بعد الاتفاقية التي تمّت في نيسان عام ١٩٤٣، تحدّد بأنّ التجنيد سينجز من قبل لجان فرنسية – بريطانية (سيكون رئيس اللجنة ضابط فرنسي)، وبأنّ المصالح الفرنسية بالإضافة الى الأنشطة المدنية والعامّة في سوريا ولبنان، لن تعاني من التجنيد وأنّ الرواتب لن تتجاوز الرواتب التي يدفعها الفرنسيون.

حتّى قبل هذا التاريخ، أثبت التسجيلُ مع القوات المسلحةِ البريطانية عرضاُ كافياً وساحراً للفلاحين الفقراءِ الذين لا يملكون أراضي في شمالي سوريا. تشير المصادر الفرنسية بأنّ كرداغ بشكلٍ خاصّ أصبحت ذخيرة للتجنيد للقوات البريطانية المسلحة. قائمة من ١٨ مجنداً من كرداغ والقرى المجاورة من نبل، الذين قبضت عليهم السلطات الفرنسية وقامت باستجوابهم في أواخر ١٩٤١، تعطي فكرة عن خلفياتهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة: ما عدا شخص واحد كان يجرى معه التحقيق أعلن عن مهنته كمالك للأرض (proptié taire)، كانَ المجندون فلاحين أو رعاة أو باعة متجوّلين أو عمّال مياومين، سجّلت المصادر الفرنسية للتطوّع البريطاني للأكراد السوريين في أوائل شهر أب من عام ١٩٤١. مع ذلك، انضمّ مجنّدون آخرون من كرداغ للقواتِ البريطانيّة حتّى قبل غزو التحالف لسوريا، ربّما تمّ تهجيرهم من الفرق السورية في ربيع عام ١٩٤١ بعد بداية احتلال التحالف بفترة قصيرة، كان السكّانُ المحلّيون الذين كانوا يخدمون في الوحدات البريطانية الموزّعة في كرداغ، يأتون الى المنزل "بإجازة" لكي يشجعوا على

الخدمة في القوات البريطانية ويجذبوا متطوعين. في شباط عام ١٩٤٢، تمّ تسجيلُ على الأقل ١٠٠٠ سوريٍّ للخدمة مع القوات البريطانية في فلسطين، كان يقدّر عددُ التطوُّع البريطاني من المتطوعين السوريين من ١٥ الى ٣٠ شاباً كلّ يوم. بحسب التحقيقات الفرنسية، سافر هؤلاء المجندون السوريون الشبابُ للجيش البريطاني جنوباً (عن طريق عفرين – حلب – دمشق)، في مجموعاتٍ صغيرة أو بشكلٍ منفرد ليعبروا الحدود السورية الفلسطينية بشكلٍ سرّيٍّ.

بعدَ ذلك، ظهرَ مجندونِ من المنطقة كانُوا مقيمين في مخيماتٍ في حلب وبيروت ودمشق، حيثُ تمّ نقلُهم الى مخيمات للتدريب في مصر، انعكسَ ذلك على ذكريات خليل محمد، قرويٌّ آخرُ من شيخ معمو. ففي عام ١٩٤٣ كان خليل يبلغ السابعةَ عشرَ من عمره تقريباً. تيتّمَ عندما كان طفلاً، لا يملك أي أرض ليفلحها، وكانَ يكسبُ لقمةَ عيشهِ كعاملٍ ذي أجر. يخبرُ خليل قصة تجنيده كمسألةِ حظٍّ: ذاتَ يومٍ، متأمّلاً بأن يجد عملاً، أو وظيفةً ليوم واحد أو أكثر، ذهبَ الى سوقٍ يبحث عن عملٍ، عندها رأى حشداً كبيراً مجتمعاً أمام قهوةٍ. فسأل واحداً من المتفرّجين عن الأمر، أخبره بأنّ السوق للتجنيدِ للجيش البريطاني قد بدأ للتوِّ، قرّر خليل الذي كان يسمعُ بأنَّ الإنكليز كانوا يدفعون رواتب جيدةٍ، بأنّ يتطوعَ، فقد أصبح مجنداً في بقعةٍ محدّدة، وبعدَ ذلك تحوّل الى معسكرٍ مخصّصٍ في جنوب حلب، بعدَ ذلك تمّ إرساله مع متطوعين سوريين آخرين، أولاً بالقطار إلى دمشق، ثمّ إلى فلسطين، ثمّ الى مصر في السويس، صعدت وحدته السفينة في رحلة بحرية إلى إيطاليا نزلوا في Bari، حيثُ استقرّ خليل هناك تقريباً حتّى نهاية الحرب. كان خليل مكلّفاً بواجباتِ الحراسة بشكلٍ أساسي، مثل معظم المجنّدين السوريين، ولم يكنْ يشاركُ في أيّ قتالٍ بشكلٍ فعليٍّ. أثناء الحملةِ في شتاء ١٩٤٣\٤، أخذته وحدة ألمانية كأسيرٍ لمدّة ثلاثةِ أشهر

و١٧ يوماً بحسب قوله. في نهاية هذه الفترة، تمّ تحريره كجزءٍ من تبادل الأسرى مع البريطانيين، بتقدّمُ الحرب قرّر بعضُ المجندين المحلّيين لدى القوات البريطانية بعدم متابعة خدمتهم. في عام ١٩٤٤ و ١٩٤٥، أعلنَ ضباطٌ فرنسيون للاستخبارات عن حوادث عدّة لهاربينَ سوريينَ من الجيش البريطاني مختبئين في كرداغ أو يحاولون أن يعبروا الحدودَ الى تركيا، في حادثةٍ في شهر أيارَ عام ١٩٤٤، كان المجندون الفارون من الجيش البريطاني يستخدمون بدلاتهم الرسميَّة وأوراقهم (الذين قاموا بالاحتفاظ بها) ليخدعوا بها القرويين، وليقوموا بأعمال سرقة، وعندما يتمُّ كشفهم، كانوا يهربون ثانيةً إلى فلسطين للانضمام للبريطانيين وذلك ليتخلّصوا من المطاردة.

في كرداغ، توصفُ الخدمةُ مع الجيش البريطاني بمصطلحاتٍ إيجابيَّةٍ على الأغلب. بعد ٦٠ سنة من تجربته، يكون خليل مليء بالمديح للبريطانيين:

كانت عاداتُهم جيدة جداً فيما يتعلّق بالخدمةِ العسكريّة، لم يكن هناك أيُّ شخصٍ أفضل بالتأكيد في كلّ العالم، فيما يتعلّق بالطعام: كل ما تتمنّاه كان يتمُّ تجهيزه لك، اللباس أيضاً كان كذلك، والراتب أيضاً، كان هناك مبنى للتخزين (مليءٌ بالملابس) من الأرض للسقف من الجوارب لغطاء الرأس، يمكنك أن تأخذ ما تحبُّ أيّ لباسٍ تريده. وكانت أخلاقهم عالية. لا سمح الله أن يكونوا مثل الناس هنا: لا كلمة قذرة أو ضرب، كانت أخلاقُهم إنسانيَّة، أنت والذي يحمل نجمتين أو ثلاثة (ملازم ونقيب)، العقيد، الجنرال العام، كلّهم يتناولون الطعام معاً، يأكلون معك، أليس كذلك؟ الجيرينول لديه ١٢٠٠٠ رجلاً تحت إمرته، ولكنْ يجب أن يتناول الطعام معك ومع الجميع!

بعدَ نهايةِ الحربِ بفترة قصيرة، طُلب من خليل إذا كان يحبُّ أن يمدّد خدمته مع الجيش البريطاني ليذهبَ لمكانٍ بعيد، بحسب ذكريات خليل، كانَ يدعى " بلد القرود". رفضَ العرضَ وقرّر أن يغادرَ الجيش ويعودَ للمنزل. "رفضتُ الذهاب. لأنّ: شخص غريب في مكان غريب مثل شخص أعمى".

برجوعهِ ثانيةً إلى شيخ معمو، تلقّى خليل راتبَ تقاعد من الجيش البريطاني لمدّة سنتين، عندما توقّف الراتبُ عادت حياة خليل كما وكأنه لم ينضمْ إلى الجيش أبداً، حتّى يومنا هذا خليل يعيش في قريته الأصلية، يقومُ بزراعة أرضهِ الصغيرةِ بالإضافة إلى العمل مع مزارعين آخرين، تعتبر مهمّة خليل في الجيش مليئةً بالمتعة والتسلية أكثر من القرويين الأثرياء، الذين، كما يقولون، لم يفكّروا بالانضمام للجيش. "لقد كان فقط للفقراء". أكملَ عزّت عفدكة "ليس للذين يملكون أراضي".

بشكلٍ مشابهٍ، في قرية Kafr Mara، المهمّة الفاشلة لمجندٍ آخرَ كان يضرب به المثل تقريباً، إنّه المزارع حسن عبدو، واحد من فقراء القرية، انضمّ للجيش البريطاني في فلسطين في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤١. ذهب بعيداً لدرجة أنّه دفع ١٠ ليرات سورية لـ "علي"، قام مجنّد بتهريبه عبر الحدود الفلسطينية السورية. حسن عبدو، المعروف محلياً بـ "شيخ حسن"، المتوفّى منذ زمنٍ طويل، ذكرياتُه محتفظةٌ بها ليس فقط في الأرشيفات، ولكنّها مازالت بينَ زملائه القرويين: يتذكّرون بأنّ تطوعه في فلسطين، تمركزَ حسن في مالطا وكريت حيثُ نزلَ إلى رتبةٍ أدنى (من المحتمل أن يكونَ عريف). حتّى الآن مع ذلك، تمّ إخباري في وقت غير بعيد بأنه تمّ تفريغه من الجيش بشكلٍ مشرّف، وأرسل ثانيةً الى المنزلِ لأنّه لم يتوقفْ عن شرب الكحول أثناءَ خدمتهِ.

أصبحتْ تجربته حديثَ القرية: حتّى يومنا هذا، يضرب المثل بالخطط التي تبدأ بذرائع كبيرة، وتنتهي على نحوٍ بائس، تشيرُ إلى " شيءٍ مثل رتبة شيخ حسن".

الخاتمة:

بالرّغم من أنّ كرداغ لم تكنْ جزءاً من الخطِّ الأمامي في الحربِ العالميّة الثانية، كان السّكان يشعرون بالقيود والقوانين المفروضةِ من قبل منطق عسكري: السيطرة المشدّدة على الحدود، التي جعلت عملية التبادُلِ مع المناطق المجاورة في تركيا معقدة جداً، قانون الإنتاج والتوزيع الزراعي، بالإضافة الى النقص الغذائي، هذه عبارةٌ عن بضعةِ أمثلة.

من ناحيةٍ أخرى، في مرحلة دقيقةٍ أو فرديّة، عرضَ احتلالُ التحالف فرصاً جديدةً وتحرُّكاً حيزيّاً لسّكان القضاء، هذا كان واضحاً في كلماتِ القرويين الذين لم يكن لديهم أراضي، جاف و خليل، الذين كانوا يصفون الوجود البريطاني كفرصة للدخل والهربِ - وإن كان مؤقتاً - من خلال اعتمادهم على نخبة من مالكي الأراضي المحليين، ولكنْ كيف كانت تدوم هذه التحوّلات؟ بما أنّ تاريخ هذه المنطقة بتركيبها السياسي والاجتماعي المميّز هي البداية فقط، في هذه المرحلة يمكنُ فقط أن نرسم خاتمة مؤقّتة، حتّى الآن تبدو بأنّ التغيّرات الاجتماعيّة التي حصلت مع وجود التحالُف في المنطقة - كما كانت - لم تدُمْ خلال سنوات الحرب. في عام ١٩٤٤، بدأ الجيشُ البريطانيُّ بالانسحاب من الوحدات التي كان يتمركزُ فيها في كرداغ، فقد رحلتِ الواحدةُ تلو الأخرى، الفُرق الهنديّة، الأردنيّة والبريطانيّة، أغلقت القاعدة البريطانية في عفرين أخيراً في ٣١ كانون الأوّل ١٩٤٥. يتذكّر عزّت عفدكة كيفَ مشى مع بعضِ أفرادِ القريةِ في شوارع المخيّم المهجور. "كان

منظماً جداً، مثل مدينة - كانتْ هناك شوارعُ و كلُّ شيءٍ، وبالأخصّ الحمّامات، كان لديهم الكثير من الحمامات".

لقد انتهى رسميّاً احتلال التحالف لكرداغ مع الانتداب الفرنسي، في نيسان ١٩٤٦. يحدّد التقليد المحلّي نهاية الحكم الفرنسي مع المشهد التالي:

في نيسان ١٩٤٦، أعلنَ التراجع الفرنسي من سوريا، جمع عارف آغا (الغباري) بعض رجاله وداعميه من القرى المحيطة، ذهبوا الى السرايا في (عفرين) حيث كانت الأخبار مؤكّدة بأنّ الفرنسيين غادروا ذلك اليوم، طلب عارف آغا من أحدِ رجاله بأن ينزلَ العلم الفرنسي ويرفعَ العلمَ الوطني بدلاً عنه - الأمر الذي اعترضَ عليه فايق آغا، الذي أرادَ أن يفعل ذلك بنفسهِ.

تصفُ هذه الصورة المشهدَ السياسي في كرداغ خلالَ الثلاثينيات والأربعينيات من العام ألف وتسعمئة. فايق آغا، الذي كان الرابحَ الأكبرَ من علاقاته الجيدة مع الفرنسيين أثناءَ سنوات الحرب، أكّد مرّةً أخرى سيادته - في هذا الوقتِ من خلال وضع نهاية رمزية للحكم الأجنبي بيده، بنهايةِ الحربِ وانسحاب قوات التحالف - بقيت العلاقات السياسيّة والاجتماعيّة في المنطقة نفسها في فترة ما قبل الحرب.

من الممكنِ أن تكون الفكرةُ بأنَّ احتلال التحالف كان يربطُ على الأقلِّ التحالفَ الرسميَّ "التقليدي" بينَ مالكي الأراضي ومسؤولي الانتداب الفرنسي، هي توضيح للذكرى الإيجابية لقرويي شيخ معمو في زمنِ وجود "الإنكليز" في كرداغ.

بُعْدٌ آخر هو النقد للأنظمة التنظيميّة في سوريا الحالية، قامت الحكومة السورية بالاستيلاء على العديد من الآليات والممارسات للأنظمة

(الاقتصادية) التي قدّمها التحالف، مازال العديد منها تعمل بصورة معدلة في الحاضر.

سنقوم بفتح باب النقد للممارسات الحالية عندما نبحث في ذاكرة الآليات المشابهة تحت الاحتلال الأجنبي. هذا كان مقترحاً في وصف خليل المتوهّج للجيش البريطاني: "كلّ شخص يأكل نفس الطعام، أخلاقهم كانت إنسانية، ليس مثل الناس هنا (والآن)". بشكلٍ مشابهٍ، عندما يقول عزّت عفدكة: "كان علينا أن نبيع الحبوب لهم، ولكنّ الأسعار كانت منصفة على الأقلّ"، هو يقوم بإشارة ضمنية لسياسة الحكومة الحالية باحتكار التجارة الخارجية للحبوب وبالإضافة إلى زيتِ الزيتون، الذي أصبح المصدرَ الأساسي للدخل بالنسبة للقرويين: بعدم السماح للمزارعين بأن يبيعوا زيتهم الخاصّ خارج البلد، الفائدة العالية التي تهمش في بيعِ زيتِ الزيتون هي رفض المنتجين.

في هذا الصددِ، تعكسُ خبرة قرويي كرداغ لاعتمادِ التحالفِ نظام تنظيمي واحد، ومن المحتمل، صيغة محدَّدة "لاستقلالِ الدولة"، التحالف مع الحكومة الحالية، وترجمت تجربة سنواتِ الحربِ في بيئةٍ للتعبير عن عدمِ الرِّضى بالحاضر.

١-التاريخ هنا مشكوك فيه. تذكر القرويّون بأن المناورة حدثت في الربيع، ولكنه لم يقولوا بالتأكيد في أي شهر وسنة حدثت. المقابلات المقتبس منها هذه المادة جرت أثناء البحث الميداني في سورية بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٧، كجزء من مشروع بحث جرى في المشرق الحديث ومولت من قبل الجمعية الألمانية للأبحاث (DFG). تم تغيير أسماء الأشخاص الذين مازالوا على قيد الحياة والقرى الموجودة الى الآن. كرداغ كانت، وماتزال، منطقة تتكلم اللغة الكردية بشكل أساسي،

مع لغات محكية أخرى (تركية، عربية، وفي بعض الحالات اللغة الفرنسية وحتى الإنكليزية). لتجنب التشابه، تم استخدام أنظمة عديدة من النسخ من اللغتين الكردية والعربية على التوالي، لقد قررت أن اكتب المصطلحات الإدارية، أسماء الأماكن والأفراد باللغة الإنكليزية المبسطة على طول النص. فقط أسماء المؤلفين وعناوين الأدب الثانوي تم نسخها بدقة أكثر.

٢-يوجد هناك، بالطبع استثناءات مثل عمل (Méouchy) المستمر على حركة "isabat" في شمال سورية في بداية الانتداب (Nadine Méouchy، " Le movement des ' isabat en Syrie du Nord á trvers le témoignage du chaykh Youssef Saadoun (1919-1921)،)" في الانتداب الفرنسي والبريطاني في وجهات نظر مقارنة [Les mandats français et englais dans une perspective comparative]، الدراسات الاجتماعية ، الاقتصادية و السياسية للشرق الأوسط وشمال افريقيا ، المختصة في التعليم ، Nadine Méouchy و Peter Sluglett (ليدن و بوسطن عام ٢٠٠٤). راجع الصفحات ٦٤٩ حتى ٦٧١ شاهد أيضا مشاركتها في هذا المجلد) ، شاهد أيضا Vahé Tachjian، La France en Cilicie et en Haute-Mésopotamie. Aux confins de la Turquie، (1919-1933 de la syrie et de l'Irak) (باريس، ٢٠٠٤) للنصف الأول من الانتداب.

٣-سلسلة كرداغ الجبلية، التي أعطت قضاء اسمها، تمتد الى الحدود الشمالية الحالية . شاهد Tachjian، La France en Cilicie صفحة ٣٦ والخريطة (La Cilicie et les Territoires de l'Est á

l'époque de l'occupation français (au lendemain de la Premiére Guerre mondiale)).

٤-واحدة من ضمن الشروط للاستقرار تحت الانتداب الفرنسي في عام ١٩٢٢ كانت الموافقة على اللغة التركية (وليس العربية) كلغة إدارية رسمية للقضاء: جميل كنه البحري، "نبذة المظالم الفرنسية بالجزيرة والفرات والمدنية الفرنسية بسجن المنفرد العسكري بقطمة وخان إسطنبول" الجزء الأول (n.d، n.d (حلب ١٩٦٧)) الصفحة٥.

٥-كرداغ هي ثانوية للعديد من تقديرات القومية الكردية "لكردستان" حيث كانت المنطقة غالبا بعيدة عن الاعتراضات للتاريخ والإقليم الكردي. حتى المنشورات الاكاديمية عن اكراد سوريا، التي بدأت بالظهور مؤخرا، تجاهلت هذه المنطقة بشكل كبير(كأمثلة على ذلك شاهد Nelida Fuccaro،"الأكراد في شمال سورية والعراق" بالفرنسية والبريطانية، لاخصائي التعليم Méouchy and Sluglett. راجع الصفحات ٥٧٩ حتى ٥٩٥، و Jordi Tejel، الأكراد السوريين: تاريخياً وسياسياً واجتماعياً (لندن ٢٠٠٩).

٦-البحري، "نبذة عن المظالم الفرنسية،صفحة٥، شاهد أيضا StephenH. Longrigg، سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي (أكسفورد ١٩٥٨) راجع الصفحات ٣٧٠-٣٧١ (مع خطأ مطبعي ١٩٤١ تتحول الى ١٩١٤ في الصفحة ٣٧١).

٧-تاج جيان، La France en Cilicie et en Haute-Mésopotamie الصفحة ٣٣٣.

٨-المنشورات المؤخرة للكاتب المحلي التاريخي محمد عبدو علي هي مساهمات ذات قيمة، تستند على القصص المحكية والمصادر

المنشورة، ولكنها لا تستخدم موارد ارشيفية. شاهد م.ع. علي (جبل الكرد) عفرين، (٢٠٠٣).

٩-Nikolaus Buschmann و Aribert Reimann " Die Konstruktion historischer Erfahrung. Neue Wege zu einer Erfahrungsgeschichte des Krieges" in Die Erfahrung des Krieges: Erfahrungsgeschichtliche Perspektiven von der Französischen Revolution bis zum Zweiten Weltrieg، Nikolaus Buschmann and Host Carl، Paderborn et al. (Krieg in der Geschichte) 9 (2001) شاهد الصفحات ٢٦١ حتى ٢٧١.

١٠-Aviel Roshwald ، "مهمة في الشرق: ١٩٤١-١٩٤٤" المجلة التاريخية ٢٩-٤ (١٩٨٦)، ٨٩٧-٩١٩، هنا في الصفحة ٩٠١.

١١-شاهد على سبيل المثال المناقشات بين الجنرالين هولمز (البريطاني) وداسونفيل (الفرنسي) في حلب في حزيران عام١٩٤٤. Centre des Archives Diplomatiques، Nantes، France (CADN) Syrie-Liban،، 1er vers، p. 770..

١٢-السلطات الألمانية خططت بداية مع الحكومة التركية، على سبيل المثال، رحلة فوزي القاوقجي من هذا الطريق، في نهاية الامر، القاوقجي الذي أصيب بجرح ذهب بالطائرة من سوريا عبر طريق أثينا. شاهد Gerhard Höpp، " Ruhmloses Zwischenspiel. Fawzi al-Qawuqji in Deutschland، 1941-1947" في الرافدين. Jahrbuch zu Geschichte und Kultur des moderner Iraq، vol.3، (ed. Peter Heine

Würzburg،1955)، شاهد الصفحات ١٩ حتى ٤٥، هنا الصفحات ٢٥-٢٦.

١٣-وكذلك الجنرال هولمز الى الضباط الفرنسيين في اللاذقية وحلب في أيار و حزيران عام١٩٤٤،(CADN، S-L، ler vers، c.p.، 770.

١٤- Service Géographique des Forces Françaises du Levant(اب ١٩٤٥): Syrie.Répertoire alphabétique des noms des lieux habités، Forces Françaises du Levant) 3rd ed. (Beirut: الصفحة ١٢٤.

١٥-كما هو واضح على سبيل المثال في الشكاوي العديدة لضابط الاستخبارات الفرنسي Valentin ضد نظيره البريطاني، Sergeant Baker في أيلول ١٩٤٤ (CADN، S-L، ler vers، c.p.، 770).

١٦-في حالة جديرة بالذكر، سبعة ضباط من مركزالحدود التركية في Omar Tepe قطعوا الحدود الى ميدان اكبس وسرقوا قطيع مؤلف من ١٥٠٠ ماعز. لاستعادتهم، كان على المالك ان يدفع ١٠٠٠ ليرة تركية." بعد عدة صفقات" الضابط الفرنسي المخبر عنه ختم تقريره" الماعز تم استعادتهم مقابل ٥٠٠ ليرة." Bulletin d'Information،عفرين ،كانون الثاني ١٩٤٢،١٧ (CADN، S-L ، ler vers، rens. Et presse، 2003).

١٧- Bulletin Hebdomadaire d'Information، عفرين ، N 15في ٢٧ كانون الأول ١٩٤٤ (CADN، S-L، ler vers، rens. et presse، 2087

١٨- Bulletin Hebdomadaire d'Information ،Alep ،N 15، في ١٥كانون الأول من عام ١٩٤١ (CADN، S-L، ler rens. Et presse،vers، 2087). بعد بضعة أسابيع، شاركت القوات الاسترالية في حدث اخر: في قرية الحمام الحدودية، قبض الجنود الاستراليين على حارس القرية، ضربوه وصادروا سلاحه، الأسباب موجودة في المصادر. في اليوم التالي، اعيد السلاح الى صاحبه - من قبل القوات البريطانية وليس الاستراليين(Bulletin Hebdomadaire d'Information، عفرين، في ١٠ كانون الثاني ١٩٤٢ (CADN، S-L، ler vers ،rens. et.presse،2023).

١٩- Bulletin Hebdomadaire d'Information، ،عفرين، في ٢٧شباط ١٩٤٣ CADN، S-L، ler vers، rens. et.presse،2046)). انا ممتن لـ Katrin Bromber للملاحظة التي تشير بأن هذا الاجراء يعكس تمرين الجيش البريطاني العالي: المشكلة تشير للعدالة العسكرية، أكثر من السلطة القضائية المحلية المدنية، لتجنب الفضيحة، ولأنه يمكن توقع عقوبة أكثر اعتدالاً.

٢٠- "الأمير عبدالله" يشير الى امير الأردن آنذاك، عبدالله بن حسين. بالرغم من ان الTLFF كانت تحت القيادة البريطانية بشكل رسمي، هذا التصنيف الشائع يشير الى الفهم المحلي لهم كوحدة "اردنية".

٢١- Bulletin Hebdomadaire d'Information، Alep، N 18، في ٥ أيار عام١٩٤٢ (CADN، S-L، ler vers، rens .et.presse،2013). العديد من فرسان الفروسية لقوات الTJFF المكلفة بالسيطرة على الحدود كانت متمركزة في قرى وبلدات اكبر

بالقرب من الحدود في كرداغ (على سبيل المثال في ديرصوان وجنديرس وراجو وشيخ الحديد والحمام

وميدانكي) وفي بلدات في مناطق أخرى أيضا (حارم وباشميشلي وازمرين وقنايا .. الخ)، شاهد مفكرات الحرب لفوج الفروسية TJFF المحفوظة من قبل Lt. Col. Montgomery لحزيران – أيلول عام ١٩٤٢. الارشيفات القومية، مكتب السجلات العام، المكتب الأجنبي، لندن، المملكة المتحدة (TNA، WO 4353/169 (PRO.

٢٢- d'Information Bulletin عفرين 3 N 22 حزيران ١٩٤٤ و 10 N 23 حزيران ١٩٤٤ (CADN، S-L، ler vers، rens. et.presse، 2087).

٢٣- في أيار ١٩٤٢،على سبيل المثال، الأفلام التي كانت تعرض في شيخ الحديد، الحمام، معبطلي، ميدان اكبس وعفرين d'Information Bulletin عفرين N 21، 26 أيار ١٩٤٢(CADN، S-L، ler vers، rens. et.presse، 2013) في حزيران ١٩٤٤، راجو، ميدان اكبس، عفرين، والحمام، d'Information Bulletin عفرين N 23 10 حزيران ١٩٤٤(CADN، S-L، ler vers، rens. et.presse، 2087).

٢٤-الأفلام على الطلب بدأت في ٦ حزيران، اول يوم من نزول التحالف، وانتهت في ٩ حزيران ١٩٤٤، d'InformationBulletinعفرين N 23، 10حزيران ١٩٤٤(CADN، S-L، ler vers، rens. et.presse، 2087).

٢٥-بحسب المصادر المختلفة من d'Information Bulletin عفرين حزيران ١٩٤٤(CADN، S-L، ler vers،et.presse. ren،2087).

٢٦-الترتيب النقشبندي وهو واحد من أكثر الأخوة الإسلامية الصوفية المشهورة في هذه المنطقة.

٢٧- هذا كان الاسم المعطى للثوريين "مريد" التي تشير بشكل أساسي للتابعين للسلطة الدينية، غالباً الشيخ الصوفي.

٢٨- في حركة المريدين، شاهدRoger Lescot، "Le kurd dagh et le movement mouroud، Studia Kurdica 1 (1988) 5، 101-116 . بحسب القصص المحلية، العداوة بين كور رشيد وعائلته، الشيخ إسماعيل زادة والمريدين ظهرت في الحملة الانتخابية عام ١٩٣٦ التي فازت فيها في سوريا الكتلة القومية. الكرسي البرلماني لكرداغ كان متنازع عليه بين صاحب المكتب، حسين عوني، وكور رشيد. في هذه الحملة المريدين دعموا حسين عوني (الذي اتى من عائلة مالكة قوية) ضد كور رشيد. خسر الأخير- بشكل جزئي على الأقل، بحسب اعتقاد الكتاب التاريخيين المحليين، بسبب دعم المريدين، شاهد Çavşîn، Rodî (n.d): Harakat al-Muridin fi Jabal Kurd Dagh: // WWW.kurdax.net/ Maqala (تم الوصول له في ٤ حزيران ٢٠٠٦).

٢٩- شاهد فيليب خوري، سوريا والأنتداب الفرنسي: سياسات القومية العربية ١٩٢٠-١٩٤٥ (دراسات Princeton على الشرق الأدنى) (Princeton 1987) شاهد الصفحة ٢٤٥ وأيضا Keith Watenpaugh، التحضر في الشرق الأوسط: الثورة، القومية، الاستعمارية والطبقة البرجوازية العربية (Princeton و Oxford

2006) شاهد الصفحة ٢٢٥ على السيايات الوطنية ودور الكتلة القومية في حلب.

٣٠- بحسب عبدو، محمد: الحياة السياسية في جبل الأكراد في القرن العشرين ٢٠٠٤ // http: www.efrin.net/efrin03/arabi/efrin/index/dr.muhamad-abdo-ali/dr.muhamad-abdo-ali-2.htm (تم الوصول له في ٢٥ تشرين الثاني عام ٢٠٠٨). منشورات أخرى لنفس الكاتب تحت اسم محمد عبدو علي.

٣١- المصادر المتنوعة.

٣٢- Tachjian، La France en Cilicie، p.354 n. 13، p. 382 pp. 17-19 ،Syria's Kurd ،Tejel ،n. 81; see pp. 349ff. ،and Nelida Fuccaro "Die Kurden Syriens: Anfange der nationnalen Mobilsierung unter französischer Religion ،Nationalismus ،" in Ethnizität،Herrschaft und Politik in Kurdistan ،ed. Carsten Borck ،Eva Savelsberg and Siamend Hajo ،Kurdologie 1 (Münster، 1997)، pp. 301-326، esp. pp. 306-309 ،on Khoybûn's role in Syria شاهد الصفحات ٣٠١ -٣٢٦ خاصة الصفحات ٣٠٦- ٣٠٩ على دور خويبون في سورية.

٣٣- في صيف عام ١٩٣٩" وجد (نادي الشباب الكردي)، المتوجه نحو الأفكار القومية الكردية، في عفرين من قبل افراد من الطبقة المثقفة، ولكن عندما تدخل الفرنسيين اغلق النادي بعد بضعة أسابيع فقط. عبدو، محمد الحياة السياسية في جبل الأكراد.

٣٤- في نفس المكان.

٣٥- في العام ١٩٣٩، مجموع استيرادات سكان الشرق الأوسط كان يقدر بـ ٥ الى ٦ مليون طن سنويا، في عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣، هذه الكمية انخفضت الى ١.٢٥ مليون طن، المواد المستوردة الرئيسية كانت "السكر و الرز و الشاي و القهوة و البضائع المصنوعة من القطن" تم تقليلها بشكل ملحوظ: Longrigg، Syria and Lebanon under French Mandate ، الصفحة ٣٣٦، شاهد أيضا Robert Vitalis و Steven Heydemann، "War، Keynesianism and colonialism: Explaining State-Market Relations in the Postwar Middle East،"في الحرب و المؤسسات و التغيرات الاجتماعية في الشرق الأوسط، (ed. Steven Heydemann Berkeley and Los Angeles،2000) شاهد الصفحات ١٠٠-١٤٥ هنا في الصفحة ١١٦.

٣٦- ٣٦ شاهد Elizabeth Thompson، " The Climax and Crisis of the Colonial Welfare State in Syria and Lebanon during World WarII،"في الحرب والمؤسسات والتغيير الاجتماعي في الشرق الأوسط، شاهد الصفحات ٥٩-٩٩، هنا الصفحات ٥٩-٧٤، شاهد أيضا Vitalis and Heydemann، War "، Keynesianism، and Colonialism،" شاهد الصفحات ١١٦-١١٧.

٣٧- في الأصل مؤسسة بريطانية تحت حماية وزارة الشحن في لندن، ال MESC أصبحت مؤسسة بريطانية-أميركية مشتركة في العام ١٩٤٢، شاهد، Longrigg، Syria and Lebanon under French

Mandateالصفحة ٣٣٥ ، Vitalis and Heydemann“ War، Keynesianism، and Colonialism، “ الصفحة ١١٧.

٣٨- Vitalis and Heydemann، “ War، Keynesianism، and Colonialism، “ شاهد الصفحات ١١٦-١٢٣.

٣٩- شاهد Longrigg، Syria and Lebanon under French Mandate، الصفحات ٣٣٧-٣٣٨، Vitalis and Heydemann، “ War، Keynesianism، andColonialism، “ شاهد الصفحات ١٢١ والصفحة ١٤٢

٤٠- شاهد على سبيل المثال d'Information Bulletin Hebdomadaires، عفرين، أيلول و تشرين الأول عام ١٩٤٢ (CADN،S-L،ler vers،rens. et presse،2023))

٤١- بحسب قصص سكان قرية شيخ معمو، شاهد أيضا Vitalis and Heydemann، “ War، Keynesianism، and Colonialism، “الصفحة ١٢٢.

٤٢- d'Information Bulletin Hebdomadaires عفرين، ٣ أيلول ١٩٤٢ (CADN،S-L،ler vers، rens. et presse، 2023) d'Information Bulletin Hebdomadaires(عفرين، ١٦ كانون الأول ١٩٤٣ CADN، S-L، ler vers، rens . et presse،2046)).

٤٣- في كافة انحاء سوريا، مالكي الأراضي وتجار الحبوب عارضوا نشاطات الـ OCP ، خوفا على مكاسبهم. بالنسبة للمزارعين، البيع مباشرة لل OCPبأسعار منصفة كان مربحا اكثر من البيع للتجار الوسطاء.

٤٤- Bulletin Hebdomadaires d'Information عفرين، ١٦ كانون الأول ١٩٤٣(CADN-L-S، 1er vers، et . rens presse، 2046)

٤٥- بشكل غير مفاجئ ، أدى ذلك الى خلافات حول الانضمام الى المجموعة "الفقيرة" ، كما كان الحال في أيار عام ١٩٤٢ في حلب. في هذه الفترة ١٠٥٠٠٠ شخص (كانوا عائلات الى حد ما) تم تسجيلهم كفقراء، ٠٠٠، ١٦٠ شخص "كطبقة متوسطة" Bulletin N°19، Alep، Hebdomadaire d'Information من الفترة من ٣ حتى ٩ أيار عام ١٩٤٢ (CADN-L-S، 1er vers، rens.et presse، 2013)

٤٦- Bulletin Hebdomadaire d'Information، Afrine-N9، Afrine-N9، في ٢٧ شباط عام ١٩٤٣(CADN-L-S، 1er vers، rens.et presse، 2046)

٤٧- شاهد Thompson، Climax and Crisis of the Colonial Welfare State،"الصفحة ٧٤. يوضح لنا الوضع في عفرين مثلا، بأن هذه الاشكال من الاحتجاج لم تقتصر على " المدن الكبرى" في سوريا. في ٢٧ نيسان ١٩٤٢، حدثت مسيرة جوع في بلدة اعزاز المجاورة لعفرين: Bulletin Hebdomadaire d'Information، Alep، N°18 لمحافظة حلب، ٥ أيار ١٩٤٥(CADN-L-S، 1er vers، presse Et .rens، 2013)

٤٨- Bulletin Hebdomadaire d'Information، Afrine-N9، Afrine، 3 تشرين الأول ١٩٤٢، (CADN-L-S، 1er vers، presse Et .rens، 2023).علامة التعجب

هذه يشكل اعتبار مفاجئ بأن هناك، في الواقع، وفد فرنسي موجود في حلب. كبيان واقعي على الاصح، من الممكن ان نكون قد فهمناه كتعبير لنقد السلطات المحلية السورية، ومن الممكن كأشارة إضافية للفجوة العميقة المحسوسة من قبل سكان المنطقة بين العاصمة، حلب وكرداغ.

٤٩- Bulletin Hebdomadaire d'Information،Afrine،N9،Afrine،N 11، 13 اذار ١٩٤٣ (CADN،S-L،ler vers، rens.et presse، 2046)

٥٠- Patrick Ness، Short Stories Written from the Transjordan Force in the Second World War(York، 1991) الصفحة ٩. بالرغم من ان Ness أعلن بأن يكون منشوره القصير "قصص قصيرة"، كانت تُقرأ كحقيقة اكثر من خيال، بحسب تجربته مع ال TJFF.

٥١- بحسب ذكريات حج منان من شيخ معمو.

٥٢- شاهد على سبيل المثال رسالة من الجنرال Paul Beynetمن الفرنسيين الاحرار في الشرق الى René Massigli السفير الفرنسي للعلاقات الأجنبية في الجزائر، يناقش التجنيد المقترح لـ ١٠٠٠٠ " عمال اهليين" من قبل البريطانيين: يعود تاريخ الرسالة الى ٢٦ نيسان ١٩٤٤(CADN S-L، ler vers. Cabinet Politique، 770)

٥٣- رسالة في ٩ أيار ١٩٤٢[لم توقع تحت أي اسم، أرسلت من مكتب Catroux في بيروت]، الى Richard Gardiner Casey، وزير الدولة في القاهرة (CADN S-L، ler vers، Cabinet Politique،770).

٥٤-٥٥- شاهد Nacklie Elias Bou-Nacklie، Les Troupes Spéciales: “ Religious and Ethnic Recruitment، 1916-1946” الصحيفة الدوليةلدراسات الشرق الاوسط٢٥ (١٩٩٣)،٦٤٥-٦٦٠ و Nacklie Elias Bou-Nacklie، “ The 1941 Invasion of Syria and Lebanon: The Role of the Local Paramilitary”،دراسات الشرق الاوسط٣٠،٣ (١٩٩٤)، ٥١٢-٥٢٩ للتفاصيل حول القوات الخاصة ،على الدرك شاهد Hélèn Faisant de Champchesnel: “ Les gendarmeries pendant l'insurrection de mai 1945 en Syrie، ” Revue de la gendarmerie nationale (hors série) n 3 (2002) (منقول بحسب النسخة المأخوذة من الانترنت على الموقع :ttp //www.servicehistorique.sga.defense.gouv.fr/04histoire/articles/gendarmerie/histoire/champ/pa1.gtm: 1-2[تم الوصول اليه في ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٨].

٥٦- رسالة سرية من T.J.Cash(مكتب الحرب) الى T.Padmore(الخزينة)، في ١٢حزيران ١٩٤٢(TNA، PRO WO 32/10167-29A)

٥٧- رسالة على مقابلة الرماح-Catroux في ٢٣كانون الأول ١٩٤٢ (CADN،S-L، ler vers،c.p.770).

٥٨- هذه المقترحات تم نقاشها بشكل جدلي بين الإدارة البريطانية، الاعتراضات للمجندين الاكراد والارمنيين(التي تثير النزاعات مع الفرنسيين الاحرار) عبر عنه المكتب الأجنبي، بينما أشار الضباط العسكريين بأن" الارمنيون كعرق ليسوا مناسبين للأدوار المقترحة"

(شاهد المذكرة السرية في٥ اذار ١٩٤٢، من Lt.-Col.Buterfield الى مهمة الرماح، الامر التاسع والعاشر من الجيش، بالإضافة للمذكرة السرية من W.R.Bedginton الى الآمر في الجيش البريطاني الرئيسي التاسع، في ٢٨ شباط ١٩٤٢، كلاهما S-L،CADN، ler vers.، c.p.،770).

٥٩- المذكرة السرية في ٥ اذار ١٩٤٢ من Lt.-Col. Butterfield الى مهمة الرماح، الامر التاسع والعاشر للجيش (S-L،CADN، ler vers.،c.p.،770).

٦٠- ٦٠ رسالة من Monckton (القاهرة) الى Catroux(بيروت) في ٢٤ نيسان ١٩٤٢، رسالة عن مقابلة الرماح-Catroux في ٢٣كانون الأول ١٩٤٢(CADN، ler vers.، c.p.، 770).

٦١- الجنرال Collet Francom(بيروت)الى الجنرال Wilson(HQ TJFF، Zarka)و في ٢٧ أيار ١٩٤٢، برقية من Francom Beyrouth الى Francom London، n.d. [من المجتمل في أيار ١٩٤٣] (CADN، S-L، ler vers.، c.p.، 770).

٦٢- لاحظ de service الموقعة من المندوب الفرنسي الجنرال Jean Helleu في بيروت في ١٣ نيسان ١٩٤٣ (CADN، S-L، ler vers.، c.p.، 770).

٦٣- قائمة من ١٨ سوري جندتهم السلطات البريطانية العسكرية في فلسطين ، [كانون الثاني ١٩٤٢] ، (CADN، S-L، ler vers.، c.p.، 770)

٦٤- رسالة من Fauqenot، مساعد من الفرنسيين الاحرارلمحافظ حلب، الى Lt. Colonel Summerhayes، ضابط سياسي بريطاني في حلب في ١٤ شباط ١٩٤٢(CADN، S-L، .ler vers، .c.p، 770)

٦٥- Bulletin d'Information من Services Spéciaux at Afrin في ١ تشرين الثاني ١٩٤٢، قارن وأيضا تقرير من الكابتن François، Poste de Services Spéciaux Azaz في ١٤ شباط١٩٤٢ (كلاهما CADN، S-L، .ler vers، .c.p، 770)

٦٦- لاحظ الفرنسيون ذلك بشك، Delegation d'Alep، Bulletin Hebdomadaire d'Information N° 40 من الفترة من ٢٦ تشرين الأول الى ١ تشرين الثاني١٩٤٢، CADN، S-L، .ler vers، rens. Et presse، 1997. لا توجد أي إشارة عن سبب وكيفية قيام الجنود بالانضمام الى القوات البريطانية في فلسطين، من الممكن، بأنهم اصبحوا جزء من القوات الفرنسية الخاصة وكانوا من بين الهاربين الذين عبروا الى فلسطين قبل غزو التحالف لسوريا، قارن Bou-Nacklie،"The 1941 Invasion of Syria and Lebanon"" الصفحة.٥١٤

٦٧- نقل ذلك من عدد من المجندين من كرداغ، الذين عادوا الى قراهم بأذن مغادرة واستجوبتهم الخدمات الأمنية الفرنسية، شاهد Liste de deux ressortissants syriens enrolés par les autorités militaries britanniques de Palestine، Feb. 1942 { n.d. { و تقارير من الكابتن François، Poste de Services Spéciaux Azaz في ١٤و ١٧ شباط١٩٤٢ (جميعهمCADN، S-L، .ler vers، .c.p، 770).

٦٨- في نفس المكان.

٦٩- مقابلة في شيخ معمو في ٤ شباط٢٠٠٦. روى قرويون اخرون يتذكرون خدمة خليل مع البريطانيين تطوعه بقليل من العفوية.

٧٠- وصف تجربة خليل خلال فترة الحرب تعتمد على تقاريره الخاصة، التواريخ يجب ان تعتبر، مرة أخرى، كتقريب مؤقت. لم استطع ان اربط التفاصيل التي يتذكرها خليل مع الوثائق الارشيفية فيما خص مصيره. لتحليل تفصيلي اكثر لقصته في حالة التجنيد الأوربي لجنود المشرق اثناء الحرب العالمية الثاني، شاهد Katharina Lange، "Proud fighters، World War Blind Men: Experiences of Combatants from the Arab East in" Translocality: An Approach to Globalising Phenomena، ed. Ulrike Freitag and Achim von Oppen (Leiden)، (2010، 83-109 .pp.

٧١- Bulletin d'Information، Afrine، N 21، 27 أيار ١٩٤٤ (CADN، S-L، ler vers.، rens. Et presse، 2087)

٧٢- المجندون كانوا يسلكون طريق عفرين-حلب-دمشق-سافت. شاهد قائمة من سوريين اثنين يخدمون حاليا في الجيش البريطاني في فلسطين، الحق برسالة من M. Fauquenot، Delégué Adjoint pour Mohafaza Alep، الى Lt.-Col. Summerhayes،ضابط سياسي فرنسي في حلب في ١٩شباط١٩٤٢(CADN، Syrie-Liban، ler vers، c.p.، 770).

٧٣- عبدو، الحياة السياسية في جبل الاكراد.

٧٤-شاهد Vitalis و "Heydemann War"، Keynesianism and Colonialism" خاصة الصفحات ١٣٢-١٣٣، من أجل النقاش بأنّ الاليات التنظيمية التي قدمها التحالف اثناء الحرب العالمية الثانية شكلت وبشكل قاطع التطور الاقتصادي بعد الحرب في الشرق الأوسط.

الفيدرالية وآفاق حلول المكونات السورية

فاروق حجي مصطفى

(مخرجات ورشة عمل حول "الفيدراليّة أو النظام السياسي اللائق لسوريا المستقبل الذي أقامته "برجاف" بين يومي ١١/١٠ حزيران ٢٠١٦ في تركيا بحضور نخبّة من المحاميين والاطباء ونشطاء المجتمع المدني وقادة الأحزاب تحت عنوان: الفيدرالية، الأنظمة السياسيّة، أو أي نظام سياسي لائق يصلح لسوريا مستقبلاً).

مـقـدمــة:

لم تبدأ مطالب الكُرد بالفيدرالية منذ أن أعلن عنها مجلس سوريا الديمقراطي في ١٧ آذار ٢٠١٦، وحتى في ٢٠١٢ في هولير، فمنذ ولادة أول حزب كُردي في سورية يسعى الكُرد إلى شراكة سياسيّة إلى جانب مكونات الشعب السوري وكانت الأحزاب الكردية تلخص مطالبها في أدبياتها الحزبيّة بـ"حقوق سياسيّة وثقافية واجتماعية" وهناك

حزب أو حزبان أضافا إلى هذه "الكليشة" الحقوقية مطالب "اقتصادية" أي حقوق اقتصادية، بيد أنه سرعان ما أزيل هذا المطلب في "كليشة" الأحزاب الخاصة بالحقوق وبقيت المطالب بالحقوق "السياسية الثقافية والاجتماعيّة"، وطُرحت فكرة حق تقرير المصير في فترة زمنية معينة. ما يعني أنّ الكُرد لم يتنازلوا يوماً عن حقوقهم السياسيّة التي تعني المشاركة في النظام السياسي وسلطاته دون تمييز. فضلاً عن الحقوقية الثقافية التي هي حامل الهمّ القومي ببعدها الهويّاتي/الثقافي، ولا عن حقوقهم الاجتماعية التي تمحورت حول الفولكلور، كالاحتفال بالأعياد، وحريّة التواصل المجتمعي على أن يكون هذا الحيّز حافظاً وضماناً للامتداد الاجتماعي مع الكُرد في الأقسام الأخرى، وعبر نافذة صلات القرابة والمصاهرة، ورابطة الدم.

تجدر الإشارة إلى أن البرامج الحزبيّة في السنوات الأخيرة حاولت تفكيك تلك الحقوق، وبلور بعضها صيغة الإدارة الذاتية، ولكن لا كما نراها الآن وإنما بصيغة تعامل الدولة مع إدارة واحدة للمناطق الكُردية.

بيد أنّه في عام ٢٠١٢ توافقت القوى الكُرديّة في هولير(أربيل) كُردستان العراق كلياً، وجرى ذلك تحت رعاية رئيس إقليم كُردستان العراق مسعود البارزاني، حول صيغة الفيدراليّة على أنّ تعدَّ الهيئة الكُردية العليا أن الفيدرالية هي تحقيق الاطمئنان الكُردي ضمن الدولة السوريّة، ولعل وثيقة العهد التي وقعت بين المجلس الكُردي والمجلس الوطني السوريّ ثم الائتلاف هي وثيقة يمكن بلورتها كضمان للوصول إلى بناء دولة لكل مواطنيها معززةً الشراكة السياسيّة ورفع سويّة المتضررين من سياسات البعث إلى الحالة الطبيعية، ورفع الغبن وإزالة آثار النظام السابق يعدُّ خطوة على طريق بناء الثقة بين المكونات السياسية تمهيداً لصياغة العقد الاجتماعي.

ولم ينس الحضور أنّ الفيدرالية مطلب أساسي لا لأنه يحقق الخطوة الأولى نحو الاستقلال بل لأنه يحقق شرط التكافؤ على كل الأصعدة بين السوريين، ولأن مطلب الاستقلال يحققه العامل الجيوبوليتكية أصلاً، ثم إنّ الفيدراليّات لا تمهد للانفصال إنما تجمع المكونات لأنها ليست "كونفدرالية" بمعنى توقيع الاتفاق بين كيانين منفصلين إنما في الواقع السوري يمكن اتفاق بين السوريين على صياغة عقد اجتماعي سوري يبرز وجه سورية السياسيّ بـ "الاتحادي"

وما إن أعلنت فكرة "الفيدرالية" في مؤتمر رميلان في ١٧ آذار ٢٠١٦ حتى خرجت أوساط واسعة من المعارضة والنظام والقوى العسكرية الإسلامية. بأصواتها العالية التي تظهر البون الشاسع بين القوى السوريّة حول النظام السياسيّ لسوريا المستقبل. وهناك أمور ملتبسة بين القوى الكُردية حول الفيدرالية. المجلس الكُردي يقول:

إن الفيدرالية التي تحقق الحقوق هي الفيدرالية القومية، في حين مجلس سوريا الديمقراطية طرح فكرة فيدرالية "شمال سوريا –روجافا" ما يوحي بالفيدرالية الجغرافية دون هويّة قومية محددة. هذا التباس دفع بنا نحن "برجاف للحريّات والاعلام" أن نعمل على بلورة رؤية كُردية واضحة تجاه الفيدرالية أو مستقبل سوريا، ونظامها السياسيّ متأملين أن نبلور الرؤى الكُردية مستقبلاً على مستوى الوطني العام.

ملخص:

شكلت قضية النظام السياسي لمستقبل سورية قضيّة خلافية بامتياز بين الأطياف المعارضة السورية المختلفة وبمشارب عدة، قومية مذهبية، ولكن الكل اتفق على نظام إداري لا مركزي، وبقي الكُرد وحدهم في حالة تحفظ لأنهم يرون مستقبلهم في ظل نظام سياسيّ اتحادي/ فيدرالي؛ والغريب أن النظام والمعارضة اتفقا بمقاربتهما للمسألة الكردية،

ولطريقة حلها، بدءاً من كلام رئيس النظام بشار الأسد(١) وانتهاء بخطاب رموز المعارضة كلها(٢).

في ورشتنا تطرقنا بالجدية للحديث عن كل الأنظمة السياسيّة، وأهمها الشكل المركزيّ التي حكم السوريين طوال خمسة عقود، وتبين أن كل المساهمين والمشاركين في الورشة رفضوا فكرة "مركزيّة الحكم" ولعل السبب يعود إلى أمرين:

- شكل ممارسة النظام طوال تلك العقود، إذ أمسك الحكم بيده كل مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية فالقرار السياسي بيده واضطهاد الكل بيده، واحتكر، حتى المشاعر الوطنية ما شكل حساسية خاصة، لدى غالبية السوريين، وعقداً كثيرة تجاه الحكم المركزي المفرط.

-النظام المركزيّ لا يحقق شروط العدالة في توزيع ثروات البلاد، ولا توزيع الصلاحيات بين مركز العاصمة والأطراف فضلاً عن تحقيق العدالة الاجتماعية التي لم يحققها النظام المركزي السابق بل عمل على تهميش الأطراف لصالح المركز، كما همَّش المسائل السياسية كالشراكة وغيرها وبذلك سدَّ الطريق أمام بلورة مناخ لنقل الدولة من حال معتقل لدى قطب معين إلى دولة المؤسسات وبالتالي خلف ظروف مناسب لانتعاش الحيز الوسط أو المجتمع المدني.

الأمر لا يختلف كثيراً عند مفهوم اللامركزيّة الإدارية، فالحضور لم يفرّقوا كثيراً بين اللامركزية الإداريّة والنظام المركزيّ، وليس أمراً مستغرباً عندما نرى النظام لا يرفض ذكر اللامركزيّة الإدارية، حتى إنّه عدَّل دستور ٢٠١٢ مفهوم المركزيّة فزاد من صلاحيّات المجالس، مع الذكر بأنه في النظام المركزيّ يذكر دائماً مجالس أي مجالس: المحافظات أو المجالس المحليّة، إنما في النظام اللامركزيّ تتغيّر المفاهيم فيذكر المركز والأقاليم.

في اللامركزيّة الإدارية تزداد صلاحيّات المجالس المحليّة، بيد أن الأمر يبقى بيد المركز، لأن المركز هو، عادة، الذي يوصي باختيار الأعضاء، فضلاً عن المالية والموازنة وكيفية الصرف، ناهيك بأنّ المجالس لا تستطيع أن تتخذ قراراً يمس الناس ضمن دائرتها، لأنها لا تمتلك حق التشريع أو استصدار القوانين. وهي أي المجالس ليست برلماناً ولا توجد في المجالس دساتير محلية، فضلاً عن أن اللامركزية الإدارية لها دلالة الإدارية ما يعني قربها من المركزيّة أكثر من أنها لامركزية سياسية مثلاً. إذ لها دلالة مباشرة بالقانون الدستوري. واتفق الحضور على أنّ اللامركزيّة الإدارية لا تحل الشراكة السياسية بين المكونات المجتمعية والسياسيّة لكنها تعجز عن تدبير أمور مسألة القوميّات.

في حين أن الكلَّ أصروا على أنّ الفيدرالية هي الحل لسوريا وهي تحقق تطلعات السوريين، وترضيهم في إدارة ذاتهم دون التدخل في خصوصيات الطرف دون الآخر، كما أنّ الفيدرالية تؤسس على عقد أو اتفاق موقع بين الأطراف السياسيّة والقومية أو بين الولايات أو قطاع جغرافي لتعزيز مكانة الدولة وتعزيز دول الأقاليم في صياغة مستقبله تبعاً لقوانينها الخاصة متوافقاً مع قوانين الدولة العامة، ويفسح في المجال أمام المكونات على مختلف مشاربها لإدارة ذاتها مع ترك بعض من صلاحياتها للحكومة الوطنية (المركز) والمركزية الإدارية تأخذ جزءاً من القانون الدستوري، بينما اللامركزيّة الإدارية تستعين بالقانون الإداري. وهي كونفدرالية إذ إن كونفدرالية الاتحاد بين الدول أو الاتحاد بين كيانات ذات منشأ مختلف. الفيدرالية تؤسس للشراكة السياسية وتفسح في المجال أمام التوزيع العادل للثروات، وتحقق شروط المواطنة الحقة. فهي ليست تقسيماً جغرافياً إنما هي توزيع للصلاحيات بين المركز والأقاليم.

النظـام المـركـزيّ:

هو نظام يصدر كل الأمور والتعميمات والمراسيم وقرارات الصرف، وهو الذي يحدد ميزانيات الصرف، ويصدر القرارات الإدارية والسياسية من المركز، وهو النظام، وإن كان له إيجابياته، فإنّ سلبياته أكثر بكثير من إيجابياته. وفي سوريا كان النظام المركزيّ شديد الوطأة والسبب الرئيسي لانطلاق الثورة في ١٥ آذار ٢٠١٥، فامتلاك المركز للصلاحيات كلها أهله للسيطرة على كل مفاصل حياة السوريين، فحدث البون الشاسع بين المدن كمراكز وأطرافها، وغاب دور الطبقة المتوسطة، وقلل النظام من دور المؤسسات، وخلق عقبات للتأقلم مع النظام الإداري الحديث كـ "حوكمة" على سبيل المثال، ونتيجة لبقاء هذا النظام طويلاً أصبحت سوريا عاجزة عن اجراء التغييرات في نظامها الإداري فضلاً عنّ انّ النظام المركزيّ سد الطريق أمام تمتع المختلف معه بحقوقه على مستوى الإيديولوجي والقومي.

نوقشت في ورشة عملنا مختلف جوانب النظام العسكري الاستبدادي مطولاً، وتوصل الحضور، بعد الكثير من النقاشات المستفيضة، إلى نتيجة مفادها أنّض هذا النظام المركزيّ في سورية لا يمكن إصلاحه لأسباب عدة منها:

- النظام المركزي، بشكل عام، لا يلبي متطلبات أغلبية الأطراف ومتطلعاتها.

- لا يحقق الشرط التكافلي بين المركز والوحدات الإدارية، وبينه وبين المجالس الادارية.

- وجود التعدد القومي والطائفي.

- يسهم في صناعة الدكتاتورية داخل المركز، ويساهم في الفساد الإداري، ويزيد من الرشوة والمحسوبيات، ويدير صناع القرار المحلي بطريقة تنسجم مع رغباته ومصلحته.

- النظام المركزي يؤدي إلى الاختزال والاستبداد فهو اللسان الناطق وهو الآمر الناهي، وهو من يهضم حقوق الاطراف الأخرى كلها.

- وضع سوريا بعد الحرب ليس كقبلها، إذ يصعب استعادة المكونات كلها وجمعها وربطها في إدارة مركزية كما السابق.

حجج ودلائل تدحض أهمية النظام المركزيّ:

- النظام المركزي نظام قديم لا يوافق نظرتنا الحداثوية، ومع أنّ هناك مركزيّة حققت شروط الحداثة، ونظام الحكم فيها أفسح، في المجال، ليأخذ المواطن دوره وفرنسا مثال، إلا أنّ في سوريا الوضع مختلف بسبب غياب دور المؤسسات أصلاً وغياب الدستور الذي يمنح السوريين مثل تلك الحقوق.

- يؤدي الشكل الإداري المركزي القائم إلى أخذ قرارات خاطئة، عاجزة عن الإلمام أمور الأطراف الموجودة كافة.

- سوريا ليست فرنسا، ففرنسا مثلاً موجود فيها الشروط القانونية للمركزية، الشروط التي تضمن حقوق الشعب الفرنسي ويوجد أيضاً المؤسسات المدنية، فهي على نقيض تام مع المفاهيم الشرقية المسيطرة.

- المركزية مرفوضة لانخفاض الشعور بأهمية العمل. والتغير داخل النظام المركزي يواجه صعوبات جمة منها: غياب دور القيادات المحلية.

- المركزية تفرز حالات اتكالية كثيرة، ونتائجها وخيمة على العمل.. كذلك من أسباب رفض المركزية أنها لا تقبل التغيير ذهنياً، فالذهنية راكدة بطيئة التغيير.

- مع بداية تعزيز المركزيّة الشديدة في سوريا روّج منظِّرو البعث فكرة "ترييف المدن" ليسهل على النظام نفسه عزل البيئات الشعبية التي هي بيئات قابلة للتمرد، ولديها الاستعداد للتضحية والمغامرة، على عكس أبناء المدن الذين يتريثون عند القيام بأي تمرد.

-كثرة انتشار الذهنية العنصرية. إنَّ الانتماء الوطني ضعيف لدى الفئات الواسعة، بمعنى أنَّ معظم الأطراف كانوا يعانون غربة داخل وطنهم، أما بعض الأطراف الشرقية من البلاد فيعانون إشكالية الانتماء. وهناك من يرى نفسه عراقي أكثر مما هو سوري، فضلاً عن اتساع دائرة التهميش والإهمال، وعدم سيطرة أو لملمة هكذا موضوع كواجهة للنظام.

- النظام المركزي يهمش الأطراف، وتساهم المركزية في الإقصاء، وقد تبين خلال ستين عاماً من نظام الحكم المركزيّ، أنه لم يستطع التعبير عن إرادة مكونات الشعب، وفئاته فهو لم يمثل الجميع لاتصافه بفردية القرار، ولم يلب الرغبات كفئة حاكمة ما أثار الحساسية لدى الشعوب أو الفئات تجاه النظام المركزي.

ميزات النظام المركزي وإيجابياته:

- من إيجابيات النظام المركزي أنه متناسق ولديه سهولة في التنفيذ وسهولة في الرقابة، والدول المركزية منضبطة، بغض النظر عن دكتاتوريتها، وتصنف كأكثر الدول أماناً.

- إنها قادرة على توفير الاستقرار الاقتصادي، أي قادرة على مواجهة معظم الأزمات الاقتصادية والحد من البطالة، وتساهم في الدفاع والبحث العلمي، أي في العدالة الاقتصادي.

الثروات أو فرص الاقتصادية في النظام المركزي:

- لا يوزع الثروات على نحو عادل، ويظهر في النظام المركزي أقطاب تجارية مزدوجة الوظيفة الاقتصادية، تساهم في بلورة الهيمنة وحماية النظام المركزيّ وأقطاب الحكم.

- تضييق فرص العمل وتوجيه الأنظار كما لو أنّ العاصمة هي نافذة للفرص فقط. إضافة إلى أنَّ توزيع المعامل والمصانع لا يتحقق في النظام المركزيّ، فمثلاً لا يحق لأهل الجزيرة نسبة من موارد البترول! لكن هذا الأمر لا ينطبق على نبع الفيجة في دمشق، تطبق أي ليس دائماً تتوفر العدالة الاقتصادية في النظام المركزي.

- النظام المركزي مطوق بالقوانين والمراسيم التي تغلق الأبواب على كل الفرص الاقتصادية، وتحتكر السوق لدى فئات محددة داخلياً، والتجارة ما فوق الدولة، خارجيّاً.

ملحوظة من المشاركين:

- إنّ النظام المركزي والفيدرالي ناجح تماماً لدى الغرب وهو مختلف أو فاشل تماماً في الشرق! وأنظمة الديكتاتورية في الشرق ناجح بامتياز، واستطرد أحد المشاركين بالقول:

"أن يتم تطبيق قوانين المركزية تطبيقاً تاماً فلا للحاجة إلى الفيدرالية نظراً لإيجابياته".

- إن جئنا إلى دول العالم غير دول الأمة فلا توجد دول ديموقراطية، وإن غاب الإحساس بالصالح المشترك في سورية فالمركزية ستبرز بوجهها الكارثي، دولة الأمة غائبة في الشرق بشكل كلي.

اللامركزية الادارية:

تعريفاً: هو النظام الذي يوزع الصلاحيات والوظائف الإدارية بين المركز والمجالس المحليّة مع الحفاظ على الصلاحيات بنسبة الأكبر للمركز، فهو النظام لا يحقق توزيع الوظائف كما يجب لكنه يسهم في حل جزء من المعوقات الإداريّة. هي خطوة متقدمة للعدالة لكنها ليست خطوة كافية، إذ يبقى القرار النهائي بيد المركز خصوصاً فيما يتعلق بتعيين رؤساء المجالس والوظائف عموماً، وكذلك، فلا تخويل كامل للمجالس المحلية أو الأقاليم في مجالي الصرف وتلبية احتياجات الأقاليم، فهو النظام الذي لا يشبه اللامركزية السياسيّة. والفرق بينهما أنّ اللامركزية الإدارية هي جزء من العلوم الإدارية بينما اللامركزية السياسية تخص القانون الدستوري. ويتفق النظام والمعارضة على اللامركزية الإدارية بينما يرفضها الكُرد!

لماذا لا نرغب باللامركزيّة الإداريّة؟

يرفض الكُرد وربما معهم بعض السوريين أيضاً نظام اللامركزيّة الإدارية بسبب:

- لا تحل المسائل السياسية العالقة كالشراكة السياسيّة، كما أنّ اللامركزيّة الإدارية تحل بعض مشاكل الإدارة كالسرعة في اتخاذ القرار الإداري.. ولا علاقة لهذا النظام بحل مسألة القوميّات.

- يقتصر عملها في إطار مجالس المحافظات، بمعنى أن نظام الحكم يعتمد على المجالس المحلية المركزية، والاختيارية فقط. ويعطي جزءاً

من سلطته الى السلطات المحلية. حتى إنّ المحافظات أو (الولايات) غير مستقلة، وهي مخولة في الصرف بمعنى آخر، إذ لا علاقة لها بجباية الأموال وكيفية التصرف بالموارد. يشبه نظام البلديات هيئة "إدارة خدمية".

-صحيح أنّ هناك نموذجين وهو المركزي واللامركزيّ وليس اللامركزيّة الإدارية هو أمر لا يختلف كثيراً بالنظام المركزيّ وهو غير قريب من المركزية السياسية (الفيدرالية) نوعية الأنظمة تُعرَفْ من خلال مقاربتها للشراكة السياسيّة، وشكل تعاطيها مع المسائل السياسيّة، لأن قضايا الناس لا تختزل بالأمور الإدارية فحسب إنما في أداء دور المواطن الطبيعي أي التمتع والممارسة بالحقوق السياسيّة.

- الأقاليم لا تستطيع جباية الأموال، والفرقاء السياسيين يطرحون اللامركزيّة الإداريّة كنوع من المزاودة السياسية. لذلك لا يجب الحديث عنها في المفاوضات السياسيّة بين الفرقاء كونها لا علاقة له بالسياسة.

اللامركزيّة الإدارية من وجهة نظر سياسيّة:

-الأقاليم لا تملك القرار السياسي بعكس الفيدرالية، فلا برلمان لديها ولا وزراء، والمجالس غير مستقلة ولا تستطيع أن تشرِّع القوانين، ولا تعبير سيادي للحكم المحلي والأقاليم. فهي بالمختصر لا تمتلك سلطات تشريعية ولا تنفيذية.

- لا تعبر عن الحقوق السياسية للمكوِّنات السياسية والمجتمعيّة.

- تصنف من ضمن العلوم الإدارية وليس لها علاقة بالقانون الدستوري.

- تؤدي لبقاء ديكتاتورية المركز، وتوفر له المناخ المناسب.. ولا تتمتع بالمزايا القومية وهي على عكس أو تناقض مع مصالح القوميات أو الفئات المتنوعة.

لماذا نرفض النموذج الذي طرحته المعارضة؟

- لأنها لا تحل مسألة المكونات ذات الخلفيات المجتمعية (قومية وسياسيّة)، وتطرح فقط للالتفاف حول اللامركزيّة سياسية، كما أنها تفتح مسار لبلورة نظرة المعارضة للنظام المقبل بخلق ديكتاتورية الأغلبية وهضم حقوق الأقلية. بمعنى آخر. إنّ اللامركزية الإدارية نوع من الالتفاف اللفظي على المشروع الفيدرالي لإجهاضه.

الفيـدراليـة:

تعريف: هي نظام سياسي يتأسس على العقد أو اتفاق موقع بين الأطراف السياسيّة والقومية أو بين الولايات أو مع قطاع جغرافي معين لتعزيز مكانة الدولة، وتعزيز دول الأقاليم في صياغة مستقبله تبعاً لقوانينها الخاصة متوافقاً مع قوانين الدولة العامة، ويفسح المجال أمام المكونات على مختلف مشاربها لإدارة ذاتها مع ترك بعض من صلاحياتها للحكومة الوطنية المركزية. وهي ليست اللامركزية الإدارية التي تأخذ جزءاً من القانون الدستوري. بينما اللامركزيّة الإدارية من القانون الإداري ولا هي كونفدرالية اذ إنّ كونفدرالية الاتحاد بين الدول او الاتحاد بين كيانات ذات منشأ مختلف. الفيدرالية تؤسس للشراكة السياسية وتفسح في المجال أمام التوزيع العادل للثروات وتحقق شراكة المواطنة الحقة. هي ليست تقسيم جغرافي بل هي شكل من أشكال توزيع الصلاحيات بين المركز والأقاليم.

سمات:

- اتحاد مكونات.

- اللامركزية المطلقة قريبة للفيدرالية إذ بإمكان البرلمان المحلي أن يشرعن ويصدق على دستور محلي.

- استقلالية في الصرف ولها ميزانية خاصة ويحق للقيادة المحلية التخويل بما ينسجم مع احتياجات الأقاليم.

- ليس للفيدرالية قالب محدد فلا توجد فيدرالية لدولة ما شبه لدولة أخرى، وبهذا المعنى، ينسج العقد الفيدرالي تبعاً للوضع الجغرافي والتنوع السكاني والثقافي والانتماءات العرقيّة.

ما الغاية من المطالبة بالفيدرالية؟

- تعزيز مكانة الدولة، وتوحيد مكوناتها من خلال عقد يُبرم بين المكونات، وخلق أرضية ومقومات كاملة للتعايش المشترك. فالدولة المركزية عجزت عن إيجاد حلول لقضايا ومشاكل سياسية وقومية. واللامركزية الإدارية لا تحقق تطلعات المكونات كلها، فضلاً عن أن الدولة المدنية تعني دولة ذات آفاق منفتحة، وليس شرطاً أن تحل المسائل القومية. والعلمانية هي فصل بين السلطات بمعنى تحديد وظائف المؤسسات، ولا تدخل في هوية الدولة ولا شعارها ولا نشيدها لذلك فإن الفيدرالية هي التي تؤسس دولة على صيغة جديدة لكل المكونات ذات المشارب المختلفة، وتشارك في صياغة الدستور وتأسيس شعار الدولة ونشيدها على أن تمثل الجميع وتعبّر عنهم.

- دولة المواطنة الحقة أصعب بكثير من الفيدرالية، إذ هي تدخل جوانب دينية بالموضوع، والأحداث الحاصلة تمنع من قيام هكذا دولة، لذلك ربما الدولة الاتحادية أو الفيدرالية تصبح مدخلاً لبناء دولة المواطنة

الحقّة. فضلاً عن أن سوريا بأمس الحاجة للفيدرالية لحل أزمتها، وحل مسألة تعدد القوميّات والأقليات وكذلك لحل المشاكل بين هوامش المدن (الأطراف) والمدن المركزية التي كانت تحتكر كل الامتيازات.

متى تطالب بالفيدرالية وشكلها؟

- توجد قوميتان أو أكثر واتساع رقعة الدولة، والدولة الفاشلة بسبب الحرب، ويوجد تعدد ثقافي وديني ومذهبي، وهذا ما يتطابق مع الحال السورية.

- اتحاد بين مجموعة أقاليم أو عدة أقاليم كـ "الولايات المتحدة الأمريكية". إذ إن الولايات المتحدة انتقلت من الكونفدرالية إلى الفيدرالية بعد أن شهدت مجموعة من المستعمرات والنزاعات.

- تنظيم السلطات العامة المحلية والهيئات المتخصصة، وتسيير المرافق العامة المحلية.

- هي شكل من أشكال الحكم بين المركز والأقاليم.

- تراعي خصوصيات كل إقليم.

- توزيع الصلاحيات بين المركز والأقاليم كإقليم كُردستان وبغداد.

- حل مشاكل القوميات ومشاكل المجتمعات المتعددة.

- التوليف والتوفيق بين الاستقلال والاندماج. وأيضا التوليف والتوفيق بين التكامل والتجزئة.. التوليف والتوفيق بين القومية وأخرى.

لماذا الفيدرالية؟

- الحد من الديكتاتورية.

- لئلا تحل القضية الكُردية والقضايا الأخرى إلا عبر الفيدرالية خاصة بعد هذه الحرب التي مزقت البلاد وأحدثت شرخاً بين مجتمعاتنا.

- لعجز النظام المركزي على حل النزاعات.

-لأنّ الفيدرالية ستحقق شروط إعادة بناء الثقة بين المكونات السورية المختلفة وتحقق الاستقرار والانتعاش الاقتصادي وتوفر سبل التنمية لظهور مصالح جديدة.

- الفيدرالية هي ترسيخ للديموقراطية المطلوبة لتعزيز اتحادية الدولة.

هل نحن الكرد بحاجة إلى الفيدرالية؟

- واقع سورية مع الأحداث مقسم أو شبه مقسم، ومن هنا فإن قيام الفيدرالية هو قطع الطريق على التقسيم، وعلى المركز من الاستيلاء على مفاصل الحياة، وهي تفسح في المجال للكرد ولغيرهم لإثبات شخصيتاهم وتنميتها في إطار الدولة السورية. إنَّ التنوع العرقي السائد في سوريا يفرض على السوريين التعاطي معه بواقعية وموضوعية، وليأخذ كل مكون دوره الأساسي والحقيقي على الأرض.

- الفيدرالية تناسب دولة كسوريا متعددة القوميات.

- القضية الكُردية قضية معلقة منذ نحو مئة عام، وسبق لها، في بداية العشرينيات، أن طرحت قضيتهم عبر الادارة الذاتية لكن سرعان من تملصت فرنسا من هذا الوعد.

- هي كحماية للمكونات، وهي شكل من اشكال العقد الاجتماعي تراعي حقوقهم ومتطلباتهم بالمختصر هي كفالة، وضمان لهم ككُرد.

الفيدرالية اقتصادياً (الفيدرالية المالية)

مما لا ريب فيه أنَّ أحد أهم العناصر التي يتوقف عليها نجاح النظام الفيدرالي هو توفر الموارد الاقتصادية اللازمة لتمويل الحكومة الفيدرالية، وحكومات الأقاليم الفيدرالية، إذ ليس مهماً فقط أن تكون

الحكومة الفيدرالية قادرة على تمويل نفسها، بل لا بد من أن تكون حكومات الأقاليم الفيدرالية قادرة على فعل الشيء ذاته. والسؤال الذي يفترض طرحه هو: هل هناك مصادر مالية كافية لدعم حكومات الأقاليم الفيدرالية؟ فإذا لم تكن هناك مصادر كافية لهذا الغرض يصبح المبدأ الفيدرالي واستقلالية الإقليم السياسية النسبية مجرد كلام.

وفي هذا السياق يطرح مفهوم الفيدرالية المالية التي عرفها الاقتصادي الأمريكي ريتشارد ماسكريف: RICHARD MUSGRAVE بأنَّها نظام يسمح للمجموعات المختلفة من الناس الذين يعيشون في أقاليم مختلفة بالتعبير عن تفضيلاتهم المختلفة فيما يتعلق بالخدمات العامة، وهذا يقود بشكل محتّم إلى مستويات مختلفة من الضرائب والخدمات العامة.

ولا بد هنا من التمييز بين الفيدرالية المالية واللامركزية الإدارية. تتواجد اللامركزية المالية عندما تمتلك حكومة إقليمية سلطة ما، ممنوحة لها بموجب دستور أو قانون خاص، كأن تحصل بعض الضرائب، وتقوم بعمليات الإنفاق بموجب معايير قانونية واضحة. كما في حالات الأرجنتين وأستراليا والبرازيل وكندا والهند وألمانيا ونيجيريا وسويسرا والولايات المتحدة. وتوجد اللامركزية الإدارية عندما تحصل معظم الضرائب مركزياً، وتخصص الأموال لهيئات لامركزية تقوم بعمليات الإنفاق تحت رقابة السلطة المركزية وتوجيهاتها. مثل إيطاليا.

والفيدرالية تطرح نفسها كشكل من الإدارة الاقتصادية يحقق أعلى مستوى من الكفاءة في تقديم السلع العامة. أي تقديم السلع بأقل تكلفة وأعلى جودة. ومبررات الكفاءة الاقتصادية في الفيدرالية المالية هي:

***مبرر Oates** يستند إلى فكرة أنَّ الخصائص المكانية للسلعة العامة مختلفة. بعضها مثل الدفاع، تفيد البلد ككل. وبعضها، مثل نظم النقل

المحلي أو خدمات الغابات، تفيد مناطق بعينها. وبعضا قد تحصر ببلدة محددة مثل النظافة. كذلك فإن لكل إقليم تفضيلات خاصة للسلع العامة. لذلك فإن عرض السلع العامة يجب أن يتوافق مع المتطلبات المختلفة للجماعات المختلفة. قد تتجاهل الحكومات المركزية هذه الخصائص المكانية أو لا تمتلك المعلومات الكافية عنها، فتعرض سلة موحدة للسلع العامة للمناطق كلها، وفق حجم موحد للجميع، ما يعني أنها لا تقدم السلة المثالية لكل المواطنين. عندما يحدد الاقليم مستوى تقديم كل سلعة عامة فإنه يحدد بدقة الأفراد الذين يستهلكون تلك السلعة ويكون هناك تصور مثالي في تقديم السلعة العامة.

***نظرية تايبوت،** من منظور تايبوت فإنَّ عالماً غير مركزي، وحكومات متنافسة، يسمح لسوق يتحرك الناس فيها لاختيار السلع المناسبة لهم، والخدمات العامة التي تلبي حاجاتهم بأفضل شكل كما يفعل الافراد في السوق الخاصة. في السوق الخاصة تتوفر الحوافز للموردين لكي ينتجوا سلعهم، ويقدموا خدماتهم بأقل كلفة وبدرجة عالية من الكفاءة. إذ يقدمون السلع الأكثر رغبة لدى المستهلك، كذلك يكون الأمر مع ضغط تسوق الأفراد، ومن خلال الخروج وإعادة التخصيص، تجبر الحكومة على الكفاءة في تقديم السلع العامة. ووفقاً لهذه الرؤية يجب أن يكون تقديم السلع العامة من قبل الأقاليم، باستثناء حالة وجود اقتصاديات واسعة الحجم أو الاقتصاديات الانتشارية بين الأقاليم. عندما تكون هناك آثار انتشارية قد تتجاهل الحكومة الإقليمية التكاليف أو المنافع الاقتصادية تلك. وفي هذه الحالة يجب النظر للأمر مركزياً.

***وهناك ميزة أخرى** في اللامركزية أنها تسمح بالتجريب في تقديم المخرجات. إذ عندما يكون تقديم السلعة العامة (التعليم مثلاً) مسؤولية السلطة الإقليمية، وهي حرة في تقديمها بالطريقة التي تراها مناسبة،

ستكتشف بعض الأقاليم طرقاً أفضل لتقديم السلعة وستقلد بقية الأقاليم الإقليم الناجح.

***وهناك حجة أخرى** لمصلحة اللامركزية، إذ هي تشدد على الأفراد المسؤولين عن نتائج أعمالهم، والذين يمتلكون حقوق ملكية عن النتائج، يحتمل أن يكون لديهم حافزاً على الأداء الأفضل. لذلك عندما يكون المسؤولون المحليون مسؤولين مباشرة عن تقديم السلع العامة، يسألون عن الفشل، ويكافؤون على النجاح، وبذلك تكون لديهم مصلحة أكبر في النجاح، وفي مثل هذه الحالات قد تولد في المجتمع معاني خاصة للفخر بالنجاح في تقديم السلع العامة. كذلك، عندما تتحمل السلطة المحلية تكلفة تقديم السلع العامة، يمكن أن تكون أكثر كفاءة في التكلفة. فالمساءلة تجلب المسؤولية بالضرورة.

***يعدُّ القطاع العام** الكبير مبدداً للموارد، وغير كفء، وعلى ذلك فإن الكثيرين عدُّوا اللامركزية أمراً مرغوباً فهي تعني قطاع عام أصغر، وكفاءة اقتصادية أكبر.

وأبرز التحديات للفيدرالية المالية هي:

- عدم كفاية المعلومات وحوافز الحكومة

-الفساد: (أ-انخفاض مستوى البيروقراطية المحلية. بـ - تخلف نظم إدارة الانفاق العام..)

بمثابة التوصيّة:

- يجب مخاطبة أطراف المعارضة كافة، لا المعارضة العربية أو أيَّ شخص يمثل فئة محددة من طرف آخر، ووضعها في صورة أنّ لدى الكرد تطلع لنظام لامركزي سياسيّ كونهم أصحاب قضية سياسيّة وقومية وأن اللامركزيّة الإدارية لا تحل ٧٥ بالمائة من مشاكلهم.

- على المجلس الوطني الكُردي، والأحزاب الكُردية والإدارة الاتفاق على رؤية واضحة تجاه الفيدرالية، وعلى تقديم شرح لهذا النموذج وتعليل ضرورته، فالمجلس الكُردي والـ "ب ي د" لا يملكان، حتى الآن، مشروعاً كاملاً وواضحاً ومقنعاً عن الفيدرالية.

- على الأطراف السوريّة بلورة الثقة فيما بينها، فغياب الثقة هو أحد الأسباب الحقيقيّة لهذه السجالات التي خرجت من إطارها الطبيعي وتحوّلت إلى فوضى شعبوية وخطاب غير مسؤول، وغلبت الديماغوجية والتحاليل المغلوطة في خطاب طرف من الاطراف.

- الدولة العلمانية مطلب مشروع ومحق، وهي لا تتناقض مع مفهوم الدولة الاتحاديّة، ويجب أن تطرح كل فئة من المعارضة نظرتها الحقيقية منها مثلاً، فالإخوان المسلمون مثلاً يعرفونها بالدولة المدنية!

- التوصل إلى رؤية واضحة بين الأطراف السورية لا ترتبط بمسألة سقوط النظام. رؤية تزيح الظل عن المفردات والمصطلحات.

- لوحظ أنَّ هناك قراءات سطحية بالنسبة للمطالب، وهناك استحقاقات أيضاً، وثمة غياب للتشخيص الموضوعي وعدم الاقرار بالحقيقة، والتهرب من كل ما يضعنا أمام التعاطي المسؤول مع خطابنا ومع استحقاقاتنا فالأطراف السياسية مدعوة للتعامل الجدي مع هذه المسألة.

- يفترض وجود منصة كُردية تبين دور المجتمع المدني، وعلى دعاته أن يكونوا قادرين على تجاذب الأطراف كافة إلى المنصة واستخلاص رؤى واضحة ومنسقة وموحدة.

- يُطلب من الأحزاب والقوى الفاعلة على دراسة الواقع السوري والكُردي والجماعات الأخرى أن ترى أي نوع من الفيدرالية يليق

بسوريا؟ هل هي جغرافية أم قوميّة أم فيدرالية المحافظات أو الولايات؟!

-ستنظم "وورك شوب" أخرى بعد العيد للحديث عن السلطات الفيدرالية بين المركز والأقاليم.

فاروق حجي مصطفى

www.bercav.com برجاف للحريات والإعلام

(١) رد بشار الأسد على سؤال صحفي روسي حول الفيدرالية، وتقسيم سوريا فقال:

من ناحية الجغرافيا، فإن سورية صغيرة جداً كي يكون فيها فيدرالية! ربما هي أصغر من معظم الجمهوريات الموجودة في روسيا من الناحية الاجتماعية، الفيدرالية بحاجة لمكوّنات اجتماعية قد لا تتمكّن من العيش بعضها مع بعض، وهذا ليس موجود في التاريخ السوري. فالمبدأ الأساسي، لا أعتقد، بأن سورية مهيأة للفيدرالية، لا توجد عوامل طبيعية لكي يكون هناك فيدرالية. طبعاً، بالمحصلة، نحن كدولة نقول:

إن ما يوافق عليه الشعب نوافق عليه. موضوع الفيدرالية مرتبط بالدستور، والدستور بحاجة لموافقة شعبية. ولكن هناك مفهوم، بحاجة إلى تصحيح، بالنسبة للفيدرالية الكردية. فمعظم الأكراد يريدون أن يعيشوا في ظلّ سورية موحّدة، بنظام مركزي بالمعنى السياسي وليس الفيدرالي، فعلينا ألا نخلط بين بعض الأكراد الذين يريدون النظام الفيدرالي وكل الأكراد. وهناك ربما مكوّنات أخرى غير كردية، صغيرة بالحجم جداً، تسعى لهذا الشيء أيضاً. أما فكرة أن يكون هناك فيدرالية فهي ليست طرحاً عاماً في سورية، لذلك لا أعتقد بأن هذا

الطرح، في حال طُرح على التصويت، سيحظى بموافقة الشعب السوري. (سبوتنك آذار ٢٠١٦)

(٢) قدري جميل: فشلنا في محاولة توحيد صفوف المعارضة، والفيدرالية غير مقبولة.

أعلن قدري جميل، المعارض الموالي لبشار الأسد، وأحد قادة "جبهة التغيير والتحرير" المعارضة عن "فشل المعارضة السورية في التوصل إلى اتفاق حول توحيد صفوفها". وقال جميل في مؤتمر صحفي في وكالة "روسيا سيفودنيا" في موسكو يوم الاثنين، وهو عضو مجموعة "موسكو/القاهرة" المعارضة التي تشارك في مفاوضات جنيف: "نحن وجهنا رسالتنا إلى قائمة الرياض وكذلك إلى الحكومة. دعونا إلى إجراء مفاوضات مباشرة، إلا أنهم لم يستجيبوا.

وأكد، بحسب ما نقلت روسيا اليوم، أن "مجموعة الرياض تبنت موقفاً غير مسؤول وغير بناء، وكذلك وفد الحكومة السورية، مشيراً إلى أن أعضاء الوفدين وصلا للمشاركة في المفاوضات، وهما على قناعة، بأنها ستفشل".

من جهة أخرى أكد جميل أنَّ إقامة نظام فيدرالي في سوريا أمر غير مقبول، واصفاً ذلك بالتطور الخطير لسوريا، إلا أنه أيد إقامة نظام لا مركزي في البلاد، وقال: إنه يجب منح المناطق صلاحيات أكثر لكي تتمكن من حل مشاكلها. (عكس السير مارس ٢٩-٢٠١٦).

٣-هناك مئات التصاريح من الائتلاف والقوى الأخرى تفيد باعتراضهم المطلق على صيغة الفيدرالية، ووثيقة الرياض هي أهم دليل على رفض الائتلاف صيغة الدولة الفيدرالية.

الحـداثة لغة واصطلاحاً ونشأة ومضامين...!

دهام حسـن

الحداثة لغة كما ورد في المنجد هي مصدر للفعل الثلاثي المجرد "حدث".. والحداثة من الأمر، أوله وابتداؤه، وتقابلها في المعنى القدامة، وهي مصدر لفعل قدم، وقدامة الشيء أي مضى على وجوده زمن طويل... ونقول عن الشيء هو قديم، أو هو حديث....

لكن ما يهمنا هنا هو المعنى الاصطلاحي للحداثة، فالحداثة من المفاهيم التي جرى حولها جدل ولغط كبيران، فإذا كانت الحداثة انبنت بالأساس على المعنى اللغوي، فإنها حملت إيحاءات ومعاني ومضامين جديدة، وبالتالي من المتعذر أن تخرج بتعريف جامع متفق عليه، أو حتى بإيضاح يتقبله كل الأفرقاء.. حيث تتضارب دلالات الحداثة عندهم، فالموقف من الحداثة، لا بد أن يتأثر بالموروث الثقافي، الديني، الأخلاقي، وما اكتسبه الخلف من السلف، وعلى العموم، لابد أن يتأثر واحدنا بالواقع الاجتماعي الطبقي، والواقع الاقتصادي المهيمن، وبطبيعة الطبقة السياسية التقليدية الحاكمة، وهذا التضارب أو التقاطع في مفهوم الحداثة سوف نعود إليه بعد قليل عندما نستعرض آراء

المتحمسين للحداثة وأيضا آراء المناوئين لها، ولنعكف بداية على نشأة مصطلح الحداثة...

إذا كان الأفرقاء مجمعين على نشأة الحداثة في الغرب، فإنهم مختلفون على التأريخ لها، فغالبية الباحثين يرون أن بواكير الحداثة بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر في الغرب وفي حقول الأدب بعد أن قوضت الرومانسية أركان الكلاسيكية، فنشأت الحداثة على أيدي شعراء فرنسا شارل بود لير، ورامبو، ولامارليه، أي مع نهاية الرومانسية وبداية الرمزية، ثم ظهرت مذاهب أدبية أخرى كما هو معروف. دعا الحداثيون إلى التحرر من الكثير من القيود، والثورة على التقليد والمحاكاة، ورأى بعضهم أن الحداثة جاءت نتيجة تراكمات وإرهاصات للمذاهب والتيارات الأدبية والفكرية السابقة للحداثة..

لكن هناك من يعود بمصطلح الحداثة إلى القرن الخامس عشر، أي ربما إلى حركة مارتن لوثر الذي قاد الشقاق البروتستانتي ضد الكنيسة والتمرد على سلطتها الروحية، دون أن نغفل عن التقانة التي سهّلت ومهّدت لهذا التمرد، لاسيما اختراع الطباعة التي قال فيها "مارتن لوثر" نفسه: إنها من أسمى فضائل الرب على عباده...ومنهم من يربط الحداثة بديكارت صاحب مذهب الشك في القرن السابع عشر، أي إعمال العقل، وإعادة النظر في كل شيء، ومنهم من يربط المصطلح بعصر التنوير في القرن الثامن عشر، حيث ميدانه العقل والاستنارة على ضوء العلم والتكنولوجيا، وأخيرا هناك من يربط مفهوم الحداثة بمطالع القرن العشرين، أي بالامبريالية على خلفية احتلالاتها الاستعمارية. أي في عصر الإذاعة والكهرباء ووسائط النقل السريعة، ووسائل الاتصالات المبتكرة.. كل هذا الاختلاف في تاريخ هذا المصطلح ناجم عن الاختلاف في تحديد غرض ومفهوم الحداثة، واختلاف الرؤية إليها.. وهنا تحدوني مبادرة للقول: إن التحديث أو

الحداثة -رغم التمايز بينهما كما يرى بعضهم- حالة دائمة، وعملية مستمرة، في إعمال الفكر، ومجاوزة الواقع المعيش، والتطلع نحو التجديد، ورفض لكثير من القيم التقليدية السائدة. لكن، قد لا يتجلى تبلورها واضحا كما هي حال الحداثة اليوم، بسبب معاندة الظروف، واندحار المفهوم أمام قوة وهيمنة الفكر السائد. لذلك فالحداثة أو التحديث قد تأخذ فترات من السبات القسري وقد تطول الفترة، لتظهر ثانية ـ ربما ـ أكثر جدة وقوة وغنى، وفي هذا السياق نقول: الم تكن دعوة أبي العلاء المعري، الذي كان يرى أن لا إمام سوى العقل، وقوله: (فكل عقل نبي) رفضا للفكر السائد، ودعوة للحداثة، أو بمعنى آخر دعوة لتحديث العقل، فقد تهكم المعرّي من معتقدات وطرائق العبادة لدى الديانتين المسيحية والإسلامية، يقول: (كلّ يعظم دينه.... يا ليت شعري ما الصحيح) واعتبر الدنيا الثانية، أي الآخرة خرافة، لتأتي بعد ذلك فترة السّبات، والركون إلى الفكر التقليدي السائد، والاكتفاء به، دون حق الاجتهاد، هذا في عهد الإمام الغزالي، الذي رفض إعمال الفكر في هذه المناحي الجدلية، ورأى السلامة في إتباع سنن الأقدمين، والخطر في البحث والتقصي.. لقد كانت الظروف مؤاتية لرؤيته السلفية، فخمدت جذوة التفكير الحر، وأخلدت إلى كمون أو سبّات كما قلنا قبل قليل ولو إلى حين. وفي مطلع القرن العشرين برزت الحداثة أو التحديث على أيدي بعض الرواد من أمثال طه حسين، وسلامة موسى، فالأول أثار ضجة عارمة من الغضب بسبب قراءته الجديدة للشعر الجاهلي، والشك في انتسابها لأصحابها، وكانت الثورة التي أثارها الكتاب – غالبا - بسبب مبدأ الشك الديكارتي الذي أخذ به طه حسين، فعبر هؤلاء المانعون أو الرافضون لهذا المبدأ خشية أن يسري انسحاب هذا المبدأ على نصوص أخرى من القرآن والسنة، لكنه اضطر للعودة عن بعض ما أثاره، وما سببه بالتالي من لغط، لتعاد طباعة كتابه بحلة

مغايرة إرضاء لأصحاب الشأن والنفوذ في الأزهر، أما سلامة موسى فكان منفتحا لمبادئ وأفكار اشتراكية، وإلى العلمانية، في ظرف كان يتطير المؤمن حتى من ذكر لفظة الشيوعية، وكانوا يقترنونها بالإباحية..كما ظهرت حركة تجديد في حقل الشعر على أيدي السيّاب والملائكة والبياتي في أعقاب الحرب العالمية الثانية.. وبعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ظهرت حركة تجديد في الفكر، وفي مأزق المفهوم القومي ذي الشعارات الزاعقة غير الواقعية، واندحاره تاريخيا أمام إسرائيل..

كان لا بد من إعادة النظر في كل شيء، والتحديث في كثير من الأشياء، فضلا عن الفكر والأدب، في الفن والموسيقى أيضا، كما هي الحال في بعض الأفلام المصرية، وفي موسيقى الأخوين الرحباني، حسب رأي الدكتور عبد الإله بلقزيز.. والتحديث أو الحداثة لم يتوقف على الغرب وحده، بل أخذت طابعا عالميا وانتشرت في سائر القارات.. بعد هذا لم يبق أمامنا سوى أن نقول ما هي الحداثة إذن.؟

الحداثة بحسب تعبير رولان بارت، طوفان معرفي، وزلزال حضاري عنيف، وانقلاب ثقافي شامل...الحداثة -أيضا- موقف عام وشامل ومعارض للثقافات التقليدية السائدة.. الحداثة تدعو إلى إعادة النظر في كثير من الأشياء، والتحرر من كل القيود.. الحداثة ثورة على كل ما هو تقليدي في المجتمع.. الحداثة عملية تقدمية، حتى لو كان المخاض عسيرا، فهي تنشد عصرا جديدا يقترن بالتطور والتقدم وتحرر الإنسان.. الحداثة رؤية فلسفية وثقافية جديدة للعالم..الحداثة حالة وعي الواقع وبالتالي نقده.. الحداثة تتكئ على مكونات وعناصر مثل التصنيع، العلمانية، الديمقراطية، عند مطالبتها التوسع في وسائل الإعلام، وفي المشاركة السياسية، وهي كثيرا ما تنتقد الموروث الثقافي الديني بهدف التغيير نحو الأفضل. الحداثة دعوة لانتصار العقل على

النقل، وعرض المنقول من السلف لمنخل العقل مهما كان مصدره، من دون تقديس لأي نص، وتمريره بالتالي كحقيقة منزهة..

يعد الشاعر السوري أدونيس من أبرز رواد الحداثة العرب، كما يعد المنظر الفكري لهذا المصطلح، وأحد الراديكاليين المتحمسين للدفاع والترويج للحداثة فهو يرى أن ولادة الحداثة تاريخيا نتيجة: (التفاعل والتصادم بين موقفين وعقليتين في مناخ تغير، ونشأت ظروف وأوضاع جديدة) ويرى أيضا من أنه:(لا يمكن أن تنهض الحياة العربية، ويبدع الإنسان العربي، إذا لم تتهدم البنية التقليدية السائدة للفكر، ويتخلص من المبنى الديني التقليدي الاتباعي) كما توافقه النظرة في الحداثية زوجته السيدة خالدة سعيد التي ترى في العقل والواقع التاريخي مرجعية للحداثة؛ أي أن الحداثة مرتبطة بفكر حركة الاستنارة، أي استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا. ويقول الدكتور شكري عياد إن الحداثة العربية قد انبثقت نتيجة شعور النخبة العربية المثقفة: (بسقوط الحلم العربي... وأصبحت الحداثة مخرجا مناسبا من حالة الضياع التي سقط فيها جيل الثورة والأجيال التالية) فضلا عن ذلك فهو يرى أن الحداثة بمدلولها عند العرب والغرب على حد سواء: (تتجه إلى تدمير أعمدة النظام القديم) ويقول إلياس خوري الكاتب اللبناني في مرحلة سابقة بأن (الحداثة العربية هي محاولة بحث عن شرعية المستقبل، بعد أن فقد الماضي شرعيته التاريخية في عالم توحده الرأسمالية الغربية بالقوة)...

أما لماذا لم تتفاعل الحداثة مع الواقع العربي، وأصالته، فيرجعه بعضهم إلى غياب البرجوازية الحديثة، الحامل الاجتماعي للحداثة، التركة الثقيلة من الماضي ووجاهتها وركونها في الوجدان العربي، التشدد في التمسك بالإرث التليد والهوية العربية والإسلامية، وعدم

التقبل ما يصدر عن الآخر الغريب، وأيضا الأنظمة الشمولية الاستبدادية التي ترى في الحداثة ربما بداية النهاية لها...

ومن هنا كان رد السلفيين من الإسلاميين في العالم العربي ردا قاسيا على الحداثة، فهم يربطونها بالإمبريالية الغربية، ويرونها أشد خطورة حتى من الليبرالية والعلمانية والماركسية، فهي أي الحداثة عندهم معول هدم تتنافى مع الدين الإسلامي، وهي ثورة سلبية على التراث، على اللغة، على الأخلاق، على الدين، على التاريخ، على الماضي، فهي في المحصلة فكر هدام يتهدد كل شيء.. وخشية هؤلاء السلفيين من الحداثة نابعة بالأساس، مما يتضمنه هذا المصطلح من عناصر مثل العلمانية، أي دعوة الفصل بين الدين والسياسة، وأيضا الديمقراطية، واتساع دائرة الفكر، وإعمال العقل عند قراءة المسلمات بها، قراءة متحررة من رقابة السلطان...

وأخيرا...من الأهمية بمكان، الإشارة إلى سمات الإنسان الحديث أو الحداثي، فمن أهم تلك السمات، استقلالية الفرد عن الرموز التقليدية، في الأسرة كالأبوين، أو الأخ الكبير حتى، وعن التبعية لزعماء القبيلة، ورجال الدين، وبالتالي يكون ولاؤه للوطن الكبير وحده؛ احترام المواعيد، الإيمان بعلوم الطب كعلاج، بعيدا عن السحر والشعوذة والتمائم، الاهتمام بالتخطيط في حياته، مقدّر لظروف ضبط الإنجاب، داع لقراءة العلوم، متابع للأخبار السياسية على صعيد الداخل والعالم، مؤمن بالتغيير وراغب فيه، ومؤمن بقدرة الإنسان الكبيرة على فعل التغيير...

هذا بخلاف الإنسان القديم الذي إذا ما عكسنا تلك السمات التي أتينا على تناولها، فهي كثيرا ما توائم نظرته في هذي الحياة، فهو عادة يتميز بالسلبية والإذعان لما هو قائم، غير محبذ للتغيير، وغير مؤمن بقدرة

الإنسان على فعل التغيير، هو مؤمن باستمرارية الحالة في الطبيعة والمجتمع دون اعتقاد منه بإمكانية التغيير.! هذه كانت أهم السمات التي خرجت بها جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية إثر بحث ميداني شملت دولا عديدة ومن مختلف القارات.

رحلة اللجوء وثمنها الباهظ .....

صلاح علمداري

الرحلة: تبدأ الرحلة حين تغلق باب دارك تاركاً خلفه أحبة وخلّان، وتدفن في أرض الدار ذكريات الطفولة، وتحمل حقيبة السفر، قافزاً من فوق خارطة مدمّاة، كانت لك –يوماً ما- بمثابة وطن، وتسلّم أمرك – مهما علا شانك- لأناس يمتهنون تهريب البشر، وتجلس معهم، تترصدون ثغرة في أسلاك الشريط الحدودي، أو غفلة من جندي الحراسة، لتتسللوا من خلالها إلى أرض دولة جارة...تركيا.

الترانزيت: تحس بالغربة على أول خطوة تخطوها خارج موطنك، لكنك تستمر ...! وتحس بالذل من أول محادثة تجري بينك وبين أولئك الذين يتعهّدون بنقلك إلى مبتغاك، ولكنك تسير أبعد ...! تستعجل نحو البحر الفاصل بين ماضيك وحلمك، تجد نفسك محاطاً بأعداد غفيرة من أناس مثلك، رجال ونساء وأطفال من كل الأعمار، يتراكضون خلف بعضهم وخلف أناس يشبهونهم في الشكل والملامح لكنهم ... لكنك لا زلت لم تتعرف على مهربي البشر عن قرب، ولم تدرك مخاطر البحر

وجنون أمواجه، وكذلك لا تعرف ماذا يعني حشر العشرات من البشر على سطح صغير من كاوتشوك منفوخ بالهواء اسمه البلم!،.. تبحث عمّن يحملك إلى الشاطئ المقابل، الذي يتراءى لك عبر زرقة البحر مغطىً بضباب يحجب رؤية التفاصيل، تماماً كرحلتك وأحلامك المغطاة بالغبش، تلتقي بوجوه مألوفة، أقارب، أصدقاء وزملاء، تبدأ بالبازار، وتتفق مع المهربين على الدفع نقداً على كل رأس حي، لكنهم يجردونك حتى من حقيبة أشيائك الداخلية، فترميها خلفك دون اعتراض، ويحملك الموج على صراخ الأطفال ودعوات النساء إلى أرض أفلاطون و الإسكندر ... تنتهي من مغامرة البحر والبلم ،لتبدأ بالبحث عن سبل السير أبعد، كل ما تبقّى لديك هي بضع ورقات نقدية، تمسك بهم في سروالك الداخلي حتى في نومك وتحافظ عليهم كما تحافظ على روحك وتسير ... ؟. اليونان وبعدها ثلاثة أو أربع دول مجاورة... هي مجرد محطات ترانزيت، تتلقاك إحداها لتسلّمك للتالية كأي بضاعة أو خردة، هي ليست ملاذاً تأواه –على كل حال- إذ ليس فيها ثراء يشبع عوزك، ولا مرافق تكفي لإيواء مئات الآلاف أمثالك، فرو من بلادهم هرباً من الظلم والحرب و"فوبيا" النحر والأشلاء البشرية.

قد تحظى بخياراتٍ لتحديد وجهتك، والدولة التي تريد اللجوء إليها، ولتكن أوربا الغربية، وقد لا تحظى بهذا الخيار أيضاً لكن يجب أن تعرف جيداً أن كل ما سيأتي لاحقاً هو مرسوم على الورق ومخطط مسبقاً، وليس لك فيه رأي أو كلمة!.

الكامب: قد يستقبلك ذووك الذين سبقوك إلى المغترب ليلة أو أكثر، لكنك يجب أن تلجأ إلى الثكنة أو الكامب (معسكر لتجميع اللاجئين فيه)، وتسلمهم أمرك، حيث الآلاف مثلك أيضاً، قد لا يكون من بينهم كل الذين مرَرت بهم في رحلتك، أو أَلِفتَ وجوههم، فهنا محطة الاستلام الأخيرة، وفيها بشر من كل الأجناس والألوان والأمم، هنا يتحدثون كل

اللغات، فلن تجد صعوبة في التفاهم رغم الخليط العجيب من البشر والثقافات، ورغم الازدحام تبقى للحركة إيقاعها، وللطعام أوقاته المخصصة وطابوره وللنوم ساعته ولكل عائلة غرفة إذا حالفها الحظ، أو خيمة ضمن مساحة صغيرة يشترك فيها الجميع في المغاسل و دورات المياه. هنا تبدأ رحلة الانتظار التي هي أصعب من مشقة الطريق وتستغرق شهوراً لتتمكن من الحصول أولاً على موعد للإدلاء بأقوالك وتثبيت وجودك، وثانياً قرار دائرة شؤون اللاجئين وثالثاً انتظار منحك إقامة مؤقتة، تمنحك حق استئجار بيت والاستفادة من مِنَح *"الجوب سنتر" لتغطية الآجار و نفقات المعيشة، ورابعاً موعد بدء تعليم اللغة، ثم عليك بعد ذلك الالتزام ببرنامج التعليم الذي وُضِع لك، والذي يستغرق عاماً أو أكثر، تكون قد أمضيت سنتين –على أقل تقدير- في الغربة، تذكرت خلالها ذوُوك الذين تركتهم خلفك، ألف مرة، وتحدثت معهم وسألتهم عن أحوال البلد والناس، ورغم كل الأخبار السيئة التي تأتيك من الوطن في كل اتصال من قلق مزمن وغلاء فاحش وقصف واعتقال واغتيال وشهيد وشحة المياه والوقود و الكهرباء... رغم كل ذلك يكون قد راودك الشعور بالندم والحنين إلى الأهل والوطن أيضاً ألف مرة، لكنك لن تعود، فكل يوم يمر يزداد ارتباطك ببلد اللجوء أكثر تلبية لرغبة جامحة في أعماقك تسعى لتحقيق انجاز أو لبلوغ نجاح ما، إذ من غير الوارد أن تعود إلى الأهل والخلان منكسراً خالي الوفاض كما يوم ودّعتهم، وعليك قبل ذلك بالبحث عن عمل لتتخلص من المعيشة المقنّنة التي رسمها لك ال"جوب سنتر"، تنقلاتك الكثيرة وتكاليفها الباهظة تدفعك لاقتناء سيارة، وهي هنا ليست حلماً صعب المنال، ثم بيتاً تسكنه وتدعو إليه ضيوفك ، كذلك اقتناؤه ليس صعباً...

الثمن: لكي تحقق كل ذلك عليك أن تدفع أجمل سنوات عمرك، تعارك الحياة وتتعامل مع كل ما حولك ومَن حولك بلغة ليست لغتك، وثقافة غريبة عنك، تتصارع داخلك شرقيتك المتأصلة في أعماقك وغربيتك السلسة التي تغزوها وتستولي عليك شيئاً فشيئاَ حتى تبلغ خريف العمر، وترتسم في وجهك التجاعيد ، ويشيب على رأسك شعرك، و يرقّ القلب على جذوة الحنين التي لم تخبو يوماً في داخلك، فلن تستطيع المقاومة أكثر، تقرر العودة، يعترض عليك أطفالك... أبناؤك الشباب الذين تأصلت فيهم قيم وثقافة الغرب (الغربية) وليسوا مجبرين على المغامرة في اقترانها بالشرقية البائسة التي لا تربها بهم إلا أنت وخوض تجربة الصراع بينهما على مساحة الباطن العاطفي كما فعلت أنت..... قد ترضخ، فتنتهي حياتك حسرة وندم وتموت في أرض غريبة، وقد تلح ّ فتعود يوماً لتفتح ثانية ذاك الباب الذي تركته خلفك مغلقاً، لكنك –على الأغلب- ستعود وحيداً تاركاً خلفك أبنائك الذين أصبحوا شبابا وبدؤوا يحلمون مثلك يوم هاجرت، بحياة أفضل وأمان وعمل و بيت وسيارة.... وهذا بالضبط ما عوّلت عليه دول اللجوء وما سوف تجنيه مقابل كل التكاليف التي رصدتها لك ولأمثالك اللاجئينً يوماً.....

لقد استثمروا في جيلكم ليضمنوا ملكية الأجيال التـــــالية!!.

•"الجوب سنتر" دائرة حكومية مخصصة لرعاية اللاجئين وتعليمهم وتأمين العمل لهم.

من جرائم جندرمة الكمالية ضد الشعب الكردي

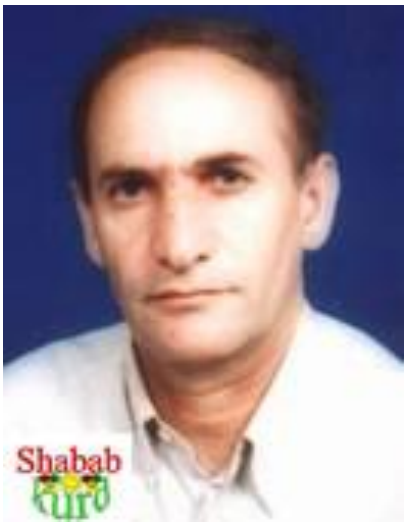

د. إسماعيل حصاف

نشر الصديق زين العابدين زينار Zeynelabidin Zinar على صفحته باللغة الكردية هذه الوقائع الوحشية بحق الشعب الكردي وأقوم بدوري بترجمتها ونشرها على صفحتي:

ملاحظات يومية من دفتر جندرمة كمالي

سجل جندي تركي كان مشاركا في مذبحة (Geliyê Zîlan وادي زيلان) مذكراته اليومية قائلا: "جمعنا عشرات الألوف من النساء والأطفال والشيوخ، أي جميع سكان قرى المنطقة، وجمعناهم في عدة أماكن بوادي زيلان، ثم حاصرناهم وفي أيدينا البوارید الموجهة نحوهم، وأيادينا على الزناد. وخلفنا وقف صف آخر من الجنود، أطلق عليهم اسم (Erbaş)، وفوهات بنادقهم مركزة على ظهورنا، وخلف الأرباش وقف صف ثالث يحملون بأيديهم مسدسات. إن لم ننفذ نحن حاملي البنادق الأوامر بقتل الكرد، كان مهمة الذين يقفون خلفنا

تصفيتنا، وإن لم يقم هم بقتلنا، لقتلهم قادة العسكر من حاملي المسدسات. وبناء على أوامر القومندان، أطلقنا الرصاص على أولئك الكرد، وقتل في الحال جميع أولئك النساء والأطفال والشيوخ، وأثناء إطلاقات الرصاص كانت صراخاتهم تشق عنان السماء، وبعد هنيهة ساد الصمت. بقيت أجساد أولئك الكرد مرمية تحت أشعة الشمس لأسابيع، بعدها تعفنت، وتورمت، واهترأت. ٤٧ ألفا من الكرد قتلوا في مذبحة وادي زيلان. وفي عام ١٩٣٠ كتبت صحيفة ((جمهوريت)) بان الذين يسكنون في منطقة وادي زيلان من أشباه قرود أفريقيا، قساة ووحوش يأكلون اللحوم النية. في ١٣ تموز ١٩٣٠ (ص ٤)، تم تنظيف وادي زيلان وتدميره كليا. وكتب الصحفى يوسف مظهر: "هؤلاء الكرد يشبهون الهنود الحمر بأمريكا، لكنهم أقوى منهم، دمويون وغداورن، ومجردون من الشعور الإنساني وبعيدون عن التمدن، إبتلينا بهم منذ مئات السنين" ((جمهوريت)) في ١٩٣٠/٨/١٨. في منطقة الإبادة من أصل ٢٠٠ قرية، لم تبق قرية واحدة إلا واحترقت.

ترجمة عن التركية إلى الكردية: زين العابدين زنار ومن الكردية إلى العربية: د. إسماعيل حصاف

الطوفان الكبير في تربه سبي والكارث

يوسف عبد الله عيسى - ألمانيا

تقعُ بلدة (تربه سبيه) إلى الشرق من مدينة القامشلي على بُعد (٣٠) كم، يخترقها طريق عام القامشلي-ديرك، وتقع فيها محطّة فرعيّة لقطار الشرق السريع حلب-الموصل، وبناء المحطّة مبنيّ على الطراز الفرنسي، تجاورها ثلاثة سدود هي: مزكفت، والجواديّة، وباب الحديد، وهذا ما جعلها تنعم بمناخ لطيف وهواء عليل، وسمّيت بـ (تربه سبيه) نسبة إلى أضرحتها المطليّة بالكلس، ففي يوم السبت ١٩٦٢/٤/٢٩م عشيّة عيد الفصح المجيد، فاض نهر(الجرّاح)، فداهمها الفيضان فكانت أسوأ كارثة عرفتها هذه البلدة، وراح ضحيّتها العديد من السكّان الذين باغتتهم مياه الفيضان، وأغلقت في وجوههم سائر أبواب النجاة، فجرّفتهم السيول بعيداً عن منازلهم، كما تهدّمت العديد من البيوت الطينيّة وسقطت بعضها، فبدأ الفيضان في عشيّة العيد حين بدأ الأخوة المسيحيّون بالتحضير له، وذلك بإعداد الأطباق والمأكولات المعتادة في هذه المناسبة العظيمة، فكانت تباشير الفرح والسرور بادية على وجوه الجميع بقدوم العيد، حيث من المفروض أن ينطلق من الكنيسة أوّل كرنفال في البلدة يشارك فيه كلّ أبنائها من الكورد والمسيحيين، وسيبدأ الأطفال بالتجوّل في القرية في صبيحة العيد بيتاً بيتاً كما هي العادة لمعايدتهم جميعاً، وبعدها تبدأ الزيارات بين الأهل والأصدقاء لتبادل التهاني، فلم يكن أحدٌ يدري ما الذي يخبئه هذا اليوم العظيم من خطب لأبناء البلدة؟؟

فالوقت عن الظهيرة، حيث تلبّدتِ السماء بالغيوم السوداء الداكنة، وأرست بظلالها على روابي البلدة الوادعة وبساتينها الشاسعة، فبدأ البرق يلمع، والرعد يقصف بدويٍّ مخيف، وما إنْ شرع المطر يهطل حتّى بدأت ملامح الخوف والهلع ترتسم شيئاً فشيئاً على الوجوه، وتختفي الابتسامة، فهرع الناس إلى بيوتهم، فكلٌ يتفقّد أهله وأولاده، أمّا راعي البلدة المدعو(صليبي) وهو العربي الوحيد القاطن في البلدة، فتنبَّأ بالخطر المحدق بهم، وعاد بقطيعه إلى المبيت مبكّراً .

وقُبيلَ قرعِ جرس الانصراف في ابتدائية (تربه سبيه) الوحيدة، أسرع أخي الأكبر من مركز البلدة إلى بيت محمد شريف آغا راجياً أن يدعوني إلى دارهم إلى حين الفرج من غضب الطبيعة، وكانت علاقة عائلتي مع عائلة محمد شريف آغا وشقيقه إبراهيم حاجو علاقة حميمة. فعندما قرع الجرسُ انصرفتُ مع التلاميذ حيثُ كان المطر والبردُ يضربان الأرض بقوة لا مثيلة لهما.

فكانت عائلة محمد شريف حاجو آغا وإحدى زوجاته واقفة في شرفة البيت مقابل شارع المدرسة، رأيتهم ينادونني باسمي (يوسف تعال بسرعة تعال إلى هنا) وتكرّر النداء بأصوات عالية.

كنتُ وقد وضعتُ حقيبتي المدرسيّة فوق رأسي تفادياً البردَ، كما فعل جميع التلاميذ راكضين.

لم أكترثْ إلى النداء فمضيتُ راكضاً إلى البيت عِبْر مركزِ البلدة، ووصلتُ إلى البيت ووصل جميع التلاميذ إلى بيوتهم بسلام قبل أن تبدأ النكبة.

في هذه اللحظاتِ كان الجميعُ يحسّ أنّ أمراً رهيباً قد يحدث، فقد نسي أهل البلدة فرحة العيد.... ويصعدُ إبراهيم حاجو آغا فوق سطح قصرهِ

المبنيِّ من الغرانيت الأسود والذي لا يزال شاهداً شامخاً إلى يومنا ... صعد فوق بيت الدرج وأخذ يرنو بمنظاره لعلّه يدري ما الخطب؟؟ !! نظر إلى نهر الجراح يخترق بساتين الكروم الواسعة على ضفته الشرقية أشجار اللوز والصفصاف وعلى الطرف الآخر غابات الحور ممتدّة من ضاحية دريجيك ومروراً بالأشجار المثمرة الكثيفة على امتداد واسع حتّى البستانِ الكبير حيثُ يلتفُّ عليه نهر(الجرّاح) بحركة نصف دائرية قبل أن يجتاز قلب البلدة.

لفتَ نظرُ الآغا طوفاناً عظيماً وسيلاً جارفاً عرمرماً يتّجه نحو البلدة الوادعة، فأحسّ بخطر كبير محدق وطامة كبرى قد تحصل قريباً بل قريباً جداً، فأطلق الآغا فوراً ثلاث طلقات تحذيريَّة من مسدّسه، وهرعَ إلى منزله راكضاً ليخبرَ خدمَهُ الأربع بإعلام الناس بالخبر فوراً وعلى وجهِ السرعة، والبداية من أماكن الخطر المحتملة ... الغلمان بدأوا بالإنذار والصياح، والحاضر يعلم الغائب!!

وبدأ الهلعُ يدبّ صدور الناس، والخبر ينتشر بسرعة فائقة كما ينتشر النار في الهشيم، فاختلطت أصوات الرعب والعويل والصخب والبكاء والخوف بأصوات المطر وصرير الرياح العاتية وهدير أمواج النهر، صاحَ الناس: اليوم يوم القيامة ... القيامة بدأت!!

فمَن منهم نزحَ إلى القلعة القديمة "القلعة الفرنسيّة القديمة" المرتفعة فهو آمن، ومن دخل أحد بيوت آل حاجو فهو آمن، ومن دخل المدرسة الابتدائيّة فهو آمن، فالبيوت الإسمنتية معدودة جداً، بدأ رجالُ البلدة يساعدون الأطفال والنساء والشيوخ للهرب بيدٍ واحدة وقلبٍ واحد، كان ما قام به (أبو نور الدين) من عمل وما قدّمه من مساعدة لأبناء بلدته من أجل إنقاذهم جدير بالتقدير بشهادتي وشهادة الأهالي، "فلولاه لكانت المصيبة أضعاف مضاعفة، الرجل استحق الشكر والتقدير من أهالي

البلدة"، حيث بدأت قصص الرعب المخيفة! كانت خالتي أم جميل (آمنة)... إبراهيم جميل جيلكي مع أولادها، فما إنْ سمعتْ الطلقات الثلاث بدأ الهلع يدخل في قلبها، أطلّت من نافذة بيتها المطلّ على الساحة والشارع الرئيسي العام، فرأت أمراً غريباً حيث السيدة (حفيفة) زوجة يوسف حاجو آغا تركض نحو الشارع مندفعةً فزعةً مرعوبةً ترتجفُ أوصالها غير مباليةٍ... أسرعتْ خالتي إلى باب الدار فصاحت بها: السيدة (حفيفة) بصوت مضطربٍ متقطّعٍ خائفٍ (هيّا اهربي يا نازية) بأولادكِ فوراً، الطوفان الكبير قادم إلينا، هيّا أنا ذاهبة لأنقذ ابني، فلذة كبدها ابنها البكر وعائلته كانتْ على بُعد خمسٍ أو سبعِ دقائق يقطن في بيتهِ بجوار شاطئِ النهرِ مقابل (صبري الدلال أبو اسكندر) في الطرف الآخر من النهر، أمسكتْ خالتي بيد أولادها مذعورةً اتّجهتْ نحوَ دكتور البلدة نعيم الصفدي القريبِ منها "أصبح الدكتور في ما بعد مدير صحة دمشق" اتّجهوا إلى مستوصف البلدة علَّهم يجدون الأمان... الكارثة تداهم الجميع ؟؟.

شقيقي لم يستطعْ إغلاق أبواب دكانه حيث اندفعت المياه إلى الدكان بقوّة فهرب سابحاً إلى البر القريب ونجا بنفسه، وفي هذه اللحظات تدقُّ ساعة الصفر، وتصل طلائع الأمواج الجامحة إلى قلب البلدة غاضبةً مزمجرةً متحدِّيَّة، تحملُ في جنباتها جلاميد صخور جلبتها من جبال طوروس، وكانت المعركة غير متكافئة بدأت الأمواجُ العاتية تضربُ جدار الجسر الكبير والطريق المعبّد المرتفع، وتنحسرُ المياه إلى قلب المدينة في جولة ثانية فقد اعترضه الجسر المسكين الذي لا يحتمل اندفاع السيل الجارف، وتراجعت المياه بقوّة إلى وسط البلدة لتدمّر جميع الدكاكين والبيوت المبنية من الطين، وجرفتْ محتوياتها ومخازنها عن بكرة أبيها، فزمجرة النهر وهدير تلاطم أمواجه الهائجة تناطح أصوات طائرات الهليكوبتر التي تحوم في أجواء البلدة بلا جدوى،

الطيّارون قالوا وقتها: (البلدة الآن كسفينة في وسط بحر)، فسوق القماشة لم يبق له أثر، فالأقمشة وماكينات الخياطة ترتفع من قوّة الموج، فترى الألوان الزاهية الأحمر والأخضر والأبيض والمزركش والبرّاق يتمايل مع الأمواج بكبرياء، وكأنَّ النهر المتغطرس ينشر فوق أمواجه العاتية بيارق النصر متعالياً مزهواً منتشياً بفرحة النصر.

في قلبِ البلدة العتيدة لم يبقَ أثرٌ لشيءٍ، كان الناس في القلعة المرتفعة يتابعون المشهد بهلع شديد حيثُ تتهدّم الجدران الطينيّة السوداء العتيقة وتتطاير الأغبرة والعجاج يعانق أنين وصرخات المنكوبين والفارّين من الموت والهلاك، وإلى الشرق من البلدة انهالت السيولُ عارمةً من تلال (روكان) التلال التي جرت فيها معركة بين الكورد والجيش الفرنسي، حسمت بقتل الكورد للقائد الفرنسي (روكان) بقيادة حسن حاجو آغا "والذي كان من أوائل ممثلي الكورد في البرلمان مع سعيد آغا دقوري بعد جلاء الفرنسيين ومازال المتحف العسكري في دمشق يشهد بذلك" واستمرّ الفيضان، وتجمّعت المياه وتسلّطت على شارعي الكنيسة الأرثوذكسية متحالفةً مع مياه النهر العاص في معركة غير متكافئة مع الأكواخ الصغيرة والدكاكين الطينية، لتهدّم أكثرَ بيوت البلدة وقسماً كبيراً من الكنيسة الوحيدة

في البلدة، وأسقطت الأجراسَ والنواقيس وبعثرتِ الكتب المقدّسةً، حيث كانتِ المياهُ في تلك المنطقة تعلو سقف دكان (شوكت عزم) في زاوية الشارع في مركز المدينة لتشكّل طوفاً مدمّراً وتحصدُ اثني وثلاثين روحاً من رجالِ ونساءِ وأطفالِ البلدة، وتدمّر جميعَ دكاكينها وسوقها وإحدى حاراتها بشكل شبهِ كامل، فقد ارتفعت المياه أثناء الكارثة في داخل المنازل من عشرين سم متراً إلى مترين، فقد استمرّ الفيضان

حتى وقت متأخّر من النهار، وبعد منتصف الليل هدّأ النهر من روعه وبات يجرّ أذياله شيئا فشيئاً إلى حلول الفجر.

صباحَ اليوم التالي كان يوماً مشرقاً بزغت فيه الشمس على أطراف البلدة باستحياء شديد، وأعلنَ النهرُ الجائر رفعَ حالة الطوارئ، ويخرج الناس مع بزوغ الشمس ليروا ماذا حلّ بهم وببلدتهم وأهلها.

ظنَّ النهرُ المتجبّرُ أنّ بالطمي والركام والقتل قد استحوذَ على منطقة (الجراج) بلا رادع، متناسياً أنَّ الحرّيّة تبحث عن كينونتها في كلّ مكان، فسرعان ما رفعت الأزاهير والرياحين رؤوسها بدلالٍ واسترخاء من بين الشقوق الطينية والحصى ليتعانق عبقها مع أطياف النسيم العليل، وتشرق شمس الحرّيّة من جديد، وتعود الجداول تترقرق فيها المياه العذبة، وترتسم برك المياه الصافية على طول الجراح تعكس شعاع الشمس، وهذا بلبلٌ اعتلى غصناً يغني ألحانَ الخلود، وغير بعيدٍ يتناهى إلى السمع ألحان خرير شلالِ طاحونة البلدة المائية طاحونة(العم موشي) تحكي للدُّنا قصص الخلود.

ولعلَّ من أوائل المنكوبين (حنّا توبال) كان ضيفاً على البلدة، يعملُ سائقاً على سيارة مستوصف البلدة، فَقَدَ في الكارثة كلَّ أفراد أسرته (عائلته مع ستة أطفال)، وبعدَ عدّةِ أيام عادتْ مياه الفيضان إلى نصابِها بشكلٍّ جزئي، أخذ الرجال يبحثون عن الجُثث المفقودة فوجدوا جثةَ أحد أطفال (حنا توبال) تحتَ الجسر الصغيرِ، كانت الجثة هامدةً مسحوقةً ومشوّهةً، بدأ (حنّا) بالصُّراخ والعويل، يلطّم خدَّه جيئةً وذهاباً، ثمّ وجدوا جثتين لطفلين آخرين من أطفاله (حنا)، فكلّما أخرجوا جثةً كانتِ الصلوات تعلو باللغتين السريانيّة والكورديّة، ومازالَ (حنّا) ينعي وينوح ومعظم أهل البلدة مجتمعين في مكان الحدث، تجاهرتِ الأصواتُ بالبكاء والعويل والصُّراخ، وكانت العيونُ تذرف والقلوب تحترق لهولِ

المشهد... دفّنوا الجثثَ في المقابر البيضاء في تربه سبيه "في هذا اليوم توحّدت القلوب جميعاً، ولم تنتهي محنة (حنا توبال) فبعدَ بضع سنين من مصيبته تزوّج لعلّه ينسى مصيبته قليلاً إلّا أنّ القدرَ عاودَه الكرة من جديد، حيثُ تلقّى نفس مصير عائلته عندما كان يسوق سيارته في وادي قرية (دمرقابو) السحيق انفلتَ مقودُ السيارة من يده، وتراجعت السيارة القهقري إلى الخلف إلى أسفل الوادي، وفقدَ السيطرةَ عليها ليغرقَ (حنا) مع سيارته في مياه النهر، ويلتحقَ بركبِ شهداء نهر(الجرّاح)، وكذلك من الناجين بأعجوبة (عمر كاسينو)، حيثُ لم تستطع والدته الوصول إليه عندما هاجمت السيول شرق البلدة، واقتحمت المياه داخل حُجرات البيت كان (عمر) نائما في سرير خشبيٍّ طافت فيه المياه في أرجاء الغرفة كقاربٍ صغير حتّى صباح اليومِ التالي وجدوه في السرير يغطُّ في نومٍ عميق دون أذى شاء الله أن ينجوه من الغرق.

أمّا معلمُ المدرسة الابتدائية كان مثل (حنّا) ضيفاً لم يتسنّى له التخلُّصَ من قوّة السيلِ فتعلّق بشجرةٍ عالية واستطاع شباب البلدة بإلقاء إطار مطاطيٍّ بحبلٍ طويل تمَّ إنقاذه، وعلى مقربةٍ منه الكهل (جلو) لم يكن له فرصة إلّا أن يتعلق بعامود الكهرباء كان الموج يدفعه إلى أعلى العامود بقوّة، وما إنْ انجرفَ العامود وانقلع من مكانه جارفاً معه (جلو)، وهو يلوّح بيده بالوداع الأخير... أعلنت الحكومة بلدة تربه سبي منطقة منكوبة، وانهالتِ المساعدات الخارجية المادية من الأطعمة والبطانيات وجميع الحاجات الأخرى، وأقيم مخيماً على سفح القلعة من الشرق وانتشر الجيش لمساعدة الأهالي، ووزّعت المؤن في بناء المدرسة فقد كان محمد شريف حاجو آغا يشرف على توزيع أكياس الطحين المتبرّع من أمريكا إلى الأهالي، إلا أنّ التعويضات المادية التي وزّعتْ كانت شحيحة، أمّا (كلو) فقد خسر دكانه وما فيها فاستحق ٢٥٠ ليرة سورية كانت لا تساوي شيئا من الخسارة - كان يشكو دائماً من أعشاش الفئران

في دكانه، وحتّى الآن أهالي البلدة يرددون مقولة كلو عندما ناداه أصدقاؤه من الطرف الآخر للنهر: (كلو) دكانك جرّفها النهر فأجابهم (كلو) من الطرف الآخر للنهر بصوتٍ عالٍ (ev tter je meşka re nema).

وقد بثَّت إذاعة لندن خبر الطوفان، وجاءت لجنة أمميّة لتفقد الخسائر، والكثير من الأهالي يحتفظون بذكريات وقصص وروايات ويؤرخون به، وقد تكرّرت فيضانات هذا الوادي في سنوات عديدة كونه ملتقى مجاري السيول المنحدرة من المرتفعات المتاخمة للمنطقة.

وفي العام التالي للذكرى الأولى للنكبة، فلها قصة أخرى أشدُّ حزناً وفجاعة فقد اجتمع أهل البلدة في الكنيسة العتيدة لزيارة المقبرة في هذا اليوم الحزين، حيث توشّحتِ النساء بالسواد وتقدّمَ عليهم الرجال يتقدّمهم قس البلدة (الأب سليمان) بالتراتيل والبخور، دخلنا حرمَ المقبرةِ من بوّابتها الكبيرة، تكاد الناس تحبس أنفاسها من الألم الشديد والحزن والأسى، كانت الدموع تنهال من العيون بغزاره وانحنتِ الأذقان إلى الرقاب، صمتٌ رهيبٌ يخيّم بظلالهِ على أرجاء المقبرة البيضاءِ، فقد كان بعضُ الرجال يحومون حول (حنّا) خشيةً عليه، لم يتمالك الرجل الصبور نفسه أمام أضرحة عائلته، فما إن تعالى (حنا) بالبكاء بصوت أجشّ حينها تجاهر الناس كلّهم بالبكاء والعويل والصراخ، ثمّ بدأتِ النفوسُ تهدأ رويداً رويداً، وبدأت الشموع تضاء على المقابر هنا وهناك، كان نصيبي شمعةً واحدةً من صديقي يعقوب لتضيء مع باقي الشموع الكثيرة، حقاً كان يوما مروّعاً في تاريخ مأساة القرية.

قصة: الباب والجواب

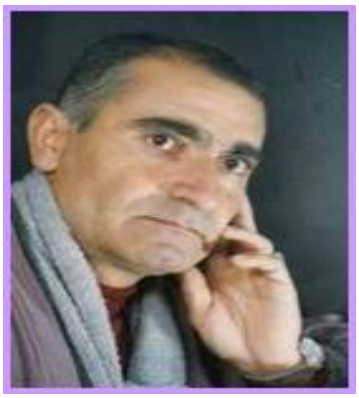

جواني عبْدال

بعد اللقاء في أمسية أدبية ذات ليلة خريفية ... والبرد يطرق المفاصل دون استئذان، قدم المضيف صديقيه للتعارف:

- قلت: أنا أبو جوان ...

قال: تشرفنا، وأنا أبو موفق ...

- تشرفنا ... قلت بالمثل وتصافحنا...

* حضرتك كردي، قال أبو موفق مؤكدا.

- قلت بتهكم: كيف عرفت؟...

* من اسمك !... وماذا يعني هذا الاسم؟

- يعني شاب فتي ... أو بمعنى ما شيء جديد.

* ولماذا تسمي بهكذا أسماء... ألا تدري بأن خير الأسماء ما حمد وعبد.

- ما تقوله صحيح لديك، الاسم اسم يدل على محتواه، وأنت لم تعتن باسمك ولا يطابق ما حمد وعبد... أليس كذلك.؟!

* هه... ولكن اسمي (محمود).!

- أرأيت الكيل بمكيالين، وتلك الفوقية الممقوتة لديك. حسنا!

* ولكنك تقصد شيئا من أحياء هذه الأسماء.

- يمكن نعم... ويمكن لا. إلا أنها أسماءنا ومشتقة من لغتنا.

* أنتم الأكراد ماذا تطلبون منا...{!! }.؟

- تقول (تطلبون منا). نحن في الحقيقة لا نطلب شيئا... ولكن كلامك يوحى فيه بأنّا لنا ما نطلبه وهو عندكم، فإذاً أعطوا ما هو لنا وريحوا أنفسكم من عقدة كهذا، من النظرة المسبقة عن الآخر، ولنعش معا مواطنين متعاونين وليس مواطنين مدانين من درجة أدنى أو أعلى، مكتنـزين الريبة ومسترين بما لا اعرف.

* وشيء أخر...

- ولا شيء أخر ولا متأخر... فما دمت تقول أنك كردي وتعرف ذلك فلماذا لا تعطي هذا الحق.

* لقد قلت بأنك كردي... واعترفت باثنيتك من قولي هذا.

- جيد... ولكن هل هذا كاف، أأعطيتني ما يترب على هذا الإقرار؟.

* وماذا يترتب عليه، ألستم مواطنون... ولكم كل الحق كمواطنين أسوياء.

- لا... كل الحق في ماذا، أين مدارسنا، أين لغتنا، أين تراثنا أين أعيادنا، وأين ممثلونا، أين التنمية في مناطقنا.

* ها هي كثيرة المطالب.؟.

- لا... أنها واحدة فقط، أننا أكراد وأنت تعرف ذلك.

انتهت المناقشة إلى لا شيء، فقط ألجمت الألسن وتشاغلت الأفكار، وارتسمت صور مختلفة عن الآخر القريب البعيد، وابتعدنا متراجعين للخلف دون سلام تعارف أو مصافحة لقاء أو تلويحة وداع.!

تشاغلت النظرات الجانبية والهمهمات الإنكارية.

قال مضيفنا: من يطرق الباب يلقى الجواب.

٢٠٠٨/١/١٣

ادفنوني هنا أو هناك...

جان هادي بوزان

ادفنُوني هــنا أو هناك...
على أطــرافِ البــحرِ
لأودّعَ
أنــغامَ الصـــافراتِ
ســكونَ الليـــلِ
همساتِ السَّـــهرِ.
ادفنــوني هــنا أو هناك...
على الرَّصـــيفِ
في الأفـــقِ
على الصّرخاتِ
سطّروا على شاهدةِ قبري
نعــوَ الشـــهداء
زئيرَ كـــوباني
ملاحـــمَ **"مشته نور"**
طـــوفانَ الصَّمـــتِ
عــناويـــنَ القـــدرْ

ادفنـــوني هــنا أو هناك...
لتـــطرب روحـــي
مع النَّوارسِ
مع الحساسينِ
مع القبّـَراتِ
مع حفيف الشَّجرْ
ادفنـــوني هــنا أو هناك...
لأضمدَ عمقَ جراحاتي
هولَ تمتماتي
أنينَ آهــاتي
رفاقَ الدَّربِ يومَ السّفرْ
ادفنـــوني هــنا أو هنا...
انثروا رمادي تباريكاً
على السَّفح...
على الرَّمل...
على الشَّاطىء القريب
على زبدِ الصَّخر الأصمَ.
ادفنـــوني هــنا أو هناك...
لأستريحَ هُنيهةً
مودِّعاً زبانيةَ العصر

هولَ النَّعـشِ

حشـــوَ الكـفنْ.

ادفنـــوني هــنا أو هناك...

متسكِّعاً

خاشِــعاً

مكـــمِّـلاً

تراتيلَ الطّقوسِ

تعاويذَ الصَّبرِ

مع الكهنة... مع الحمائم...

مع الطَّواويس وأسرارِ الزَّمنْ.

****

كوباني تزأر

أرسمُ على سفح طـــوروسَ
عنـــواناً لقصيدتي
صـــورةً لبناتِ أمّتي
زغـــــرودةً لقدري
أرســـــلُ من قِمَمِ ألاغاس
سلاماً لِعلَمي.. سلوىً لحسْرتي
عِلاجاً
صُراخاً
صمَّاماً
لقضـــــيَّتي... لقضـــــيَّتي

***

أقـطِـــفُ من أديمِ الشّـَمسِ
شيـــلانةً
آهـــاتٍ
أنـيـــناً
عـــويلاً لثـــكلى القـــومِ
يـــــومَ الـــحـــــشرِ
نقِّشوا على صدر قبري ..يا رفاقي

أنشـــودةً للمطر
وأخـــرى للنـــصر
ثالـــثةً للقـــهـــر

***

اصنعوا من رُفات كلِّ شهيد
تمـــثالاً
يُقـــطر زئيـــراً
يُسقـــط شمـــوخاً
ومن دمِ كـــلِّ شـــهـــيد
مِـــداداً ينبـــِّئ الحـــــياةَ.

***

سطّـــروا على شاهـــدةِ قبـــري
تاريخاً
ملاحمَ
كلمـــاتٍ من نـــارْ
وقـــولاً مأثـــورا.

***

اهـــدُوا عاصمةَ الأســطورةِ
عَبَـــقَ روحـــــي
رمـــاد وصـــيَّتي

نياشينَ جـراحاتي.

***

انثـــروا تباشـــــيرَ أمنـياتي

على الجبـــال

على الســـــهول

على الوديـــان

دوِّنـــوا لصدى الأجيـــال:

"وُلـِد شريفاً... وماتَ شريفاً".

الفهرس

الافتتاحية :

- من أجل نظام اقليمي جديد وعادل ٣

رئيس التحرير

ملف العدد : اتفاقية سايكس - بيكو

- المظلومية التاريخية (السايكس- بيكويه) لنخب مشرقية ٥

جورج كتن

- بعد١٠٠ على (سايكس – بيكو)مخاوف التكرار (كردياً) ؟ ١٠

نصر الدين ابراهيم

_ نهاية اتفاقية سايكس – بيكو ١٥

فارس عثمان

- لماذا اتفاقية سايكس – بيكو ٢٤

د . آزاد أحمد علي

- اتفاقية سايكس – بيكو وتقسيم المنطقة ... ٤٢

سلمان بارودو

- اتفاقية سايكس – بيكو أيار ١٩١٦ ..... ٥٥

(المنطقة الكردية العثمانية ، تركيا ، العراق ، سوريا)

مسعود داود

حوارات :

حوار مع السياسي والمعتقل الآثوري كبرئيل موشي كوريه ... ٧٠

اسرة التحرير

العهود والمواثيق الدولية :

كيفية انقضاء المعاهدات الدولية ٧٦

المحامي محمود عمر

قراءة الكتب والمطبوعات :

- صحيفة ((كردستان)) ٨٣

أول صحيفة باللغة الكردية في التاريخ المعاصر

نواف بشار عبدالله

- جمعية الطلبة الكرد في أوربا (١٩٤٩ – ١٩٧٩)..... ٩٣

قصة هذا العمل

علي جعفر – المانيا

بحوث ودراسات :

- الكرد في الجزيرة حسب المصادر العربية الاسلامية ... ١٠١

محسن سيدا

- الحياة اليومية في كرداغ (شمال سوريا) ١١٧

أثناء الاحتلال في الحرب العالمية الثانية

ترجمة عن الانكليزية : ليلان علي - عفرين

- الفيدرالية وآفاق حلول المكونات السورية ١٦٤
فاروق حجي مصطفى
- الحداثة لغة واصطلاحاً ونشأة ومضامين ١٨٥
دهام حسن
- رحلة اللجوء وثمنها الباهظ ١٩٣
صلاح علمداري

شهادات :

- من جرائم جندرمة الكمالية ضد الشعب الكردي ١٩٦
د . اسماعيل حصاف
- الطوفان الكبير في تربه سبي والكارثة ١٩٨
يوسف عبد الله عيسى - المانيا

قصة :

- قصة الباب والجواب ٢٠٦
جواني عبدال

شعر :

ادفنوني هنا أو هناك ٢٠٩
جان هادي بوزان
كوباني تزأر ٢١٢
جان هادي بوزان